كتاب الدا والدوا [illegible]

تصنيف الشيخ الامام العالم العامل

شمس الدين ابن القيم امام المدرسة الجوزية

رحمه الله ورضي عنه

الحمد لله

[illegible] على [illegible] المعروف [illegible]

[illegible] عفا الله عنه

[illegible]

الإمام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١

كتاب الداء والدواء

تصنيف

الشيخ الإمام

شمس الدين

ابن قيم

الجوزية

رحمه



من كتب [illegible] عفا الله عنه [illegible]

يا كبيكج يا كبيكج يا كبيكج



بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين في رجل ابتلي ببلية وعلم أنها إن استمرت به أفسدت دنياه وآخرته وقد اجتهد في دفعها عن نفسه بكل طريق فما يزداد إلا توقدًا وشدة فما الحيلة في دفعها وما الطريق إلى كشفها فرحم الله من أعان مبتلى والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه أفتونا مأجورين رحمكم الله فأجاب الشيخ

الإمام العالم شيخ الإسلام مفتي المسلمين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب إمام المدرسة الجوزية رحمه الله ورضي عنه الحمد لله ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله وفي مسند الإمام أحمد من حديث أسامة بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله وفي لفظ إن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء

مقابلة

أو دواء إلا داء واحدًا قالوا يا رسول الله وما هو قال الهرم قال الترمذي هذا حديث صحيح وهذا يعم أدواء القلب والروح والبدن وأدويتها وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الجهل داء وجعل دواءه سؤال العلماء فروى أبو داود في سننه من حديث جابر بن عبد الله قال خرجنا في سفر فأصاب رجلًا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم قالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصب أو يعصر على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده فأخبر أن الجهل داء وأن شفاءه السؤال وقد أخبر سبحانه عن القرآن أنه شفاء فقال تعالى ولو جعلناه قرآنا أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء وقال وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومن ها هنا لبيان الجنس لا للتبعيض فإن القرآن كله شفاء كما قال في الآية الأخرى فهو شفاء للقلوب من

داء الجهل والشك والريب فلم ينزل الله سبحانه شفا قط اعم ولا
انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الداء من القران وقد ثبت في
الصحيحين من حديث ابي سعيد قال انطلق نفر من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي
من احيا العرب فاستضافوهم فابوا ان يضيفوهم فلدغ
سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شي لا ينفعه شي فقال بعضهم
لو اتيتم هولا الرهط الذين نزلوا لعله ان يكون عند بعضهم شي
فاتوهم فقالوا يا ايها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شي
لا ينفعه شي فهل عند احد منكم شي فقال بعضهم نعم والله اني
لارقي ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما انا براق لكم حتى
تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق
يتفل عليه ويقرا الحمد لله رب العالمين فكانما نشط من عقال
فانطلق يمشي وما به قلبة فاوفوهم جعلهم الذي صالحوهم
عليه فقال بعضهم اقتسموا فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى نأتي
النبي صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما يامرنا
فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال
وما يدريك انها رقية ثم قال قد اصبتم اقتسموا واضربوا لي معكم

سهما فقد اثر هذا الدوا في هذا الدا وازاله حتى كان لم يكن وهو
اسهل دوا وايسره ولو احسن العبد التداوي بالفاتحة لراى
لها تاثيرا عجيبا في الشفا ومكثت بمكة مدة يعتريني ادوا ولا اجد
طبيبا ولا دوا فكنت اعالج نفسي بالفاتحة فارى لها تاثيرا
عجيبا فكنت اصف ذلك لمن يشتكي الما فكان كثير منهم يبرا
سريعا ولكن هاهنا امر ينبغي التفطن له وهو ان الاذكار والايات
والادعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية
ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتاثيره فمتى تخلف
الشفا كان لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل
او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدوا كما يكون ذلك في
الادوية والادوا الحسية فان عدم تاثيرها قد يكون
لعدم قبول الطبيعة لذلك الدوا وقد يكون لمانع قوي
يمنع من اقتضايه اثره فان الطبيعة اذا اخذت الدوا بقبول
تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول وكذلك
القلب اذا اخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام وكان للراقي
نفس فعالة وهمة موثرة اثر في ازالة الداء وكذلك الدعا فانه
من اقوى الاسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب

ولكن قد يتخلف عنه اثره اما لضعفه في نفسه بان يكون دعا لا يحبه
الله لما فيه من العدوان واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله
وجمعيته عليه وقت الدعا فيكون بمنزلة القوس الرخو جدا
فان السهم يخرج منه خروجا ضعيفا واما لحصول المانع من
الاجابة من اكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب واستيلا
الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها كما في صحيح الحاكم من حديث
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون
بالاجابة واعلموا ان الله لا يقبل دعا من قلب غافل لاه فهذا
دوا نافع مزيل للداء ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته
وكذلك اكل الحرام يبطل قوته ويضعفها كما في صحيح مسلم
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها
الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المومنين
بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال يا ايها الذين امنوا كلوا
من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث
اغبر يمد يديه الى السما يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه
حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك وذكر عبد

الله بن احمد في كتاب الزهد لابيه اصاب بني اسرائيل بلا فخرجوا
مخرجا فاوحى الله عز وجل الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الى الصعيد
بابدان نجسة وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدما وملاتم
بها بيوتكم من الحرام الان حين اشتد غضبي عليكم ولن
تزدادوا مني الا بعدا وقال ابو ذر يكفي من الدعا مع البر
ما يكفي الطعام من الملح فصل والدعا من انفع الادوية
وهو عدو البلا يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه
اذا نزل وهو سلاح المومن كما روى الحاكم في صحيحه من حديث
علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعا
سلاح المومن وعماد الدين ونور السماوات والارض وله
مع البلا ثلث مقامات احدها ان يكون اقوى من البلا
فيدفعه الثاني ان يكون اضعف من البلا فيقوى عليه
فيصاب به العبد ولكن قد يخففه وان كان ضعيفا
الثالث ان يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه
وقد روى الحاكم في صحيحه من حديث عايشة قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يغني حذر من قدر والدعا ينفع مما
نزل ومما لم ينزل وان البلا لينزل فيلقاه الدعا
فيعتلجان الى يوم القيمة وفيه ايضا من حديث ابن عمر عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعا ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم
عباد الله بالدعاء وفيه ايضا من حديث ثوبان عن النبي
صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا
البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه فصل
ومن انفع الادوية الالحاح بالدعا وقد روى ابن ماجه في
سننه من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لم يسال الله يغضب عليه وفي صحيح الحاكم من حديث انس عن
النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجزوا في الدعا فانه لا يهلك مع
الدعا احد وذكر الاوزاعي عن الزهري عن عروة عن عايشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الملحين في
الدعا وفي كتاب الزهد للامام احمد عن قتادة قال قال مورق
للمومن مثلا الا رجلا في البحر على خشبة فهو يدعو يا رب
رب لعل الله عز وجل ان ينجيه فصل ومن الافات
التي تمنع ترتب اثر الدعا عليه ان يستعجل العبد ويستبطي
الاجابة فيستحسر ويدع الدعا وهو بمنزلة من بذر بذرا او
غرس غرسا فجعل يتعاهده ويسقيه فلما استبطى
كماله وادراكه تركه واهمله وفي صحيح البخاري من حديث

ما وجدت

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول
دعوت فلم يستجب لي وفي صحيح مسلم عنه لا يزال يستجاب للعبد
ما لم يدع باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله وما
الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم ار يستجيب لي فيستحسر
عند ذلك ويدع الدعا وفي مسند احمد من حديث انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل
قالوا يا رسول الله كيف يستعجل قال يقول قد دعوت ربي فلم
يستجب لي فصل واذا جمع الدعا حضور القلب
وجمعيته بكليته على المطلوب وصادف وقتا من اوقات
الاجابة الستة وهي الثلث الاخير من الليل وعند الاذان
وبين الاذان والاقامة وادبار الصلوات المكتوبات
وعند صعود الامام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة
واخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم وصادف
خشوعا في القلب وانكسارا بين يدي الرب وذلا له
وتضرعا ورقة واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة
ورفع يديه الى الله وبدا بحمد الله والثنا عليه ثم ثنى بالصلاة
على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم قدم بين يدي حاجته
التوبة والاستغفار ثم دخل على الله والح في المسالة وتملقه

دعوت

علم

ودعاء رغبة ورهبة ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده ويقدم
بين يدي دعائه صدقة فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً ولا
سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم
أنها مظنة الإجابة أو أنها متضمنة للاسم الأعظم فمنها ما في
السنن وصحيح ابن حبان من حديث عبد الله بن بريدة عن
أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول اللهم إني
أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا أنت الأحد الصمد الذي	اله الا
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال لقد سأل الله باسمه
الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب وفي لفظ
لقد سألت الله باسمه الأعظم في السنن وصحيح ابن حبان
أيضاً من حديث أنس بن مالك أنه كان مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم جالساً ورجل يصلي ثم دعا فقال اللهم إني أسألك
بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض
يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل
به أعطى وأخرج الحديثين الإمام أحمد في مسنده وفي جامع
الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين وإلهكم إله واحد لا إله إلا

٦

هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم
قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي مسند الإمام أحمد وصحيح الحاكم
من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك وربيعة بن عامر عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام يعني تعلقوا بها والزموها
وداوموا عليها وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء
وإذا اجتهد في الدعاء قال يا حي يا قيوم وفيه أيضاً من حديث
أنس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر قال
يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث وفي صحيح الحاكم من حديث أبي
أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اسم الله الأعظم في ثلاث
سور من القرآن البقرة وآل عمران وطه قال القاسم
فالتمسته فإذا هو الحي القيوم وفي جامع الترمذي وصحيح الحاكم
من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك
إني كنت من الظالمين إنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب
الله له قال الترمذي حديث صحيح وفي صحيح الحاكم من حديث سعد	أيضاً
عن النبي صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم
فدعا به يفرج له دعاء ذي النون وفي صحيحه أيضاً عنه أنه سمع النبي

صلى الله عليه وسلم يقول هل أدلكم على اسم الله الأعظم دعاء يونس
فقال رجل يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة فقال ألا
تسمع قوله فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين
فأيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطي
أجر شهيد وإن برأ برأ مغفورًا له وفي الصحيحين من
حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول
عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله
لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم
وفي مسند الإمام أحمد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله
عنه قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل بي كرب
أن أقول لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله وتبارك الله رب
العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وفي مسنده أيضًا من
حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك
ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك
أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته
في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في
علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري

وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله عز وجل همه وحزنه وأبدله مكانه
فرجًا فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها قال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها
وقال ابن مسعود ما كرب نبي من الأنبياء إلا استغاث بالتسبيح
وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب المجابين في الدعاء عن الحسن قال
كان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار يكنى أبا
معلق وكان تاجرًا يتجر بمال له ولغيره يضرب به في الآفاق وكان
ناسكًا ورعًا فخرج مرة فلقيه لص مقنع في السلاح فقال له
ضع ما معك فإني قاتلك قال ما تريد إلى دمي شأنك بالمال
فقال أما المال فلي ولست أريد إلا دمك قال أما إذا أبيت فلى؟
فذرني أصلي أربع ركعات قال صل ما بدا لك فتوضأ
ثم صلى أربع ركعات فكان من دعائه في آخر سجدة أن
قال يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالًا لما يريد أسألك
بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي
ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص يا مغيث
أغثني ثلاث مرات فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة
قد وضعها بين أذني فرسه فلما بصر به اللص أقبل نحوه
فطعنه فقتله ثم أقبل إليه فقال قم فقال من أنت بأبي أنت
وأمي فقد أغاثني الله بك اليوم قال أنا ملك من أهل السماء

الرابعة دعوت بدعائك الاول فسمعت لابواب السما قعقعة
ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لاهل السما ضجة ثم دعوت
بدعائك الثالث فقيل لي دعا مكروب فسالت الله ان يوليني
قتله قال الحسن فمن توضا وصلى اربع ركعات ودعا بهذا
الدعاء استجيب له مكروبا كان او غير مكروب

فصل

وكثيرا ما نجد ادعية دعا بها قوم فاستجيب لهم ويكون قد
اقترن بالدعا ضرورة صاحبه واقباله على الله او حسنة
تقدمت منه جعل الله سبحانه اجابة دعوته شكرا لحسنته
او صادف وقت اجابة ونحو ذلك فاجيبت دعوته فيظن
الظان ان السر في لفظ ذلك الدعا فياخذه مجردا عن
تلك الامور التي قارنته من ذلك الداعي وهذا كما اذا استعمل
رجل دوا نافعا في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي
ينبغي فانتفع به فظن غيره ان استعمال هذا الدوا بمجرده كاف
في حصول المطلوب كان غالطا وهذا موضع يغلط فيه
كثير من الناس ومن هذا انه قد يتفق دعاوه باضطرار
وصدق اللجا الى الله فاذا حصل ذلك في بيت من بيوت
الله كان افضل واحب الى الله ط

فصل

والادعية والتعوذات بمنزلة السلاح والسلاح بضاربه لا بحده
فقط فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا افة به والساعد ساعد
قوي والمانع مفقود حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف
واحد من هذه الثلثة تخلف التاثير فاذا كان الدعا في نفسه
غير صالح او الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعا او كان
ثم مانع من الاجابة لم يحصل الاثر

فصل

سؤال وههنا سؤال مشهور وهو ان المدعو به ان كان قد قدر
لم يكن بد من وقوعه دعا به العبد او لم يدع وان لم يكن قد
قدر لم يقع سوا سأله العبد او لم يسأله فظنت طائفة
صحة هذا السؤال فتركت الدعا وقالت لا فائدة فيه وهؤلا
مع فرط جهلهم وضلالهم متناقضون فان طرد مذهبهم يوجب
تعطيل جميع الاسباب فيقال لاحدهم ان كان الشبع
والري قد قدرا لك فلا بد من وقوعهما اكلت او لم تاكل
وان لم يقدرا لم يقعا اكلت او لم تاكل وان كان الولد قد قدر
لك فلا بد منه وطئت الزوجة والامة او لم تطا وان لم يقدر
لم يكن فلا حاجة الى التزوج والتسري وهلم جرا فهل يقول هذا
عاقل او ادمي بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الاسباب
التي بها قوامه وحياته فالحيوانات اعقل وافهم من هؤلا الذين
هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وتكايس بعضهم وقال الاشتغا ن

ما الدعاء من باب التعبد المحض مثلا به علمه الداعي من غير
ان يكون له تاثير في المطلوب بوجه ما لا يرتفع عنه هذا
العكس بين الدعاء وبين الامساك عنه بالقلب واللسان في
التاثير في حصول المطلوب وارتباط الدعاء عندهم به كارتباط
السكوت لا فرق وقالت طائفة اخرى اكيس من هولاء
بل الدعاء علامة مجردة نصبها الله تعالى امارة على قضاء الحاجة
فمتى وفق العبد للدعاء كان ذلك علامة له وامارة على ان حاجته
قد قضيت وهذا كما اذا راينا غيما اسود باردا في زمن
الشتاء فان ذلك دليل وعلامة على انه يمطر قالوا وهكذا
حكم الطاعات مع الثواب والكفر والمعاصي مع العقاب
هي امارات محضة لوقوع الثواب والعقاب لا انها اسباب
له وهكذا عندهم الكسر مع الانكسار والحرق مع الاحراق
والازهاق مع القتل ليس شيء من ذلك سببا البتة
ولا ارتباط بينه وبين ما ترتب عليه الا مجرد الاقتران
العادي لا التاثير السببي وخالفوا بذلك الحس والعقل
والشرع والفطرة وسائر طوائف العقلاء بل اضحكوا عليهم
العقلاء والصواب ان هاهنا قسما ثالثا غير ما ذكره
السائل وهو ان هذا المقدور قدر باسباب ومن

اسبابه الدعاء فلم يقدر مجردا عن سببه ولكن قدر بسببه
فمتى اتى العبد بالسبب وقع المقدور ومتى لم يات بالسبب
انتفى المقدور وهذا كما قدر الشبع والري بالاكل والشرب
وقدر الولد بالوطء وقدر حصول الزرع بالبذر وقدر
خروج نفس الحيوان بذبحه وكذلك قدر دخول الجنة
بالاعمال ودخول النار بالاعمال وهذا القسم هو الحق وهو الذي
حرمه السائل ولم يوفق له وحينئذ فالدعاء من اقوى الاسباب
فاذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح ان يقال لا فائدة
في الدعاء كما لا يقال لا فائدة في الاكل والشرب وجميع
الحركات والاعمال وليس شيء من الاسباب انفع من
الدعاء ولا ابلغ في حصول المطلوب ولما كان الصحابة رضي الله
عنهم اعلم الامة بالله ورسوله وافقههم في دينه كانوا اقوم
بهذا السبب وشروطه وادابه من غيرهم وكان عمر رضي الله
عنه يستنصر به على عدوه وكان اعظم جنده وكان يقول
لاصحابه لستم تنصرون بكثرة وانما تنصرون من السماء
وكان يقول اني لا احمل هم الاجابة ولكن احمل هم الدعاء
فاذا الهمت الدعاء فان الاجابة معه واخذ الشاعر هذا فنظمه فقال
لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه من جود كفك ما عودتني الطلبا
من الهم الدعاء فقد اريد به الاجابة فان الله سبحانه يقول

ادعوني أستجب لكم وقال وإذا سألك عبادي عني فإني
قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان وفي سنن ابن ماجه
من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لم يسأل الله يغضب عليه وهذا يدل على أن رضاه في سؤاله
وطاعته وإذا رضي الرب تبارك وتعالى فكل خير في رضاه
كما أن كل بلاء ومصيبة في غضبه وقد ذكر الإمام أحمد في كتاب الزهد
أنا الله لا إله إلا أنا إذا رضيت باركت وليس لبركتي منتهى وإذا بلغت
غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد وقد دل العقل
والنقل والفطر وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها ومللها
ونحلها على أن التقرب إلى رب العالمين وطلب مرضاته والبر
والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل
خير وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر
فما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه بمثل طاعته
والتقرب إليه والإحسان إلى خلقه وقد رتب الله سبحانه
حصول الخيرات في الدنيا والآخرة وحصول الشرور في
الدنيا والآخرة في كتابه على الأعمال ترتب الجزاء على الشرط
والمعلول على العلة والمسبب على السبب وهذا في القرآن
يزيد على ألف موضع فتارة يرتب الحكم الخبري الكوني والأمري

الشرعي

والأمر الشرعي على الوصف المناسب له كقوله فلما عتوا عما نهوا عنه
قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم وقوله
والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما وقوله إن المسلمين والمسلمات
الآية وهذا كثير جدا وتارة يرتبه عليه بصيغة الشرط والجزاء كقوله
إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم وقوله
فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين
وقوله وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا
ونظائره وتارة يأتي بلام التعليل كقوله ليدبروا آياته وليتذكر
أولوا الألباب وقوله لتكونوا شهداء على الناس وتارة يأتي
بأداة كي التي للتعليل كقوله كي لا يكون دولة بين الأغنياء
منكم وتارة يأتي بباء السببية كقوله ذلك بما قدمت أيديكم
وقوله بما كنتم تعملون وقوله بما كنتم تكسبون وقوله ذلك
بأنهم كفروا بآياتنا وتارة يأتي بالمفعول لأجله ظاهرا أو محذوفا
كقوله فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن
تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وقوله أن تقولوا
إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وقوله أن تقولوا لو
أنا كنا عن هذا غافلين أي كراهة أن تقولوا وتارة يأتي بفاء

بفا السببيه لقوله فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم
فسواها وقوله فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية
وقوله فكذبوهما فكانوا من المهلكين ونظايره وتارة ياتي
باداة لما الداله على الجزا كقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم ونظايره
وتارة بان وما عملت فيه كقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات
وقوله في ضد هولا انهم كانوا قوم سو فاغرقناهم اجمعين
وتارة ياتي باداة لولا الداله على ارتباط ما قبلها بما بعدها كقوله
فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
وتارة بلو الداله على الشرط كقوله ولو انهم فعلوا ما يوعظون
به لكان خيرا لهم وبالجمله فالقران من اوله الى اخره صريح في ترتب
الجزا بالخير والشر والاحكام الكونيه الامريه على الاسباب
بل ترتب احكام الدنيا والاخره ومصالحهما ومفاسدهما
على الاسباب والاعمال ومن تفقه في هذه المسله وتاملها
حق التامل انتفع بها غاية الانتفاع ولم يتكل على القدر جهلا السفع
منه وعجزا وتفريطا واضاعة فيكون توكله عجزا وعجزه توكلا
بل الفقيه كل الفقيه الذي يرد القدر بالقدر ويدفع القدر
بالقدر ويعارض القدر بالقدر بل لا يمكن الانسان ان يعيش
الا بذلك فان الجوع والعطش والبرد وانواع المخاوف

والمحاذير هي من القدر والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر
بالقدر وهكذا من وفقه الله والهمه رشده يدفع قدر
العقوبه الاخرويه بقدر التوبه والايمان والاعمال الصالحه فهذا
وزان القدر المخوف في الدنيا وما يضاده فرب الدارين
واحد وحكمته واحده لا يناقض بعضها بعضا ولا يبطل بعضها
بعضا فهذه المسله من اشرف المسايل لمن عرف قدرها
ورعاها حق رعايتها والله المستعان لكن يبقى عليه امران
بهما تتم سعادته وفلاحه احدهما ان يعرف تفاصيل اسباب
الشر والخير ويكون له بصيره في ذلك بما يشاهده في العالم وما جربه
في نفسه وغيره وما سمعه من اخبار الامم قديما وحديثا ومن
انفع ما في ذلك تدبر القران فانه كفيل بذلك على اكمل الوجوه وفيه
اسباب الشر والخير جميعا مفصلة مبينة ثم السنه فانها
شقيقة القران وهي الوحي الثاني ومن صرف اليهما عنايته
اكتفى بهما عن غيرهما وهما يريانك الخير والشر واسبابهما حتى كانك
تعاين ذلك عيانا وبعد ذلك اذا تاملت اخبار الامم وايام
الله في اهل طاعته واهل معصيته طابق ذلك ما علمته من القران
والسنه ورايته بتفاصيل ما اخبر الله به ووعد به وعلمت من اياته

في الافاق ما يدلك على ان القران حق وان الرسول حق وان الله منجز
وعده لا محالة فالتائب تحصيل الدرجات ما اعد لنا الله ورسوله
به من الاسباب الالهية الحسية والشرعية فصل الامر
الثاني ان يجد من معالجة نفسه لاجل هذه الاسباب في هذا
من اهم الامور فان العبد يعرف ان المعصية والغفلة من الاسباب
المضرة له في دنياه واخرته ولا بد ولكن تغالطه النفس بالاتكال على عفو
الله ومغفرته تارة وبالتسويف بالتوبة تارة وبالاستغفار
باللسان تارة وبفعل المندوبات تارة وبالعلم تارة وبالاحتجاج
بالقدر تارة وبالاحتجاج بالاشباه والنظراء والاقتداء بالاكابر
تارة وكثير من الناس وكثير من الناس يظن انه لو فعل
ما فعل ثم قال استغفر الله زال الذنب وراح هذا بهذا
وقال لي رجل من المنتسبين الى الفقه انا افعل ما افعل ثم
اقول سبحان الله وبحمده مائة مرة وقد غفر ذلك اجمعه كما صح عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال في يوم سبحان الله
وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر
وقال لي اخر من اهل مكة نحن احدنا اذا فعل ما فعل
اغتسل وطاف بالبيت اسبوعا وقد محي عنه ذلك وقال لي
اخر قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذنب عبد ذنبا

فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفر لي فغفر له ذنبه ثم مكث
ما شاء الله ثم اذنب ذنبا اخر فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفره
لي فقال الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به
قد غفرت لعبدي فليصنع ما شاء قال وانا لا اشك ان لي
ربا يغفر الذنب ويأخذ به وهذا الضرب من الناس قد تعلق
بنصوص الرجاء واتكل عليها وتعلق بكلتا يديه واذا عوتب على
الخطايا والانهماك فيها سرد لك ما يحفظه من سعة رحمة الله
ومغفرته ونصوص الرجاء وللجهال من هذا الضرب من الناس في
هذا الباب غرائب وعجائب كقول بعضهم
وكثر ما استطعت من الخطايا اذا كان القدوم على كريم
وقول الاخر التنزه من الذنوب جهل بسعة عفو الله
وقول الاخر ترك الذنوب جرأة على مغفرة الله واستصغارها
وقال ابو محمد بن حزم رأيت بعض هؤلاء يقول في دعائه اللهم اني
اعوذ بك من العصمة ومن هؤلاء المغرورين من يتعلق بمسألة
الجبر وان العبد لا فعل له البتة ولا اختيار وانما هو مجبور
على فعل المعاصي ومن هؤلاء من يغتر بمسألة الارجاء وان الايمان
هو مجرد التصديق والاعمال ليست من الايمان وان ايمان افسق الفاسقين

الناس

كايمان جبريل وميكائيل ومن هؤلاء من يعتقد في بعض الفقرا والمشايخ
والصالحين ويلتزم التردد الى قبورهم والتضرع اليهم والاستشفاع
بهم ليتوسل الى الله بهم ويتوسل بتقدمهم عليه وحرمتهم عنده ومنهم من
يعتقد بانه وان اساء وان لم يعبد الله متكلا وصلاحا لا بد عون
ان يخلصوه كما تشاهد من خواص الملوك فان الملوك تهب
لخواصهم ذنوب ابنائهم واقاربهم اذا وقع لاحدهم من امر او سخط
خلصه ابوه وجده بجاهه ومنزلته ومنهم من يعتقد بان الله غني
عن عذابه وعذابه لا يزيد في ملكه شيئا ورحمته لا تنقص
من ملكه شيئا فيقول انا مضطر الى رحمته وهو غني عن عذابي
ولو ان فقيرا مسكينا مضطرا الى شربة ماء عند من في داره
شط جري لما منعه منها فالله اكرم واوسع فالمغفرة لا تنقصه
شيئا والعقوبة لا تزيد في ملكه شيئا ومنهم من يعتقد بفهمه الفاسد
ما فهمه هو واضرابه من نصوص القرآن والسنة فاتكلوا عليه كما اتكل
بعضهم على قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قالوا وهو لا
يرضى ان يكون احد من امته في النار وهذا من اقبح الجهل
وابين الكذب عليه فانه يرضى بما يرضى به ربه عز وجل والله تعالى
يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والخونة المصرين على الكبائر

فحاشى رسوله ان لا يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وكما اتكل بعضهم على
قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا ايضا من اقبح الجهل فان الشرك
داخل في هذه فانه راس الذنوب واساسها ولا خلاف ان هذه الاية
في حق التائبين فانه يغفر ذنب كل تائب اي ذنب كان ولو كانت الاية
في حق غير التائبين لبطلت نصوص الوعيد كلها واحاديث اخراج
قوم من الموحدين من النار بالشفاعة وهذا انما اتي صاحبه
من قلة علمه وفهمه فانه سبحانه عمم واطلق فعلم انه اراد التائبين وفي
سورة النساء خصص وقيد فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاخبر سبحانه انه لا يغفر الشرك
واخبر انه يغفر ما دونه ولو كان هذا في حق التائب لم يفرق بين الشرك
وغيره وكاغترار بعض الجهال بقوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك غرني
الكريم فيقول كرمه وقد يقول بعضهم انه لقن المغتر حجته وهذا
جهل قبيح وانما غره بربه الغرور وهو الشيطان ونفسه
الامارة بالسوء وجهله وهواه واتى سبحانه بلفظ الكريم وهو السيد
العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا اهمال حقه فوضع هذا
المغتر الغرور في غير موضعه واغتر بمن لا ينبغي الاغترار به وكاغترار
بعضهم بقوله لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى

ولم يرد هذا المعترض قوله فانذرتكم نارا تلظى هو لنا ومخصوصة بمن
جعله دركات جهنم ولكن نضجت جلودهم فهو سبحانه لم يقل لا يدخلها بل قال
لا يصلاها الا الاشقى ولا يلزم من عدم صليها عدم دخولها فان
الصلي اخص من الدخول ونفي الاخص لا يستلزم نفي الاعم ثم ان هذا المعترض
لو تامل الاية التي بعدها لعلم انه غير داخل فيها فلا يكون مضمونا له
انه يجنبها واما قوله في النار اعدت للكافرين فقد قال في الجنة اعدت
للمتقين ولا ينافي اعداد الجنة للمتقين ان يدخلها من في قلبه مثقال
ذرة من ايمان فهو لم يعمل خيرا قط وكاتكال بعضهم على صوم يوم عاشورا
او يوم عرفة حتى يقول بعضهم يوم عاشورا يكفر الذنوب للعام كلها
ويبقى صوم يوم عرفة زيادة في الاجر ولم يدر هذا المغتر ان صوم
رمضان والصلوات الخمس اعظم واجل من صيام يوم عرفة ويوم
عاشورا وهي انما تكفر ما بينهما اذا اجتنبت الكبائر فرمضان
والجمعة الى الجمعة لا يقويان على تكفير الصغائر الا مع انضمام ترك الكبائر
اليها فيقوى مجموع الامرين على تكفير الصغائر فكيف يكفر صوم يوم
تطوع كل كبيرة عملها العبد وهو مصر عليها غير تائب منها هذا
محال على انه لا يمتنع ان يكون صوم يوم عرفة ويوم عاشورا
مكفرا لجميع ذنوب العام على عمومه ويكون من نصوص الوعد التي لها

شروط وموانع ويكون اصراره على الكبائر مانعا من التكفير فاذا لم
يصر على الكبائر تساعد الصوم وعدم الاصرار وتعاونا على
عموم التكفير كما ان رمضان والصلوات الخمس مع اجتناب
الكبائر تساعدا وتعاونا على تكفير الصغائر مع انه سبحانه قد
قال ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فعلم
ان جعل الشي سببا للتكفير لا يمنع ان يتساعد هو وسبب
اخر على التكفير ويكون التكفير مع اجتماع السببين اقوى واتم منه
مع انفراد احدهما وكلما قويت اسباب التكفير كان اقوى
واتم واشمل وكاتكال بعضهم على قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا
عن ربه انا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما شا يعني ما
كان في ظنه فاني فاعله به ولا ريب ان حسن الظن انما يكون
مع الاحسان فان المحسن حسن الظن بربه انه يجازيه على
احسانه ولا يخلف وعده ويقبل توبته واما المسي المصر على
الكبائر والظلم والمخالفات فان وحشة المعاصي والظلم والاجرام تمنعه
من حسن الظن بربه وهذا موجود في الشاهد فان العبد
الابق المسي الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به
ولا يجامع وحشة الاساءة احسان الظن ابدا فان المسي

مستوحش بقدر إساءته وأحسن الناس ظناً بربه أطوعهم له كما قال
الحسن البصري إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل وإن
الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل وكيف يكون محسن الظن بربه
من هو شارد عنه حال مرتحل في مساخطه وما يغضبه متعرض
للعنته قد هان حقه وأمره عليه فأضاعه وهان نهيه عليه فارتكبه
وأصر عليه وكيف يحسن الظن بربه من بارزه بالمحاربة وعادى أولياءه
ووالى أعداءه وجحد صفات كماله وأساء الظن بما وصف به نفسه
ووصفه به رسوله وظن بجهله أن ظاهر ذلك ضلال وكفر وكيف يحسن
الظن به من ظن أنه لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يرضى ولا يغضب
وقد قال تعالى في حق من شك في تعلق سمعه ببعض الجزئيات
وهو السر من القول وذلكم ~~ظنكم الذي~~ ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم
فأصبحتم من الخاسرين فهؤلاء لما ظنوا أن الله سبحانه لا يعلم كثيراً
مما تعملون كان هذا إساءة لظنهم بربهم فأرداهم ذلك الظن وهذا
شأن كل من جحد صفات كماله ونعوت جلاله ووصفه بما لا
يليق به فإذا ظن هذا أنه يدخل الجنة كان هذا غروراً وخداعاً
من نفسه وتسويلاً من الشيطان لا إحسان ظن بربه فتأمل
هذا الموضع وتأمل شدة الحاجة إليه وكيف يجتمع في قلب العبد

تيقنه بأنه ملاق الله وأن الله يسمع كلامه ويرى مكانه ويعلم سره
وعلانيته ولا يخفى عليه خافية من أمره وأنه موقوف بين يديه ومسؤول
عن كل ما عمل وهو مقيم على مساخطه مضيع لأوامره معطل لحقوقه
وهو مع هذا يحسن الظن به وهل هذا إلا من خدع النفوس
وغرور الأماني وقد قال أبو أمامة بن سهل بن حنيف دخلت
أنا وعروة بن الزبير على عائشة رضي الله عنها فقالت لو رأيتما رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مرض له وكانت عندي ستة دنانير أو سبعة
فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أفرقها قالت فشغلني وجع
النبي صلى الله عليه وسلم حتى عافاه الله ثم سألني عنها فقال ما فعلت
الستة أو السبعة الدنانير فقلت لا والله لقد كان شغلني وجعك
قالت فدعا بها فوضعها في كفه فقال ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه
عنده وفي لفظ ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده فيا لله ما ظن
أصحاب الكبائر والظلمة بالله إذا لقوه ومظالم العباد عندهم
فإن كان ينفعهم قولهم حسنا ظنوننا بك إنك لم تعذب ظالماً ولا
فاسقاً فليصنع العبد ما شاء وليرتكب كل ما نهاه الله عنه وليحسن
ظنه بالله فإن النار لا تمسه فسبحان الله ما يبلغ الغرور بالعبد
وقد قال إبراهيم لقومه أئفكاً آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين

أي ما ظنكم به أن يفعل بكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ومن تأمل هذا
الموضع حق التأمل علم أن حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه
فإن العبد إنما حمله على حسن العمل حسن ظنه بربه أن يجازيه على
أعماله ويثيبه عليها ويتقبلها منه فالذي حمله على العمل حسن الظن
فكلما حسن ظنه حسن عمله وإلا فحسن الظن مع اتباع الهوى
عجز كما في الترمذي والمسند من حديث شداد بن أوس عن النبي
صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وبالجملة فحسن الظن
إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة وأما مع انعقاد أسباب
الهلاك فلا يتأتى إحسان الظن فإن قيل بل يتأتى ذلك
ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة الله ورحمته وعفوه وجوده
وأن رحمته سبقت غضبه وأنه لا تنفعه العقوبة ولا يضره العفو
قيل الأمر هكذا والله فوق ذلك وأجل وأكرم وأجود وأرحم ولكن
إنما يضع ذلك في محله اللائق به فإنه سبحانه موصوف بالحكمة والعزة
والانتقام وشدة البطش وعقوبة من يستحق العقوبة فلو كان
معول حسن الظن على مجرد صفاته وأسمائه لاشترك في ذلك
البر والفاجر والمؤمن والكافر ووليه وعدوه فما ينفع المجرم

١٠

أسماؤه وصفاته وقد باء بسخطه وغضبه وتعرض للعنته وأوقع
في محارمه وانتهك حرماته بل حسن الظن ينفع من تاب وندم وأقلع
وبدل السيئة بالحسنة واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم حسن
الظن فهذا حسن الظن والأول غرور والله المستعان ولا
تستطل هذا الفصل فإن الحاجة إليه شديدة لكل أحد ففرق
بين حسن الظن بالله وبين الغرة به قال تعالى إن الذين آمنوا
والذين [وهاجروا] وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله فجعل
هؤلاء أهل الرجاء لا البطالين والفاسقين وقال تعالى إن ربك
للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك
من بعدها لغفور رحيم فأخبر سبحانه أنه بعد هذه الأشياء
غفور رحيم لمن فعلها فالعالم يضع الرجاء مواضعه والجاهل
المغتر يضعه في غير مواضعه

فصل وكثير

من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه وضيعوا أمره
ونهيه ونسوا أنه شديد العقاب وأنه لا يرد بأسه عن
القوم المجرمين ومن اعتمد على العفو مع الإصرار فهو كالمعاند
قال معروف رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق
وقال بعض العلماء من قطع عضوا منك في الدنيا بسرقة

ثلاثة دراهم لا تأمن أن تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا وقيل
للحسن نراك طويل البكاء فقال أخاف أن يطرحني في النار ولا
يبالي وسأل رجل الحسن فقال يا أبا سعيد كيف نصنع بمجالسة
أقوام يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال والله لأن تصحب أقواما
يخوفونك حتى يدركك أمنا خير من أن تصحب قوما يؤمنونك حتى
تلحقك المخاوف وقد ثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم
القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور في النار
كما يدور الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون يا فلان
ما أصابك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول
كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه وذكر
الإمام أحمد من حديث أبي رافع قال مر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالبقيع فقال أف لك أف لك فظننت أنه يريدني فقال
لا ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعيا على آل فلان فغل نمرة
فدرع الآن مثلها من نار وفي مسنده أيضا من حديث أنس
ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة
أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت

من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من أهل الدنيا كانوا يأمرون الناس بالبر
وينسون أنفسهم أفلا يعقلون وفيه أيضا من حديثه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار
من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل
فقال هؤلاء الذين كانوا يأكلون لحوم الناس ويقعون في
أعراضهم وفيه أيضا عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر
أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول
الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا فقال نعم إن
القلوب بين أصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها كيف شاء وفيه
أيضا عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما لي
لم أر ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك منذ خلقت النار
وفي صحيح مسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى
بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ في النار صبغة
ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط فيقول لا والله لا
يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة
فيصبغ في الجنة صبغة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت
بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب

ما رئي يونس قط ولا راسه شله قط وفي المسند من حديث البرا بن
عازب قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار
فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا
حوله كان على رووسنا الطير وفي يده عود ينكت في الارض فرفع
راسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا
ثم قال ان العبد المومن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال
من الاخرة نزل اليه ملايكة من السما بيض الوجوه كان وجوههم
الشمس معهم كفن من اكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى
يجلسوا منه مد البصر ثم يجي ملك الموت حتى يجلس عند راسه
فيقول ايتها النفس الطيبة اخرجي الى مغفرة من الله
ورضوان فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقا فياخذها
فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى ياخذوها فيجعلوها
في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت
على وجه الارض فيصعدون بها ولا يمرون بها على ملا من الملايكة
الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان ابن فلان باحسن
اسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا به الى السما
فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سما مقربوها الى السما

التي تليها حتى ينتهي به الى السما السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا
كتاب عبدي في عليين واعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم
وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى قال فتعاد روحه
فياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي
الله عز وجل فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان
له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له
وما علمك فيقول قرات كتاب الله فامنت به وصدقت فينادي
مناد من السما ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة والبسوه
من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة قال فياتيه من روحها وطيبها
ويفسح له في قبره مد بصره قال وياتيه رجل حسن الوجه حسن
الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي يسرك هذا يومك
الذي كنت توعد فيقول من انت فوجهك الوجه الذي
يجي بالخير فيقول انا عملك الصالح فيقول رب اقم الساعة رب اقم
الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال وان العبد الكافر اذا كان
في انقطاع من الدنيا واقبال من الاخرة نزل اليه من السما
ملايكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد
البصر ثم يجي ملك الموت حتى يجلس عند راسه فيقول ايتها

النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب قال فتفرق في
جسده فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فياخذها
فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك
المسوح ويخرج منها كانتن جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون
بها فلا يمرون على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح
الخبيث فيقولون فلان بن فلان باقبح اسمائه التي كان يسمى
بها في الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم
الخياط فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الارض
السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرا ومن يشرك بالله فكانما
خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق
فتعاد روحه في جسده وياتيه ملكان فيقولان له من ربك
فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه؟
هاه لا ادري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول
هاه هاه لا ادري فينادي مناد من السماء ان كذب عبدي
فافرشوه من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى
النار فياتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى

تختلف فيه اضلاعه وياتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن
الريح فيقول ابشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد
فيقول ومن انت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر فيقول انا
عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة وفي لفظ لاحمد ايضا
ثم يقيض له اعمى ابكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان ترابا
فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه
ضربة اخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء الا الثقلين قال البراء
ثم يفتح له باب من النار ويمهد له من فرش النار وفي
المسند ايضا عنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ ابصر جماعة فقال علام اجتمع هؤلاء قيل على قبر يحفرونه ففزع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدر بين يدي اصحابه مسرعا حتى
انتهى الى القبر فجثى على ركبتيه فاستقبلته لانظر ما يصنع
فبكى حتى بل الثرى من دموعه ثم اقبل علينا فقال اي
اخواني لمثل هذا اليوم فاعدوا وفي المسند من حديث بريدة
قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فنادى
ثلاث مرات يا ايها الناس تدرون ما مثلي ومثلكم قالوا الله
ورسوله اعلم فقال انما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا
ان ياتيهم فبعثوا رجلا يترايا لهم فابصر العدو فاقبل لينذرهم

وخشي أن يدركه الحد قبل أن يتداركه توبة فأهوى بشوبه إلى
الماء بين أيديهم إلى الماء شر أنفسهم ثلث مرات وفي صحيح مسلم حديث
جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما أسكر حرام إن على
الله عز وجل عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال
قيل وما طينة الخبال قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار
وفي المسند أيضا من حديث أبي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها
أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجد لو تعلمون
ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم
بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل
قال أبو ذر والله لوددت أني شجرة تعضد وفي المسند أيضا
من حديث حذيفة قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في
جنازة فلما انتهينا إلى القبر قعد على شفته فجعل يردد
بصره فيه ثم قال يضغط المؤمن فيه ضغطة تزول منها حمائله
ويملأ على الكافر نارا زاد الحمائل عروق الأنثيين وفي المسند أيضا
من حديث جابر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى سعد بن معاذ حين توفي فلما صلى عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووضع في قبره وسوي عليه سبح رسول الله صلى

الله عليه وسلم فسبحنا طويلا ثم كبر فكبرنا فقيل يا رسول الله لم
سبحت ثم كبرت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه
الله عنه وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على
أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني قدموني وإن
كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها
كل شيء إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق وفي مسند
الإمام أحمد من حديث أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا
تغلي منها الرؤوس كما تغلي القدور يعرقون فيها على قدر خطاياهم
منهم من يبلغ إلى عقبيه ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ومنهم من يبلغ
إلى وسطه ومنهم من يلجمه العرق وفيه عن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى
جبهته يسمع متى يؤمر فينفخ فقال أصحابه كيف نقول قال قولوا
حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وفي المسند أيضا عن
ابن عمر يرفعه من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله
تبارك وتعالى وهو عليه غضبان ذكر الضحاك عنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ان المصورين يعذبون يوم القيمة ويقال لهم
احيوا ما خلقتم وفيهما عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان احدكم اذا
مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن
اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار ويقال
فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل يوم القيمة وفيهما
ايضا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار جيء بالموت حتى يوقف بين الجنة والنار
ثم يذبح ثم ينادي مناد يا اهل الجنة خلود ولا موت ويا
اهل النار خلود ولا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم
ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم وفي المسند عنه قال من
اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما
دام عليه ثم ادخل اصبعيه في اذنيه ثم قال صمتا ان لم اكن
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقوله وفيه عن عبد الله بن عمرو
عن النبي صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة سكرا مرة واحدة
فكانما كانت له الدنيا وما عليها فسلبها ومن ترك الصلاة
سكرا اربع مرات كان حقا على الله ان يسقيه من طينة
الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال عصارة

اهل جهنم وفيه ايضا مرفوعا من شرب الخمر لم يقبل الله
له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم
يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فلا
ادري في الثالثة او الرابعة قال فان عاد كان حقا على الله ان
يسقيه من ردغة الخبال يوم القيمة وفي المسند ايضا من
حديث ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات
مدمنا للخمر سقاه الله من نهر الغوطة قيل وما نهر الغوطة
قال نهر يجري من فروج المومسات يؤذي اهل النار ريح
فروجهن وفيه ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس
يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير
واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه
واخذ بشماله وفي المسند ايضا من حديث بن مسعود قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم ومحقرات الذنوب
فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وضرب لهن رسول الله صلى
الله عليه وسلم مثلا كمثل قوم نزلوا ارض فلاة فحضر صنيع القوم
فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا
سوادا واججوا نارا فانضجوا ما قذفوا فيها وفي الصحيح من حديث

ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الجسر على جهنم فاكون
اول من يجيز ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وبحافتيه
كلاليب مثل شوك السعدان تخطف الناس باعمالهم
فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو حتى اذا فرغ الله من القضاء
بين العباد واراد ان يخرج من النار من اراد ان يرحم
ممن كان يشهد ان لا اله الا الله امر الملائكة ان يخرجوهم
فيعرفونهم بعلامة اثار السجود وحرم الله على النار ان تاكل من
ابن ادم اثر السجود فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم ماء
يقال له ماء الحياة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل
وفي صحيح مسلم عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان اول الناس يقضى فيه يوم القيمة ثلاثة رجل استشهد فاتي به
فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت
قال كذبت ولكن قاتلت ليقال هو جرئ فقد قيل ثم امر به
فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه
وقرا القران فاتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها
قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرات فيك القران فقال كذبت
ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرات القران

ليقال هو قارئ فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في
النار ورجل وسع الله عليه واعطاه من اصناف المال كله
فاتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها فقال ما تركت
من سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفقت فيها لك قال كذبت
ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم امر به فسحب على
وجهه حتى القي في النار وفي لفظ فهولاء اول خلق الله تسعر بهم
النار يوم القيمة وسمعت شيخ الاسلام يقول
كما ان خير الناس الانبياء فشر الناس من تشبه بهم من
الكذابين وادعى انه منهم وليس منهم وخير الناس بعدهم العلماء
والشهداء المتصدقون المخلصون وشر الناس من تشبه بهم
يوهم انه منهم وليس منهم وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم من كانت عنده لاخيه مظلمة في مال او
عرض فلياته فليستحله منه قبل ان يوخذ وليس عنده دينار
ولا درهم فان كانت له حسنات اخذ من حسناته فاعطيها
هذا والا اخذ من سيئات هذا فطرحت عليه ثم طرح في النار
وفي الصحيح من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من اخذ
شبرا من الارض بغير حقه خسف به يوم القيمة الى سبع

قال دخل رجل الجنة في ذباب قالوا وكيف ذلك يا رسول الله
قال مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه احد حتى يقرب له شيئا
فقالوا لاحدهما قرب قال ليس عندي شي قالوا له قرب ولو ذبابا
فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للاخر قرب
فقال ما كنت لاقرب لاحد شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه
فدخل الجنة وهذه الكلمة الواحدة يتكلم بها العبد يهوي بها في النار
ابعد ما بين المشرق والمغرب وربما اتكل بعض المغترين على ما يرى من
نعم الله عليه في الدنيا وانه لا يغير به ويظن ان ذلك من محبة الله له
وانه يعطيه في الاخرة افضل من ذلك وهذا من الغرور قال الامام
احمد ثنا يحيى بن غيلان ثنا رشدين بن سعد عن حرملة بن عمران
التجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا رايت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه
ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا قوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به
فتحنا عليهم ابواب كل شي حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون وقال بعض السلف اذا رايت الله يتابع عليك
نعمه وانت مقيم على معاصيه فاحذره فانما هو استدراج يستدرجك
به وقد قال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن

او رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم
هذه التي يوقد بنو ادم جزء من احد وسبعين جزءا من نار
جهنم قالوا والله ان كانت لكافية قال فانها قد فضلت عليها
بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها وفي المسند عن معاذ
قال اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تشرك بالله
شيئا وان قتلت وحرقت ولا تعقن والديك وان امراك
ان تخرج من اهلك ومالك ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا
فان من ترك صلاة مكتوبة فقد برئت منه ذمة الله ولا تشربن
خمرا فانه راس كل فاحشة واياك والمعصية فان المعصية
تحل سخط الله والاحاديث في هذا الباب اضعاف اضعاف
ما ذكرنا فلا ينبغي لمن نصح نفسه ان يتغافل عنها ويرسل
نفسه في المعاصي ويتعلق بحبل الرجا وحسن الظن قال
ابو الوفا بن عقيل احذره ولا تغتر به فانه قطع اليد في
ثلاثة دراهم وجلد الحد في مثل راس الابرة في الخمر وقد
دخلت امراة النار في هرة واشتعلت الشملة نارا على من
غلها وقد قتل شهيدا وقال الامام احمد ثنا ابو معاوية
ثنا الاعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب يرفعه

يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم
ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع
الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وقد رد سبحانه على من
ظن هذا الظن بقوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه
ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه
فيقول ربي اهانن كلا اي ليس كل من نعمته ووسعت
عليه رزقه اكون قد اكرمته ولا كل من ابتليته وضيقت عليه
رزقه اكون قد اهنته بل ابتلي هذا بالنعم واكرم هذا بالابتلاء
وفي جامع الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا من
يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال بعض السلف
رب مستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم ورب مغرور بستر الله عليه
وهو لا يعلم ورب مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم

فصل

اعظم الخلق غرورا من اغتر بالدنيا وعاجلها فاثرها على الاخرة
ورضي بها من الاخرة حتى يقول بعض هولاء الدنيا نقد والاخرة
نسيئة والنقد انفع من النسيئة ويقول بعضهم ذرة منقودة
ولا درة موعودة ويقول اخر منهم لذات الدنيا متيقنة ولذات
الاخرة مشكوك فيها ولا ادع اليقين بالشك وهذا من اعظم

تلبيس الشيطان وتسويله والبهائم العجم اعقل من هولاء فان
البهيمة اذا خافت مضرة شيء لم تقدم عليه ولو ضربت وهولاء يقدم
احدهم على عطبه وهو بين مصدق ومكذب فهذا الضرب ان
امن احدهم بالله ورسوله ولقائه والجزاء فهو من اعظم الناس
حسرة لانه اقدم على علم وان لم يؤمن بالله ورسوله فابعد له
وقول هذا القائل النقد خير من النسيئة جوابه
انه اذا تساوى النقد والنسيئة فالنقد خير وان تفاوتا
وكانت النسيئة ازيد وافضل فهي خير فكيف والدنيا كلها من
اولها الى اخرها كنفس واحد من انفاس الاخرة كما
في مسند الامام احمد والترمذي من حديث المستورد بن
شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة
الا كما يدخل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم ترجع فايثار هذا
النقد على هذه النسيئة من اعظم الغبن واقبح الجهل واذا كان هذا
نسبة الدنيا بمجموعها الى الاخرة فما مقدار عمر الانسان
بالنسبة الى الاخرة فايما اولى للعاقل ايثار العاجل في هذه
المدة اليسيرة وحرمان الخير الدائم في الاخرة ام ترك شيء صغير
حقير منقطع عن قرب ليأخذ ما لا قيمة له ولا خطر له ولا نهاية

لعدده ولا غاية لأمده فأما قول الآخر لا أترك متيقنا لمشكوك
فيه فيقال إما أن تكون على شك من وعد الله ووعيده وصدق
رسله أو تكون على يقين من ذلك فإن كنت على يقين من ذلك
فما تركت إلا ذرة عاجلة منقطعة فانية عن قريب لأمر
متيقن لا شك فيه ولا انقطاع له وإن كنت على شك فراجع
آيات الرب تعالى الدالة على وجوده وقدرته ومشيئته و
وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا به عن الله وتجرد
وقم لله ناظرا أو مناظرا حتى يتبين لك أن ما جاءت
به الرسل عن الله فهو الحق الذي لا شك فيه وأن خالق
هذا العالم ورب السماوات والأرض يتعالى ويتقدس
ويتنزه عن خلاف ما أخبرت به رسله عنه ومن نسبه إلى
غير ذلك فقد شتمه وكذبه وأنكر ربوبيته وملكه إذ
من المحال الممتنع عند كل ذي فطرة سليمة أن يكون
الملك الحق عاجزا أو جاهلا لا يعلم شيئا ولا يسمع ولا
يبصر لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا
يعز من يشاء ويذل من يشاء ولا يرسل رسله إلى أطراف
مملكته ونواحيها ولا يعتني بأحوال رعيته بل يتركهم سدى

ويخليهم هملا وهذا يقدح في ملك آحاد ملوك البشر ولا يليق
به فكيف يجوز نسبة الملك الحق المبين إليه إذا تأمل الإنسان
حاله من مبدأ كونه نطفة إلى حين كماله واستوائه
تبين له أن من عني به هذه العناية ونقله في هذه الأحوال
وصرفه في هذه الأطوار لا يليق به أن يهمله ويتركه سدى
لا يأمره ولا ينهاه ولا يعرفه حقوقه عليه ولا يثيبه ولا يعاقبه
ولو تأمل العبد حق التأمل لكان كل ما يبصره وما لا يبصره
دليلا على التوحيد والنبوة والمعاد وأن القرآن كلامه
وقد ذكرنا وجه الاستدلال بذلك في كتاب أيمان
القرآن عند قوله فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون
إنه لقول رسول كريم وذكرنا طرفا من ذلك عند
قوله وفي أنفسكم أفلا تبصرون وأن الإنسان دليل
نفسه على وجود خالقه وتوحيده وصدق رسله
وإثبات صفات كماله فقد بان أن المضيع مغرور على
التقديرين بتقدير تصديقه ويقينه وبتقدير تكذيبه
وشكه فإن قلت كيف يجتمع التصديق الجازم
الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلف العمل

وهل في الطباع السليمة ان يعلم العبد انه مطلوب
غدا الى بين يدي بعض الملوك عاقلا ليعاقبه اشد
العقوبة او يذكر منه اثام كثيرة وهو ساهيا غافلا لا
يتذكر موقفه بين يدي الملك ولا يستعد له ولا ياخذ
له اهبته فسل هذا الحمد لله صحيح وارد على اكثر الخلق
فاجتماع هذين الامرين من اعجب الاشيا وهذا التخلف
له علة اسباب احدها ضعف العلم ونقصان اليقين
ومن ظن ان العلم لا يتفاوت فقوله من افسد
الاقوال واطلها وقد سال ابرهيم الخليل ربه ان
يريه احيا الموتى عيانا بعد علمه بقدرة الرب
على ذلك ليزداد طمانينة ويصير المعلوم عيانا شهادة
وقد روى احمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ليس المخبر كالمعاين فاذا اجتمع الى ضعف العلم
عدم استحضاره وغيبته عن القلب في كثير من اوقاته
او اكثرها لاشتغاله بما يضاده وانضم الى ذلك تقاضي
الطبع وغلبات الهوى واستيلا الشهوة وتسويل النفس
وغرور الشيطان واستبطا الوعد وطول الامد

ورقدة الغفلة وحب العاجلة ورخص التاويل والف
العوايد فهناك لا يمسك الايمان الا الذي يمسك السموات
والارض ان تزولا وبهذا السبب تتفاوت الناس في
الايمان حتى ينتهي الى ادنى ادنى مثقال ذرة في القلب
وجماع هذه الاسباب ترجع الى ضعف البصيرة والصبر
ولهذا مدح الله سبحانه اهل الصبر واليقين وجعلهم ائمة الدين
فقال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا
وكانوا باياتنا يوقنون **فصل** فقد تبين
الفرق بين حسن الظن والغرور وان حسن الظن ان
حمل على العمل وحث عليه وساق اليه فهو صحيح وان دعى
الى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور وحسن
الظن هو الرجا فمن كان رجاوه حاديا له على الطاعة
زاجرا له عن المعصية فهو رجا صحيح ومن كانت بطالته
رجا ورجاوه بطالة وتفريطا فهو المغرور ولو ان
رجلا له ارض يومل ان يعود عليه من مغلها ما ينفعه
فاهملها ولم يبذرها ولم يحرثها وحسن ظنه بانه ياتي
من مغلها ما ياتي من حرث وبذر وسقى وتعاهد الارض

[illegible]

لعن الناس من استخفه السفه ولذلك لو حسن ظنه وقوى
رجاه بان يحب ولدين عن جماع او يصير اعلم اهل زمانه
من غير طلب العلم وحرص تام عليه وامثال ذلك ولذلك
من حسن ظنه وقوى رجاه في الفوز بالدرجات العلى
والنعيم المقيم من غير تقرب الى الله بامتثال اوامره
واجتناب نواهيه وما يليه التوحيد وقد قال تعالى ان
الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
اولئك يرجون رحمة الله فتامل كيف جعل رجاهم اتيانهم
بهذه الطاعات وقال المغرورون ان المفرطين المضيعين
لحقوق الله المعطلين لاوامره الباغين على عباده المتجرئين
على محارمه اولئك يرجون رحمة الله وسر المسئلة
ان الرجا وحسن الظن انما يكون مع الاتيان بالاسباب
التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته
فياتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ويرجوه ان لا يكله
اليها وان يجعلها موصلة الى ما ينفعه ويصرف ما يعارضها
ويبطل اثرها **فصل** ومما ينبغي ان
يعلم ان من رجا شيئا استلزم رجاه امورا احدها

محبة ما يرجوه الثاني خوفه من فواته الثالث سعيه
في تحصيله بحسب الامكان واما رجا لا يقارنه شي
من ذلك فهو من باب الاماني والرجا شي والاماني شي
اخر فكل راج خائف والسائر على الطريق اذا خاف
اسرع السير مخافة الفوات وفي جامع الترمذي من
حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة
الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وهو سبحانه كما جعل
الرجا لاهل الاعمال الصالحة كذلك جعل الخوف
لاهل الاعمال الصالحة فعلم ان الرجا والخوف النافع
هو ما اقترن به العمل قال تعالى ان الذين هم من
خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يومنون
والذين هم بربهم لا يشركون والذين يوتون ما
اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك
يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون وقد روى
الترمذي في جامعه عن عائشة قالت سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقلت اهم الذين

يشربون الخمر ويزنون ويسرقون فقال لا يا بنت الصديق
ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون
ان لا يتقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات وقد روي
من حديث أبي هريرة أيضا والله سبحانه وصف أهل السعادة
بالإحسان مع الخوف ووصف الأشقياء بالإساءة مع
الأمن ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية
العمل مع غاية الخوف ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط
والأمن فهذا الصديق يقول وددت أني شعرة في
جنب عبد مؤمن ذكره أحمد عنه وذكر عنه أنه كان يمسك
بلسانه ويقول هذا أوردني الموارد وكان يبكي كثيرا
ويقول ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وكان إذا قام
إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل وأتي
بطائر فقلبه ثم قال ما صيد من صيد ولا قطعت من
شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح لما احتضر قال لعائشة
يا بنية إني أصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذا
الحلاب وهذا العبد فأسرعي به إلى ابن الخطاب
وقال والله لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل

وتعضد وقال قتادة بلغني أن أبا بكر قال وددت أني خضرة
تأكلني الدواب وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور حتى بلغ
إن عذاب ربك لواقع فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه
وقال لابنه وهو في الموت ويحك ضع خدي على الأرض
عساه أن يرحمني ثم قال ويل أمي إن لم يغفر لي ثلاثا ثم قضى
وكان يمر بالآية في ورده بالليل فتخيفه فيبقى في البيت
أياما يعاد يحسبونه مريضا وكان في وجهه خطان
أسودان من البكاء وقال له ابن عباس مصر الله
بك الأمصار وفتح بك الفتوح وفعل وفعل فقال وددت
أني أنجو لا أجر ولا وزر وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه
كان إذا وقف على القبر يبكي حتى تبل لحيته وقال لو
أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت
أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير وهذا
علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبكاؤه وخوفه وكان
يشتد خوفه من اثنتين طول الأمل واتباع الهوى
فأما طول الأمل فينسي الآخرة وأما اتباع الهوى فيصد
عن الحق ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة

ولكل واحدة بنون فكونوا من ابنا الاخرة ولا تكونوا من
ابنا الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب
ولا عمل وهذا ابو الدرداء كان يقول ان اشد ما
اخاف على نفسي يوم القيمة ان يقال لي يا ابا الدرداء قد علمت
فكيف عملت فيما علمت وكان يقول لو تعلمون ما انتم لاقون
بعد الموت لما اكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا
على شهوة ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه ولخرجتم الى الصعيد
تضربون صدوركم وتبكوا على انفسكم ولوددت اني شجرة
تعضد ثم توكل وكان عبد الله بن عباس اسفل عينيه
مثل الشراك البالي من الدموع وكان ابو ذر يقول
يا ليتني كنت شجرة تعضد وددت اني لم اخلق وعرضت عليه
النفقة فقال عندنا عنز نحلبها واحمرة ننقل عليها الماء ومحرر
يخدمنا وفضل عباءة واني لاخاف الحساب فيها وقرا تميم
الداري ليلة سورة الجاثية فلما اتى على هذه الاية ام حسب
الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا
وعملوا الصالحات جعل يرددها ويبكي حتى اصبح وقال
ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فذبحني اهلي

واكلوا لحمي وحسوا مرقي وهذا باب يطول تتبعه
قال الحارثي رحمه ما خوف المومن
من ان يحبط عمله وهو لا يشعر وقال ابراهيم التيمي ما عرضت
قولي على عملي الا خشيت ان اكون مكذبا وقال ابن ابي مليكة
ادركت ثلثين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف
النفاق على نفسه ما منهم احد يقول انه على ايمان جبريل
وميكائيل ويذكر عن الحسن ما خافه الا مومن ولا
امنه الا منافق وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة
يقول انشدك الله هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعني في المنافقين فيقول لا والله ولا ازكي
بعدك احدا فسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول
ليس مراده اني لا ابري غيرك من النفاق بل المراد لا افتح
على هذا الباب فكل من سالني هل سماني لك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذكيه قلت وقريب من هذا قول
النبي صلى الله عليه وسلم للذي سأله ان يدعو الله ان
يكون من السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب
سبقك بها عكاشة ولم يرد ان عكاشة وحده احق بذلك

ممن عدا من الصحابة ولكن لو دعا القائم آخرًا وأخر وانقضى الباب
وربما قام من لم يستحق أن يكون منهم فكان الإمساك
أولى والله أعلم فصل فلنرجع إلى ما كنا فيه
من ذكر دوا الداء الذي إذا استمر أفسد دنيا العبد
وآخرته فمما ينبغي أن يعلم أن الذنوب تضر ولا بد أن ضررها
في القلوب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها
في الضرر وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه
الذنوب والمعاصي فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار
اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان
والمصائب وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء
وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعل صورته أقبح صورة
وأشنعها وباطنه أقبح من صورته وأشنع وبدل بالقرب بعدًا
وبالرحمة لعنة وبالجمال قبحًا وبالجنة نارًا تلظى وبالإيمان
كفرًا وبموالاة الولي الحميد أعظم عداوة ومشاقة وبزجل
التسبيح والتقديس والتهليل زجل الكفر والشرك والكذب
والزور والفحش وبلباس الإيمان لباس الكفر والفسوق
والعصيان فهان على الله غاية الهوان وسقط من
عنه

عينه غاية السقوط وحل عليه غضب الرب تبارك وتعالى
فأهواه ومقته أكبر المقت فأرداه فصار قوادًا لكل فاسق
ومجرم رضي لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة
فعياذًا بك اللهم من مخالفة أمرك وارتكاب نهيك
وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق
رؤوس الجبال وما الذي سلط الريح العقيم على قوم
عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل
خاوية ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم
ودوابهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة وما الذي
أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم
وماتوا عن آخرهم وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت
الملائكة نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها
فأهلكهم جميعًا ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها
عليهم فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم ولإخوانهم
أمثالها وما هي من الظالمين ببعيد وما الذي أرسل على
قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل فلما صار فوق
رؤوسهم أمطر عليهم نارًا تلظى وما الذي أغرق فرعون
وقومه في البحر ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم فالأجساد

للعذف وللامرواح للحرق وما الذي خسف بقارون
وداره واهله وما الذي اهلك القرون من بعد نوح
بانواع العقوبات ودمرها تدميرا وما الذي اهلك قوم
من بعد نوح بانواع صاحب يس حتى خمدوا عن اخرهم وما
الذي بعث على بني اسرائيل قوما اولي باس شديد فجاسوا
خلال الديار وقتلوا الرجال وسبوا الذرية والنسا واحرقوا
الديار ونهبوا الاموال ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فاهلكوا ما
قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيرا وما الذي سلط عليهم
انواع العقوبات مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد
ومرة بجور الملوك ومرة بمسخهم قردة وخنازير واخر ذلك
اقسم الرب تبارك وتعالى ليبعثن عليهم الى يوم القيمة
من يسومهم سوء العذاب وقال الامام احمد ثنا الوليد
ابن مسلم ثنا صفوان بن عمرو حدثني عبد الرحمن بن جبير
ابن نفير عن ابيه قال لما فتحت قبرس فرق بين اهلها فبكى
بعضهم الى بعض فرايت ابا الدرداء جالسا وحده
يبكي فقلت يا ابا الدرداء ما يبكيك في يوم اعز الله فيه
الاسلام واهله فقال ويحك يا جبير ما اهون الخلق
على الله عز وجل اذا اضاعوا امره بينا هي امة قاهرة

ظاهرة لهم الملك تركوا امر الله فصاروا الى ما ترى
وقال علي بن الجعد انا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت
ابا البختري يقول اخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لن يهلك الناس حتى يعذروا من انفسهم وفي
مسند احمد من حديث ام سلمة قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا ظهرت المعاصي في امتي
عمهم الله بعذاب من عنده فقلت يا رسول الله اما
فيهم يومئذ اناس صالحون قال بلى قالت فكيف يصنع
باولئك قال يصيبهم ما اصاب الناس ثم يصيرون
الى مغفرة من الله ورضوان وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه
وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله وفي كنفه ما لم
يمالي قراوها امراها وما لم يزك صلحاوها فجارها
وما لم يهن خيارها شرارها فاذا هم فعلوا ذلك رفع الله
يده عنهم ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب
ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر وفي المسند من حديث
ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفيه ايضا عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان تداعى

عليكم الامم من كل افق كما تداعى الاكلة على قصعتها قلنا يا رسول الله
امن قلة منا يومئذ قال انتم يومئذ كثير ولكن غثا كغثا السيل
تنتزع المهابة من قلوب العدو ويجعل في قلوبكم الوهن قالوا
وما الوهن قال حب الحياة وكراهة الموت وفي المسند من
حديث انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي
مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم
فقلت من هولاء يا جبريل قال هولاء الذين ياكلون لحوم الناس
ويقعون في اعراضهم وفي جامع الترمذي من حديث ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في اخر الزمان
قوم يختلون الدنيا بالدين ويلبسون للناس مسوك
الضان من اللين السنتهم احلى من السكر وقلوبهم قلوب
الذئاب يقول الله عز وجل ابي يغترون ام علي يجترئون فبي
حلفت لابعثن على اولئك منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيرانا
وذكر ابن ابي الدنيا من حديث جعفر بن محمد عن ابيه
عن جده قال قال علي ياتي على زمان لا يبقى من الاسلام الناس صح
الا اسمه ولا من القران الا رسمه مساجدهم يومئذ
عامرة وهي خراب من الهدى علماؤهم شر من تحت اديم السماء
منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود وذكر من حديث سماك عن

عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن ابيه قال اذا ظهر الزنا
والربا في قرية اذن الله عز وجل بهلاكها وفي مراسيل الحسن
اذا اظهر الناس العلم وضيعوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا
بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عز وجل عند ذلك فاصمهم
واعمى ابصارهم وفي سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب
قال كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال
يا معشر المهاجرين خمس خصال واعوذ بالله ان تدركوهن
ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى اعلنوا بها الا ابتلوا بالطواعين
والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم الذين مضوا ولا نقص قوم
من المكيال والميزان الا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور
السلطان وما منع قوم زكاة اموالهم الا منعوا القطر
من السما فلولا البهائم لم يمطروا ولا خفر قوم العهد
الا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم فاخذوا بعض ما في ايديهم
وما لم تعمل ائمتهم بما انزل الله عز وجل في كتابه الا جعل
الله باسهم بينهم شديدا وفي المسند والسنن من حديث
عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن ابي عبيدة بن

عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
من كان قبلكم كان إذا عمل العامل فيهم بالخطيئة جاءه الناهي
تعذيرا فإذا كان الغد جالسه وواكله وشاربه كأن لم
يره على خطيئة بالأمس فلما رأى الله عز وجل ذلك منهم ضرب
بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى
ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفس محمد
بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن
على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله بقلوب
بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم وذكر ابن أبي الدنيا عن
إبراهيم بن عمرو الصنعاني قال أوحى الله إلى يوشع بن نون
إني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا
من شرارهم قال رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار
قال إنهم لم يغضبوا لغضبي وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم
وذكر أبو عمر بن عبد البر عن أبي هريرة قال بعث الله عز وجل
ملكين إلى قرية أن دمراها بمن فيها فوجدا فيها رجلا قائما
يصلي في مسجد فقالا يا رب إن فيها عبدك فلانا يصلي فقال
الله عز وجل دمراها ودمراه معهم فإنه ما تمعر وجهه في قط
وذكر الحميدي عن سفيان بن عيينة قال حدثني سفيان

ابن سعيد عن مسعر أن ملكا أمر أن يخسف بقرية فقال رب
إن فيها فلانا العابد فأوحى الله عز وجل إليه أن به فابدأ فإنه
لم يتمعر وجهه في ساعة قط وذكر ابن أبي الدنيا عن وهب بن منبه
قال لما أصاب داود الخطيئة قال يا رب اغفر لي قال قد
غفرتها لك وألزمت عارها بني إسرائيل قال يا رب كيف وأنت
الحكم العدل لا تظلم أحدا أنا عملت الخطيئة وتلزم عارها غيري
فأوحى الله إليه أنك لما عملت الخطيئة لم يعجلوا عليك بالإنكار
وذكر ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك أنه دخل على عائشة
هو ورجل آخر فقال لها الرجل يا أم المؤمنين حدثينا عن
الزلزلة فقالت إذا استباحوا الزنا وشربوا الخمور وضربوا
بالمعازف غار الله عز وجل في سمائه فقال للأرض تزلزلي
بهم فإن تابوا ونزعوا وإلا هدمها عليهم قال يا أم المؤمنين أعذابا
لهم قالت بل موعظة ورحمة للمؤمنين ونكالا وعذابا وسخطا
على الكافرين فقال أنس ما سمعت حديثا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا أشد فرحا مني بهذا الحديث وذكر ابن أبي الدنيا حديثا
مرسلا أن الأرض تزلزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوضع يده عليها ثم قال اسكني فإنه لم يأن لك بعد ثم

ثم التفت الى اصحابه فقال ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه ثم زلزلت
بالناس على عهد عمر بن الخطاب فقال ايها الناس ما كانت هذه
الزلزلة الا عن شيء احدثتموه والذي نفسي بيده ان عادت
لا اساكنكم فيها ابدا وفي مناقب عمر لابن ابي الدنيا ان الارض
زلزلت على عهد عمر فضرب يده عليها وقال ما لك ما لك اما انها
لو كانت القيامة حدثت اخبارها سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة فليس فيها ذراع ولا شبر
الا وهو ينطق وذكر الامام احمد عن صفية قالت زلزلت
المدينة على عهد عمر فقال يا ايها الناس ما هذا ما اسرع ما احدثتم
لان عادت لا اساكنكم فيها وقال كعب انما تزلزل الارض
اذا عمل فيها بالمعاصي فترعد فرقا من الرب جل جلاله ان
يطلع عليها وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار ان تخرجوا
في يوم كذا او كذا او شهر كذا وكذا فمن كان عنده شيء
فليتصدق به فان الله عز وجل يقول قد افلح من تزكى
وذكر اسم ربه فصلى وقولوا كما قال ادم ربنا ظلمنا انفسنا
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقولوا
كما قال يونس لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين

وقال الامام احمد ثنا اسود بن عامر ثنا ابو بكر عن الاعمش عن عطا
ابن ابي رباح عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة
واتبعوا اذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله انزل الله بهم
بلاء فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم ورواه ابو داود باسناد
حسن وذكر ابن ابي الدنيا من حديث ابن عمر قال لقد رايتنا
وما احد احق بديناره ودرهمه من اخيه المسلم ولقد
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ضن الناس
بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتركوا الجهاد واخذوا
اذناب البقر انزل الله عليهم بلاء من السماء فلا يرفعه عنهم
حتى يراجعوا دينهم وقال الحسن ان الفتنة والله ما هي
الا عقوبة من الله عز وجل على الناس ونظر بعض انبياء بني
اسرائيل الى ما يصنع بهم بختنصر فقال بما كسبت ايدينا
سلطت علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا وقال بختنصر لدانيال
ما الذي سلطني على قومك قال عظم خطيئتك وظلم قومي انفسهم
وذكر ابن ابي الدنيا من حديث عمار بن ياسر وحذيفة عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا اراد بالعباد

حـ نصر

نفقهم اماتت الاطفال واعقمت ارحام النسا فتنزل النقمة
وليس فيهم مرحوم وذكر عن مالك بن دينار قال قرات في الحكمة
يقول الله عز وجل انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي
فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة
فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم
عليكم ومن مراسيل الحسن اذا اراد الله بقوم خيرا
جعل امرهم الى حلمايهم وفيهم عند سمحايهم واذا اراد الله بقوم
شرا جعل امرهم الى سفهايهم وفيهم عند بخلايهم وذكر
الامام احمد عن [illegible] قال قال موسى يا رب انت
في السما ونحن في الارض فما علامة غضبك من رضاك
قال اذا استعملت عليكم خياركم فهو من علامة رضاي عنكم
واذا استعملت عليكم شراركم فهو علامة سخطي عليكم وذكر
ابن ابي الدنيا عن الفضيل بن عياض قال اوحى الله الى
بعض الانبيا اذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من
لا يعرفني وذكر ايضا من حديث ابن عمر رفعه والذي
نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يبعث الله امراء كذبة
ووزرا فجرة واعوانا خونة وعرفا ظلمة وقرا فسقة

سيماهم سيما الرهبان وقلوبهم انتن من الجيف اهواهم مختلفة
فيتيح الله لهم فتنة غبرا مظلمة فيها [illegible] والذي نفس محمد بيده
لينقضن الاسلام عروة عروة حتى لا يقال الله الله لتامرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم فليسومنكم
سوا العذاب ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم لتامرن
بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليبعثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم
ولا يوقر كبيركم وفي معجم الطبراني وغيره من حديث سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طفف
قوم كيلا ولا بخسوا ميزانا الا منعهم الله عز وجل القطر وما
ظهر في قوم الزنا الا ظهر فيهم الموت وما ظهر في قوم الربا الا
سلط الله عليهم الجنون ولا ظهر في قوم القتل الا يقتل بعضهم بعضا
الا سلط الله عليهم عدوهم ولا ظهر في قوم عمل قوم لوط الا
ظهر فيهم الخسف وما ترك قوم الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر الا لم ترفع اعمالهم ولم يسمع دعاوهم وروى ابن ابي الدنيا
من حديث ابراهيم ابن الاشعث عن عبد الرحمن بن زيد عن
ابيه عن سعيد بن [illegible] وفي المسند وغيره من حديث [illegible] عن
عائشة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد

حفر النفس يعرف في وجهه ان قد حفزه شي فما تكلم حتى
توضا وخرج فلصقت بالحجر فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه
ثم قال ايها الناس ان الله عز وجل يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا
عن المنكر قبل ان تدعوني فلا اجيبكم وتستنصروني فلا انصركم
وتسالوني فلا اعطيكم وقال العمري الزاهد ان من غفلتك
عن نفسك واعراضك عن الله ان ترى ما يسخط الله فتتجاوزه
لا تامر فيه ولا تنهى عنه خوفا ممن لا يملك ضرا ولا نفعا وقال من
ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة من المخلوقين
نزعت منه الطاعة ولو امر ولده او بعض مواليه لاستخف بحقه
وذكر الامام احمد في مسنده من حديث قيس بن ابي حازم
قال قال ابو بكر الصديق ايها الناس انكم تتلون هذه الاية
وانكم تضعونها على غير مواضعها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه
وفي لفظ اذا راوا المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله
بعقاب من عنده وذكر الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير
عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا اختفت الخطيئة لم تضر الا صاحبها واذا ظهرت فلم تغير ضرت
العامة وذكر الامام احمد عن عمر بن الخطاب يوشك القرى
ان تخرب وهي عامرة قيل وكيف تخرب وهي عامرة قال اذا علا
فجارها ابرارها وساد القبيلة منافقوها وذكر الاوزاعي عن حسان
ابن عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيظهر شرار امتي
على خيارها حتى يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فينا
اليوم وذكر ابن ابي الدنيا من حديث بن عياش بن ربيعة قال
ياتي زمان يذوب فيه قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء قيل
مم ذلك يا رسول الله قال مما يرى من المنكر لا يستطيع
تغييره وذكر الامام احمد من حديث جرير ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما من قوم يعمل فيهم المعاصي هم اعز واكثر
ممن يعمله لم يغيروه الا عمهم الله بعقاب وفي الصحيحين
عن اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه
في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع عليه اهل النار
فيقولون اي فلان ما شانك الست كنت تامرنا بالمعروف وتنهانا
عن المنكر فقال كنت امركم بالمعروف ولا اتيه وانهاكم عن

دابها عن المنزل وابيه وذكر الامام احمد عن مالك بن دينار
قال كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى منزله الرجال
والنسا فيعظهم ويذكرهم بايام الله فرأى بعض بنيه يوما يغمز
النسا فقال مهلا يا بني فسقط من سريره فانقطع نخاعه واسقطت
امراته وقتل بنوه فاوحى الله الى نبيهم ان اخبر فلانا الحبر
اني لا اخرج من صلبك صديقا ابدا اما كان غضبك لي الا ان
قلت مهلا يا بني وذكر الامام احمد من حديث عبد الله بن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم ومحقرات الذنوب
فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا ارض فلاة فحضر
صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجي بالعود والرجل يجي بالعود
حتى جمعوا سوادا واججوا نارا وانضجوا ما قذفوا فيها وفي
صحيح البخاري عن انس بن مالك قال انكم لتعملون اعمالا
هي ادق في اعينكم من الشعر ان كنا لنعدها على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وفي الصحيحين حديث
عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عذبت
امراة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت النار لا هي اطعمتها

ولا سقتها ولا تركتها تاكل من خشاش الارض وفي الحلية لابي نعيم
عن حذيفة انه قيل له في يوم واحد تركت بنو اسرائيل دينهم
قال لا ولكنهم كانوا اذا امروا بشي تركوه واذا نهوا عن شي
ركبوه حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه ومن
ههنا قال بعض السلف المعاصي بريد الكفر كما ان القبلة
بريد الجماع والغناء بريد الزنا والنظر بريد العشق والمرض بريد
الموت وذكر في الحلية ايضا عن ابن عباس انه قال يا صاحب
الذنب لا تامن سوء عاقبته ولما يتبع الذنب اعظم من الذنب اذا
عملته قلة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وانت على الذنب
اعظم من الذنب وضحكك وانت لا تدري ما الله صانع بك
اعظم من الذنب وفرحك بالذنب اذا ظفرت به اعظم من الذنب
وحزنك على الذنب اذا فاتك اعظم من الذنب وخوفك
من الريح اذا حركت ستر بابك وانت على الذنب ولا يضطرب
فؤادك من نظر الله اليك اعظم من الذنب ويحك هل تدري
ما كان ذنب ايوب فابتلاه الله بالبلاء في جسده وذهاب
ماله انه استغاث به مسكين على ظالم يدرأه عنه فلم يعنه ولم ينه
الظالم عن ظلمه فابتلاه الله قال الامام احمد حدثنا الوليد

سمعت الاوزاعي يقول سمعت بلال بن سعد يقول لا تنظر
الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت وقال الفضيل بن
عياض بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله وبقدر
ما يعظم عندك يصغر عند الله وقيل اوحى الله الى موسى يا موسى
ان اول من مات من خلقي ابليس وذلك انه عصاني وانما اعد
من عصاني من الاموات وفي المسند وجامع الترمذي
من حديث ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان المومن اذا اذنب نكت في قلبه نكتة سودا
فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت
حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكر الله عز وجل كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال الترمذي هذا حديث
حسن صحيح وقال حذيفة اذا اذنب نكت في قلبه نكتة
سودا حتى يصير قلبه كالشاة الربدا وقال الامام احمد ثنا
يعقوب ثنا ابي عن صلح عن ابن شهاب حدثني عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لنا بعد يا معشر قريش فانكم اهل هذا
الامر ما لم تعصوا الله فاذا عصيتموه بعث عليكم من يلحاكم

كما يلحى هذا القضيب لقضيب في يده ثم لحى قضيبه فاذا هو ابيض
يصلد وذكر الامام احمد عن وهب ان الله عز وجل قال في
بعض ما يقول لبني اسرائيل اني اذا اطعت رضيت واذا رضيت
باركت وليس لبركتي نهاية واذا عصيت غضبت ولعنتي تبلغ السابع
من الولد وذكر ايضا عن وكيع ثنا زكريا عن عامر قال كتبت
عايشة الى معاوية اما بعد فان العبد اذا عمل بمعصية الله
عاد حامده من الناس ذاما وذكر ابو نعيم عن سالم بن ابي
الجعد عن ابي الدردا قال ليحذر امرؤ ان تلعنه قلوب المومنين
من حيث لا يشعر ثم قال يدري مم هذا قلت لا قال العبد
يخلو بمعاصي الله فيلقي الله بغضه في قلوب المومنين من حيث لا
يشعر وذكر عبد الله بن احمد في كتاب الزهد لابيه عن محمد
ابن سيرين انه لما ركبه الدين اغتم لذلك فقال اني لاعرف هذا
الغم بذنب اصبته منذ اربعين سنة وهاهنا نكتة دقيقة
يغلط فيها الناس في امر الذنب وهي انهم لا يرون تاثيره في الحال
وقد يتاخر تاثيره فينسى ويظن العبد انه لا يغير بعد ذلك وان
الامر كما قال القائل اذا لم يغبر حايط في وقوعه فليس له بعد الوقوع غبار
وسبحان الله ماذا اهلكت هذه البلية من الخلق وكم ازالت

من نعمه واحلته من نقمه وما الذي اغتر به من العلما
فضلا عن الجهال ولم يعلم المغتر ان الذنب يصيبه ينقض ولو بعد
حين كما ينقض السم وكما ينقض الجرح المندمل على الغش
والدغل وذكر الامام احمد عن ابي الدردا اعبدوا الله كانكم ترونه
وعدوا انفسكم في الموتى واعلموا ان قليلا يغنيكم خير من كثير يلهيكم
واعلموا ان البر لا يبلى وان الاثم لا ينسى ونظر بعض العباد الى
صبي فتامل محاسنه فاتي في منامه وقيل له لتجدن غبها بعد
اربعين سنة هذا مع ان الذنب نقدا معجلا لا يتاخر عنه
قال سليمان التيمي ان الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه
مذلته وقال ذو النون من خان الله في السر هتك الله ستره
في العلانية وقال يحيى بن معاذ الرازي عجبت من ذي عقل
يقول في دعايه اللهم لا تشمت بي الاعدا ثم هو يشمت بنفسه
كل عدو له قيل وكيف ذلك قال يعصي الله ويشمت به في القيامه كل
عدو فصل وللمعاصي من الاثار القبيحة المذمومة
المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والاخرة ما لا يعلمه الا الله فمنها
حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية
تطفي ذلك النور ولما جلس الشافعي بين يدي مالك وقرا عليه

اعجبه ما راه من وفور فطنته وتوقد ذكايه وكمال فهمه فقال
اني ارى الله قد القى على قلبك نورا فلا تطفه بظلمة المعصية
وقال الشافعي شكوت الى وكيع سو حفظي فارشدني الى ترك المعاصي
وقال اعلم بان العلم فضل وفضل الله لا يوتاه عاصي
ومنها حرمان الرزق وفي المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب
يصيبه وقد تقدم وكما ان تقوى الله مجلبة للرزق فترك التقوى
مجلبة للفقر فما استجلب رزق الله بمثل ترك المعاصي ومنها
وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا توازنها ولا
تقارنها لذة اصلا لو اجتمعت له لذات الدنيا باسرها لم
تف بتلك الوحشة وهذا امر لا يحس به الا من في قلبه حياة
وما لجرح بميت ايلام فلو لم تترك الذنوب الا حذرا من
وقوع تلك الوحشة لكان العاقل حريا بتركها وشكى
رجل الى بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه فقال له
اذا كنت قد اوحشتك الذنوب فدعها اذا شيت واستانس
وليس على القلب امر من وحشة الذنب على الذنب فالله المستعان
ومنها الوحشة التي تحصل له بينه وبين الناس لا سيما اهل
الخير منهم فانه يجد وحشة بينه وبينهم وكلما قويت تلك
الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم وحرم بركة الانتفاع

لهم وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب الرحمن
وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده
واقاربه وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشا من نفسه وقال
بعض السلف اني لاعصي الله فارى ذلك في خلق دابتي وامرأتي
ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقا دونه
او متعسرا عليه وهذا كما ان من اتقى الله جعل له من امره
يسرا فمن عطل التقوى جعل له من امره عسرا ويا لله
العجب كيف يجد العبد ابواب الخير والمصالح مسدودة
عنه وطرقها معسرة عليه وهو لا يعلم من اين اتي ومنها ظلمة
يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم
اذا ادلهم فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره
فان الطاعة نور والمعصية ظلمة وكلما قويت الظلمة ازدادت
حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة
وهو لا يشعر كاعمى خرج في ظلمة الليل يمشي وحده وتقوى
هذه الظلمة حتى تظهر في العين ثم تقوى حتى تعلو الوجه وتصير
سوادا فيه يراه كل احد قال عبد الله بن عباس ان
للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب وسعة في الرزق
وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة

سوادا

للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب ووهنا في البدن
ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق ومنها ان المعاصي
توهن القلب والبدن اما وهنها للقلب فامر ظاهر بل لا تزال
توهنه حتى تزيل حياته بالكلية واما وهنها للبدن فان المؤمن
قوته من قلبه وكلما قوي قلبه قوي بدنه واما الفاجر فانه وان
كان قوي البدن فهو اضعف شيء عند الحاجة فتخونه قوته
عند الحاجة احوج ما يكون الى نفسه وتامل قوة ابدان فارس
والروم كيف خانتهم احوج ما كانوا اليها وقهرهم اهل الايمان
بقوة ابدانهم وقلوبهم ومنها حرمان الطاعة فلو لم يكن للذنب
عقوبة الا ان يصد عن طاعة تكون بدله ويقطع طريق طاعة
اخرى فينقطع عليه بالذنب طريق ثالثة ثم رابعة وهلم جرا
فينقطع عليه بالذنب طاعات كثيرة كل واحدة منها خير
له من الدنيا وما عليها وهذا كرجل اكل اكلة اوجبت له
مرضة طويلة منعته من عدة اكلات اطيب منها والله المستعان
ومنها ان المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته ولا بد فان البر كما
يزيد في العمر فالفجور ينقص العمر وقد اختلف الناس في هذا
الموضع فقالت طائفة نقصان عمر العاصي هو ذهاب

بركة

بركة عمره ومحقها عليه وهذا حق وهو بعض تأثير المعاصي
وقالت طائفة بنقصه حقيقة كما ينقص الرزق
فجعل الله سبحانه للبركة في الرزق أسبابا تكثره وتزيده وللبركة في
العمر أسبابا تكثره وتزيده قالوا ولا يمتنع زيادة العمر بأسباب
فالأرزاق والآجال والسعادة والشقاوة والصحة والمرض
والغنى والفقر وإن كان بقضاء الرب عز وجل فهو يقضي
ما يشاء بأسباب جعلها موجبة لمسبباتها مقتضية
لها وقالت طائفة أخرى تأثير المعاصي في محق العمر إنما
هو بأن حقيقة الحياة هي حياة القلب ولهذا جعل
الله سبحانه الكافر ميتا غير حي كما قال تعالى أموات غير
أحياء فالحياة في الحقيقة حياة القلب وعمر الإنسان
مدة حياته فليس عمره إلا أوقات حياته بالله فتلك
ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعة تزيد في هذه
الأوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها وبالجملة
فالعبد إذا أعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت
عليه أيام حياته الحقيقية التي يجد غب إضاعتها يوم
يقول يا ليتني قدمت لحياتي فلا يخلو إما أن يكون

له مع ذلك تطلع إلى مصالحه الدنيوية والأخروية أو لا فإن لم يكن
له تطلع إلى ذلك فقد ضاع عليه عمره كله وذهبت حياته باطلا وإن
كان له تطلع إلى ذلك طالت عليه الطريق بسبب العوائق
وتعسرت عليه أسباب الخير بحسب اشتغاله بأضدادها
وذلك نقصان حقيقي من عمره وسر المسألة أن عمر الإنسان
مدة حياته ولا حياة له إلا بإقباله على ربه والتنعم بحبه وذكره
وإيثار مرضاته

فصل

ومنها أن المعاصي
تزرع أمثالها ويولد بعضها بعضا حتى يعز على العبد مفارقتها
والخروج منها كما قال بعض السلف إن من عقوبة السيئة
السيئة بعدها وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها
فالعبد إذا عمل حسنة قالت أخرى إلى جانبها اعملني أيضا
فإذا عملها قالت الثالثة كذلك وهلم جرا فتضاعف الربح
وتزايدت الحسنات وكذلك جانب السيئات أيضا
حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات
لازمة وملكات ثابتة فلو عطل المحسن الطاعة لضاقت
عليه نفسه وضاقت عليه الأرض بما رحبت وأحس من
نفسه بأنه كالحوت إذا فارق الماء حتى يعاودها

فيستمكن من نفسه ويقع عنه ولو عطل المجرم المعصية واقبل
على الطاعة لضاقت عليه نفسه وضاق صدره واعيت عليه
مذاهبه حتى يعاودها حتى ان كثيرا من الفساق ليواقع
المعصية من غير لذة يجدها ولا داعية اليها الا لما يجد من الالم
بمفارقتها كما صرح بذلك شيخ القوم الحسن بن هانئ حيث يقول
وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها
وقال آخر فكانت دوائي وهي دائي بعينه كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
ولا يزال العبد يعاني الطاعة ويالفها ويحبها ويوثرها حتى يرسل
الله سبحانه برحمته عليه الملائكة تؤزه اليها ازا وتحرضه عليها
وتزعجه عن فراشه ومجلسه اليها ولا يزال يالف المعاصي
ويحبها ويوثرها حتى يرسل الله عليه الشياطين فتؤزه اليها
ازا فالاول قوى جند الطاعة بالمدد فصاروا من اكبر
اعوانه وهذا قوى جند المعصية بالمدد فكانوا اعوانا عليه
فصل ومنها ان المعاصي تضعف
القلب عن ارادته فتقوى ارادة المعصية وتضعف ارادة التوبة
شيئا فشيئا الى ان ينسلخ من قلبه ارادة التوبة بالكلية
فلو مات نصفه لما تاب الى الله فياتي من الاستغفار وتوبة

وتوبة الكذابين باللسان بشيء كثير وقلبه معقود بالمعصية
مصر عليها عازم على مواقعتها متى امكنه وهذا من اعظم الامراض وا قربها
الى الهلاك **فصل** ومنها انه ينسلخ من القلب
استقباحها فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس
له ولا كلامهم فيه وهذا عند ارباب الفسوق هو غاية التهتك
وتمام اللذة حتى يفتخر احدهم بالمعصية ويحدث بها من لم يعلم
انه عملها فيقول يا فلان عملت كذا وكذا وهذا الضرب من الناس
لا يعافون ويسد عليهم طريق التوبة وتغلق عنهم ابوابها
في الغالب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل امتي معافى الا
المجاهرين وان من الاجهار ان يستر الله على العبد ثم يصبح يفضح
نفسه ويقول يا فلان عملت يوم كذا وكذا فهتك نفسه وقد
بات يستره ربه ومنها ان كل معصية من المعاصي فهي ميراث
عن امة من الامم التي اهلكها الله عز وجل فاللوطية ميراث
عن قوم لوط واخذ الحق بالزائد ودفعه بالناقص ميراث
عن قوم شعيب والعلو في الارض والفساد ميراث عن قوم
فرعون والتكبر والتجبر ميراث عن قوم هود فالعاصي لابس
ثياب بعض هذه الامم وهم اعداء الله وقد روى عبد الله بن احمد

في كتاب الزهد لابيه عن مالك بن دينار قال اوحى الله الى نبي من
انبيا بني اسرايل ان قل لقومك لا يدخلوا مداخل اعداي ولا
يلبسوا ملابس اعداي ولا يركبوا مراكب اعداي ولا يطعموا مطاعم
اعداي فيكونوا اعداي كما هم اعداي وفي مسند الامام احمد من
حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالسيف
بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي
تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف امري ومن
تشبه بقوم فهو منهم **فصل** ومنها ان المعصية
سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه قال الحسن البصري
هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم واذا هان العبد على
الله لم يكرمه احد كما قال تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم
وان عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم اليهم او خوفا من شرهم فهم
في قلوبهم احقر شي واهونه ومنها ان العبد لا يزال يرتكب
الذنب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك فان
الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله وقد ذكر
البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال ان المومن يرى ذنوبه
كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى

ذنوبه كذباب وقع على انفه فقال به هكذا فطار **فصل**
ومنها ان غيره من الناس والدواب يعود عليه شوم ذنوبه
فيحترق هو وغيره بشوم الذنوب والظلم قال ابو هريرة
رضي الله عنه ان الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم وقال
مجاهد ان البهايم تلعن عصاة بني ادم اذا اشتدت السنة
وامسك المطر وتقول هذا بشوم معصية ابن ادم وقال
عكرمة دواب الارض وهوامها حتى الخنافس والعقارب
يقولون منعنا القطر بذنوب بني ادم فلا يكفيه عقاب ذنبه حتى يبوء
بلعنة من لا ذنب له **فصل** ومنها ان المعصية
تورث الذل ولا بد فان العز كل العز في طاعة الله تعالى قال تعالى
من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اي فليطلبها بطاعة
الله فانه لا يجدها الا في طاعته وكان من دعا بعض السلف
اللهم اعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك قال الحسن البصري
انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين ان ذل المعصية
لا يفارق قلوبهم ابى الله الا ان يذل من عصاه وقال عبد الله بن المبارك

• رايت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل ادمانها •
• وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها •

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

فصل ومنها أن المعاصي تفسد العقل فإن للعقل نورًا والمعصية تطفئ نور العقل ولا بد فإذا طفئ نوره ضعف ونقص وقال بعض السلف ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله وهذا ظاهر فإنه لو حضر عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى وتحت قهره وهو مطلع عليه وفي داره وعلى بساطه وملائكته شهود عليه ناظرون إليه وواعظ القرآن ينهاه وواعظ الإيمان ينهاه وواعظ الموت ينهاه وواعظ النار ينهاه والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها فهل يقدم على الاستهانة بذلك والاستخفاف به ذو عقل سليم

فصل ومنها أن الذنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين كما قال بعض السلف في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال هو الذنب بعد الذنب وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمي القلب وقال غيره لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية فإن زادت غلب الصدأ حتى يصير رانًا ثم يغلب حتى يصير طبعًا وقفلًا وختمًا فيصير القلب في غشاوة وغلاف فإن حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس فصار أعلاه أسفله وأسفله فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه حيث أراد

فصل ومنها أن الذنوب تدخل العبد تحت لعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لعن على معاص وغيرها أكبر منها فهي أولى بدخول فاعلها تحت اللعنة فلعن الواشمة والمستوشمة والواصلة والموصولة والنامصة والمتنمصة والواشرة والمستوشرة ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ولعن المحلل والمحلل له ولعن السارق ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه ولعن من غير منار الأرض وهي أعلامها وحدودها ولعن من لعن والديه ولعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا يرميه بسهم ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ولعن من ذبح لغير الله ولعن من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا ولعن المصورين ولعن من عمل عمل قوم لوط ولعن من سب أباه ولعن من سب أمه ولعن من كمه أعمى عن الطريق ولعن من أتى بهيمة ولعن من وسم دابة في وجهها ولعن من ضار مسلمًا أو مكر به ولعن زوارات

القبور المتخذين عليها المساجد والسرج ولعن من افسد امراة
على زوجها او مملوكا على سيده ولعن من اتى امراة في دبرها واخبر
ان من باتت مهاجرة لفراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح ولعن
من انتسب الى غير ابيه واخبر ان من اشار الى اخيه بحديدة فان
الملائكة تلعنه ولعن من سب اصحابه وقد لعن الله من افسد في
الارض وقطع رحمه واذاه واذى رسوله ولعن من كتم ما انزل الله
سبحانه من البينات والهدى ولعن الذين يرمون المحصنات
الغافلات المومنات بالفاحشة ولعن من جعل سبيل
الكافر اهدى من سبيل المسلم ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرجل يلبس لبسة المراة والمراة تلبس لبسة الرجل ولعن الراشي
والمرتشي والرائش وهو الواسطة في الرشوة ولعن على اشيا اخر
غير هذه فلو لم يكن في فعل ذلك الا رضا فاعله بان يكون ممن
يلعنه الله ورسوله وملائكته لكان في ذلك ما يدعو الى تركه

لعله الواسطة

فصل ومنها حرمان دعوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ودعوة الملائكة فان الله سبحانه امر نبيه ان يستغفر
للمومنين والمومنات وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله

يسبحون بحمد ربهم ويومنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا
وسعت كل شي رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن
صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات
فهذا دعا الملائكة للمومنين التائبين المتبعين لكتابه وسنته
وسنة رسوله الذين لا سبيل لهم غيرهما فلا يطمع غير هولا باجابة هذه الدعوة
اذ لم يتصف بصفات المدعو له بها والله المستعان

فصل ومن عقوبات المعاصي ما رواه البخاري
في صحيحه من حديث سمرة بن جندب قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم مما يكثر ان يقول لاصحابه هل راى احد منكم البارحة
رويا فيقص عليه من شا الله ان يقص وانه قال لنا ذات غداة انه
اتاني الليلة اتيان وانهما ابتعثاني وانهما قالا لي انطلق
واني انطلقت معهما وانا اتينا على رجل مضطجع واذا اخر قائم عليه
بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة لراسه فيثلغ راسه فيتدهده الحجر هو؟
هاهنا فيتبع الحجر فياخذه فلا يرجع اليه حتى يصح راسه
كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الاولى قال
قلت لهما سبحان الله ما هذان قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا

فاتينا على نهر احمر مثل الدم فاذا في النهر رجل سابح يسبح واذا
على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة واذا ذلك السابح
يسبح ما يسبح ثم ياتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له
فاه فيلقمه حجرا قلت لهما ما هذان قالا لي انطلق انطلق
فانطلقنا فاتينا على رجل كريه المرآة او كاكره ما انت راء
رجلا مرآة واذا هو عنده نار يحشها ويسعى حولها قال قلت
لهما ما هذا قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا على روضة
معتمة فيها من كل نور الربيع واذا بين ظهري الروضة
رجل طويل لا اكاد ارى راسه طولا في السماء واذا حول
الرجل من اكثر ولدان رايتهم قط قال قلت ما هذا ما
هؤلاء قال قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فانتهينا
الى درجة عظيمة لم ار درجة قط اعظم منها ولا احسن
قال قالا لي ارق فيها فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن
ذهب ولبن فضة قال فاتينا باب المدينة فاستفتحنا
ففتح لنا فدخلنا فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن
ما انت راء وشطر منهم كاقبح ما انت راء قال قالا
لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر قال واذا نهر معترض

يجري كان ماؤه المحض في البياض فذهبوا فوقعوا فيه
ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم قال قالا لي هذه
جنة عدن وهذاك منزلك قال فسما بصري صعدا فاذا
قصر مثل الربابة البيضاء قال قالا لي هذاك منزلك قال
قلت لهما بارك الله فيكما ذراني فادخله قالا اما الآن
فلا وانت داخله قال قلت لهما فاني رايت الليلة منذ
عجبا فما هذا الذي رايت قال قالا لي اما انا سنخبرك
اما الرجل الاول الذي اتيت عليه يثلغ راسه بالحجر فانه
الرجل ياخذ القران فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة
واما الرجل الذي اتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه
ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو
من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق واما الرجال والنساء
العراة الذين هم في مثل بناء التنور فانهم الزناة والزواني
واما الرجل الذي اتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فانه
اكل الربا واما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها
ويسعى حولها فانه مالك خازن جهنم واما الرجل
الطويل الذي في الروضة فانه ابراهيم واما الولدان

الذي حوله وكل مولود مات على الفطرة وفي رواية الزمان ولد على
الفطرة فقال بعض المسلمين يا رسول الله واولاد المشركين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين واما القوم الذين
كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا شطر
وآخر سيئا تجاوز الله عنهم **فصل** ومن آثار
الذنوب والمعاصي انها تحدث في الارض انواعا من الفساد في المياه
والهواء والزرع والثمار والمساكن قال تعالى ظهر الفساد في
البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم
يرجعون قال مجاهد اذا ولي الظالم سعى بالظلم والفساد
فيحبس الله بذلك القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد
ثم قرا ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس الاية
ثم قال اما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار
فهو بحر وقال عكرمة ظهر الفساد في البر والبحر اما اني
لا اقول بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء وقال قتادة اما البر
فاهل العمود واما البحر فاهل القرى والريف قلت وقد
سمى الله تعالى الماء العذب بحرا فقال وهو الذي مرج البحرين
هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج وليس في

العالم بحر حلو واقف دائما بين الانهار الجارية والبحر المالح هو
الساكن فتسمى القرى التي على المياه الجارية باسم تلك المياه
وقال ابن زيد ظهر الفساد في البر والبحر قال الذنوب
قلت اراد ان الذنوب سبب الفساد الذي ظهر وان اراد
ان الفساد الذي ظهر هو الذنوب نفسها فيكون قوله ليذيقهم
لام العاقبة والتعليل وعلى الاول فالمراد بالفساد النقص
والشر والالام التي يحدثها الله في الارض عند معاصي العباد
فكلما احدثوا ذنبا احدث لهم عقوبة كما قال بعض السلف
كلما احدثتم ذنبا احدث الله لكم عقوبة من سلطانه والظاهر
والله اعلم ان الفساد المراد به الذنوب وموجباتها ويدل عليه قوله
ليذيقهم بعض الذي عملوا فهذا حالنا وانما اذاقنا الشيء اليسير
من اعمالنا ولو اذاقنا كل اعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة
ومن تاثير معاصي الله في الارض ما يحل بها من الخسف والزلازل
ويمحق بركتها وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديار ثمود
فمنعهم من دخول ديارهم ومن شرب مياههم ومن الاستقاء
من آبارهم حتى امر ان يعلف العجين الذي عجن بمياههم للنواضح
لتاثير شؤم المعصية في الماء وكذلك شؤم تاثير الذنوب

في بعض الثمار وما هو من الآفات وقد ذكر الامام احمد في
مسنده في ضمن حديث قال وجدت في خزاين بني امية حنطة
الحبة بقدر نواة التمرة وهي في صرة مكتوب عليها هذا كان
ينبت في زمن العدل وكثير من هذه الآفات احدثها الله سبحانه
وتعالى بما احدث العباد من الذنوب اخبرني جماعة من
شيوخ الصحراء انهم كانوا الثمار اكبر مما هي الان وكثير من يرون
هذه الآفات التي تصيبها لم يكونوا يعرفونها وانما حدثت من
قرب واما تاثير الذنوب في الصور والخلق فقد روى الترمذي
في جامعه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله ادم وطوله
في السما ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص حتى الان فلما
يطهر الله سبحانه الارض من الظلمة والفجرة والخونة ويخرج عبدا
من عباده من اهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم فيملا الارض
قسطا كما ملئت جورا ويقتل المسيح اليهود والنصارى
ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله وتخرج الارض بركاتها وتعود
كما كانت حتى ان العصابة من الناس ليأكلون الرمانة
ويستظلون بقحفها ويكون العنقود من العنب وقر بعير
وان اللقحة الواحدة لتكفي الفئام من الناس وهذا لان

٤٨
الارض لما طهرت من المعاصي ظهرت فيها اثار البركة من
الله التي محقتها الذنوب والكفر ولا ريب ان العقوبات التي
انزلها الله في الارض بقيت اثارها سارية في الارض تطلب
ما يشاكلها من الذنوب التي هي اثار تلك الجرايم التي عذبت بها
الامم فهذه الاثار في الارض من اثار تلك الجرايم فتناسبت
كلمة الله وحكمته الكوني اولا واخرا وكان العظيم من العقوبة
للعظيم من الجناية والاخف للاخف وهكذا يحكم سبحانه
بين خلقه في دار البرزخ ودار الجزاء وتامل مقارنة الشيطان
ومحله وداره فانه لما قارن العبد واستولى عليه نزعت البركة
من عمره وعمله وقوله ورزقه ولما اثرت طاعته في الارض ما
اثرت نزعت البركة من كل محل ظهرت فيه طاعته وكذلك
مسكنه لما كان الجحيم لم يكن هناك شي من الروح والرحمة والبركة

ف

فصل

ومن عقوبات الذنوب انها تطفي من القلب
نار الغيرة التي هي لصلاحه وحياته كالحرارة الغريزية لحياة
جميع البدن فالغيرة حرارته وناره التي تخرج ما فيه
من الخبث والصفات المذمومة كما يخرج الكير خبث
الحديد والذهب والفضة واشرف الناس واعلاهم همة

اشدهم غيرة على نفسه وخاصته وعموم الناس ولهذا كان النبي
صلى الله عليه وسلم اغير الخلق على الامة والله سبحانه اشد غيرة
منه كما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اتعجبون
من غيرة سعد لانا اغير منه والله اغير مني وفي الصحيح ايضا
انه قال في خطبة الكسوف يا امة محمد ما من احد اغير من
الله ان يزني عبده او تزني امته وفي الصحيح ايضا عنه
انه قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من
اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ارسل الرسل
مبشرين ومنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله
من اجل ذلك اثنى على نفسه فجمع في هذا الحديث بين الغيرة
التي اصلها كراهة القبائح وبغضها ومحبة العذر الذي يوجب
كمال العدل والرحمة والاحسان وانه سبحانه مع شدة
غيرته يحب ان يعتذر اليه عبده ويقبل عذر من اعتذر
اليه وانه لا يواخذ عبيده بارتكاب ما يغار من ارتكابه
حتى يعذر اليهم ولاجل ذلك ارسل رسله وانزل كتبه
اعذارا وانذارا وهذا غاية المجد والاحسان ونهاية

الكمال فان كثيرا ممن يشتد غيرته من المخلوقين تحمله شدة
الغيرة على سرعة الايقاع والعقوبة من غير اعذار منه ومن غير
قبول العذر ممن اعتذر اليه بل يكون له في نفس الامر عذر
ولا تدعه شدة الغيرة ان يقبل عذره وكثير ممن يقبل المعاذير
يحمله على قبولها قلة الغيرة حتى يتوسع في طرق المعاذير ويرى
عذرا ما ليس بعذر حتى يعتذر كثير منهم بالقدر وكل ممدوح منهما غير
على الاطلاق وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
من الغيرة ما يحبها الله ومنها ما يبغضها الله فالتي يبغضها الغيرة
في غير ريبة وذكر الحديث وانما الممدوح اقتران الغيرة بالعذر
فيغار في محل الغيرة ويعذر في موضع العذر ومن كان هكذا
فهو الممدوح حقا ولما جمع الله سبحانه صفات الكمال كلها
كان احق بالمدح من كل احد ولا يبلغ احد ان يمدحه كما ينبغي له
بل هو كما مدح نفسه واثنى على نفسه فالغيور قد وافق ربه سبحانه
في صفة من صفاته ومن وافق الله في صفة من صفاته
قادته تلك الصفة اليه بزمامه وادخلته على ربه وادنته منه
وقربته من رحمته وصيرته محبوبا له فانه سبحانه رحيم يحب
الرحماء كريم يحب الكرماء عليم يحب العلماء قوي يحب المومن

القوي وهو احب اليه من المومن الضعيف حتى عتب اهل الحيا
حميلة بحب الجلال وربما لو زرد لو لم يكن في الذنوب والمعاصي
الا انها توجب لصاحبها ضد هذه الصفات وتمنعه من الاتصاف
بها لكفى بها عقوبة فان الخطرة تنقلب وسوسة والوسوسة
تصير ارادة والارادة تقوى فتصير عزيمة ثم تصير فعلا ثم تصير
صفة لازمة وهيئة ثابتة راسخة وحينئذ يتعذر الخروج
منها كما يتعذر الخروج من صفاته القائمة به والمقصود
انه كلما اشتدت ملابسته الذنوب اخرجت من القلب
الغيرة على نفسه واهله وعموم الناس وقد تضعف في القلب جدا
حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره واذا
وصل الى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك وكثير من
هولاء لا يقتصر على عدم الاستقباح بل يحسن الفواحش
والظلم لغيره ويزينه له ويدعوه اليه ويحثه عليه ويسعى له في
تحصيله ولهذا كان الديوث اخبث خلق الله والجنة حرام
عليه وكذلك محلل الظلم والبغي لغيره ومزينه لغيره فانظر
ما الذي حملت عليه قلة الغيرة وهذا يدلك على ان اصل
الدين الغيرة ومن لا غيرة له لا دين له فالغيرة تحمي القلب

فتحمي له

فتحمي له الجوارح فتدفع السوء والفواحش وعدم الغيرة تميت
القلوب فتموت الجوارح فلا يبقى عندها دفع البتة ومثل
الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه فاذا ذهبت
القوة وجد الداء المحل قابلا ولم يجد دافعا فتمكن فكان
الهلاك ومثلها مثل صياصي الجاموس التي تدفع بها عن نفسه
وولده فاذا كسرت طمع فيه عدوه

فصل

ومن عقوباتها ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب وهو
اصل كل خير وذهابه ذهاب الخير اجمعه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال الحياء خير كله وقال ان مما ادرك الناس
من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وفيه
تفسيران احدهما انه على التهديد والوعيد والمعنى من لم يستح
فانه يصنع ما شاء من القبائح اذ الحامل على تركها الحياء فاذا لم
يكن هناك حياء يردعه عن القبائح فانه يواقعها وهذا تفسير
ابي عبيد والثاني ان الفعل اذا لم تستحي منه من الله فافعله
وانما الذي ينبغي تركه ما يستحيا منه من الله وهذا تفسير
الامام احمد في رواية ابن هانئ فعلى الاول يكون تهديدا
لقوله اعملوا ما شئتم وعلى الثاني يكون اذنا واباحة فان قيل

فهل إلى سبيل من حمله على المعنيين قلت لا ولا على قول من حمل المشترك
على جميع معانيه لما بين الإباحة والتهديد من المنافاة ولكن اعتماد
أحد المعنيين يوجب اعتبار الآخر والمقصود أن الذنوب تضعف
الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية حتى أنه ربما لا يتأثر
بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم عليه بل كثير منهم يخبر عن حاله
وقبح ما يفعله والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء وإذا وصل
العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع
وإذا رأى إبليس طلعة وجهه حيّا وقال فديت من لا يفلح
والحياء مشتق من الحياة والغيث يسمى حيا بالقصر لأن به حياة
الأرض والنبات والدواب ولذلك بالحياء حياة الدنيا والآخرة
ومن لا حياء فيه ميت في الدنيا شقي في الآخرة وبين الذنوب
وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين وكل منهما
يستدعي الآخر ويطلبه حثيثا ومن استحيا من الله عند
معصيته استحيا الله من عقوبته يوم يلقاه ومن لم يستحي
من معصيته لم يستحي من عقوبته
فصل
ومن عقوبات الذنوب أنها تضعف في القلب تعظيم الرب
جل جلاله وتضعف وقاره في قلب العبد ولا بد شاء أم أبى

ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه
وربما اغتر المغتر وقال إنما يحملني على المعاصي حسن الرجا
وطمعي في عفوه لا ضعف عظمته في قلبي وهذا من مغالطة
النفس فإن عظمة الله وجلاله في قلب العبد وتعظيم
حرماته يحول بينه وبين الذنوب والمتجرئون على معاصيه
ما قدروا الله حق قدره وكيف يقدره حق قدره أو يعظمه ويكبره
ويرجو وقاره ويجله من يهون عليه أمره ونهيه هذا من أمحل المحال
وأبين الباطل وكفى بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جل
جلاله وتعظيم حرماته ويهون عليه حقه ومن بعض عقوبة هذا
أن يرفع الله عز وجل مهابته من قلوب الخلق ويهون عليهم ويستخفون
به كما هان عليه أمره واستخف به فعلى قدر محبة العبد لله يحبه
الناس وعلى قدر خوفه من الله يخافه الخلق وعلى قدر تعظيمه لله
وحرماته يعظم الناس حرماته وكيف ينتهك حرمات الله ويطمع
أن لا ينتهك الناس حرماته أم كيف يهون عليه حق الله ولا يهونه
الله على الناس أم كيف يستخف بمعاصي الله ولا يستخف به
الخلق وقد أشار سبحانه إلى هذا في كتابه عند ذكر عقوبات
الذنوب وأنه أركس أربابها بما كسبوا وغطى على قلوبهم وطبع عليها

بذنوبهم انه نسيهم كما نسوه واهانهم كما اهانوا دينه وضيعهم
كما ضيعوا امره ولهذا قال تعالى في اية سجود المخلوقات له ومن
يهن الله فما له من مكرم فانه لما هان عليهم السجود له واستخفوا به
ولم يفعلوه اهانهم فلم يكن لهم من مكرم بعد ان اهانهم ومن
ذا يكرم من اهانه الله او يهين من اكرمه الله

فصل

ومن عقوباتها انها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه
وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه وهنالك الهلاك الذي
لا يرجى معه نجاة قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما
تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم
اولئك هم الفاسقون فامر بتقواه ونهى ان يتشبه عباده
المؤمنون بمن نسيه بترك تقواه واخبر انه عاقب من ترك
التقوى بان انساه نفسه اي انساه مصالحها وما ينجيها
من عذابه وما يوجب له الحياة الابدية وكمال لذتها وسرورها
ونعيمها فانساه ذلك كله جزاء لما نسيه من عظمته وخوفه
والقيام بامره فترى العاصي مهملا لمصالح نفسه مضيعا
لها قد اغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا

قد انفرطت عليه مصالح دنياه واخرته وقد فرط في سعادته
الابدية واستبدل بها ادنى ما يكون من لذة انما هي سحابة صيف
او خيال طيف ◉ احلام نوم او كظل زائل ◉ ان اللبيب بمثلها لا يخدع ◉
واعظم العقوبات نسيان العبد لنفسه واهماله لها واضاعته
حظها ونصيبها من الله وبيعه ذلك بالغبن والهوان باخس الثمن
فضيع من لا غنى له عنه ولا عوض له منه واستبدل به من عنه
كل الغنى ومنه كل عوض ◉
◉ من كل شيء اذا ضيعته عوض وما من الله ان ضيعته عوض
فالله سبحانه يعوض عن كل ما سواه ولا يعوض منه شيء ويغني عن كل
شيء ولا يغني عنه شيء ويجير من كل شيء ولا يجير منه شيء ويمنع من كل
شيء ولا يمنع منه شيء فكيف يستغني العبد عن طاعة من هذا شانه
طرفة عين وكيف ينسى ذكره ويضيع امره حتى ينسيه نفسه فيخسرها
ويظلمها اعظم الظلم فما ظلم العبد ربه ولكن ظلم نفسه وما ظلمه ربه
ولكن هو الذي ظلم نفسه

فصل

ومن عقوباتها
انها تخرج العبد من دائرة الاحسان وتمنعه ثواب المحسنين ◉
فان الاحسان اذا باشر القلب منعه من المعاصي فان من
عبد الله كانه يراه لم يكن ذلك الا لاستيلاء ذكره ومحبته

وحوفه ورجايه على قلبه بحيث يصير كانه يشاهده وذلك يحول
بينه وبين ارادة المعصية فضلا عن مواقعتها فاذا خرج من دايرة
الاحسان فانه يصحبه رفقته الخاصة وعيشهم الهني ونعيمهم التام
فان عصاه بالمعاصي التي يخرجه من دايرة الايمان كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ولا
يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن ولا يسرق حين يسرق وهو
مومن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع اليه فيها الناس
ابصارهم حين ينتهبها وهو مومن فاياكم اياكم والتوبة
معروضة بعد فخرج من دايرة الايمان وفاته رفقة
المومنين وحسن دفاع الله عنهم فان الله يدفع عن الذين
امنوا وفاته كل خير رتبه الله في كتابه على الايمان
وهو نحو مائة خصلة كل خصلة منها خير من الدنيا وما
فيها فمنها الاجر العظيم وسوف يوت الله المومنين اجرا
عظيما ومنها الدفع عنهم شرور الدنيا والاخرة ان الله
يدفع عن الذين امنوا ومنها استغفار الملائكة حملة
العرش لهم الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم
ويومنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا ومنها

موالاة الله لهم لا يذل من والاه الله ولي الذين امنوا
ومنها امره لملائكته بتثبيتهم اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم
فثبتوا الذين امنوا ومنها ان لهم الدرجات عند ربهم والمغفرة
والرزق الكريم ومنها العزة ولله العزة ولرسوله وللمومنين
ومنها معية الله لاهل الايمان وان الله لمع المومنين ومنها
الرفعة في الدنيا والاخرة يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات ومنها اعطاوهم كفلين من رحمته واعطاوهم
نورا يمشون به ومغفرة ذنوبهم ومنها الود الذي يجعله الله
سبحانه لهم وهو انه يحبهم ويحببهم الى ملائكته وانبيائه وعباده
الصالحين ومنها امانهم من الخوف يوم يشتد الخوف فمن
امن وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومنها انهم
المنعم عليهم الذين امرنا ان نسال الله ان يهدينا صراطهم المستقيم
في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة ومنها ان القران انما هو
هدى لهم وشفاء قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا
يومنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من
مكان بعيد والمقصود ان الايمان سبب جالب لكل
خير وكل خير في الدنيا والاخرة فسببه الايمان وكل شر

في الدنيا والآخرة فسببه عدم الإيمان فيحول بينه وبينه ولكن لا
يخرج من دائرة عموم المسلمين فإن استمر على الذنوب وأصر عليها خيف
عليه أن يرين على قلبه فيخرجه عن الإسلام كما قال بعضهم أنتم تخافون الذنوب
بالكلية ومن ههنا اشتد خوف السلف كما قال بعضهم أنتم تخافون
الذنوب وأنا أخاف الكفر

فصل

ومن عقوباتها
أنها تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة أو تعوقه أو توقفه
وتقطعه عن السير فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة هذا إن
لم ترده عن وجهته إلى ورائه فالذنب يحجب الواصل ويقطع السائر
وينكس الطالب والقلب إنما يسير إلى الله بقوته فإذا مرض
بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيره فإن زالت
بالكلية انقطع عن الله انقطاعا يبعد تداركه والله المستعان
فالذنب إما أن يميت القلب أو يمرضه مرضا مخوفا أو يضعف
قوته ولابد حتى ينتهي ضعفه إلى الأشياء الثمانية التي استعاذ
منها النبي صلى الله عليه وسلم وهي الهم والحزن والعجز والكسل والجبن
والبخل وضلع الدين وقهر الرجال وكل اثنين منها قرينان
فالهم والحزن قرينان فإن المكروه الوارد على القلب إن كان
من أمر مستقبل يتوقعه أحدث الهم وإن كان من

أمر ماض قد وقع أحدث الحزن والعجز والكسل قرينان فإن
تخلف العبد عن أسباب الخير والفلاح إن كان لعدم
قدرته فهو العجز وإن كان لعدم إرادته فهو الكسل والجبن
والبخل قرينان فإن عدم النفع منه إن كان ببدنه فهو الجبن
وإن كان بماله فهو البخل وضلع الدين وقهر الرجال قرينان
فإن استعلاء الغير عليه إن كان بحق فهو من ضلع الدين
وإن كان بباطل فهو قهر الرجال والمقصود أن الذنوب
من أقوى الأسباب الجالبة لهذه الأشياء الثمانية
كما أنها من أقوى الأسباب الجالبة لجهد البلاء ودرك الشقاء
وسوء القضاء وشماتة الأعداء ومن أقوى الأسباب
الجالبة لزوال نعم الله وتحول عافيته إلى نقمته وتجلب جميع سخطه

فصل

ومن عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم
وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب ولا حلت به نقمة
إلا بذنب كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما نزل بلاء
إلا بذنب ولا رفع بلاء إلا بتوبة وقد قال تعالى وما أصابكم
من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقال تعالى
ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

فاخبر تعالى انه لا يغير نعمته التي انعم بها على احد حتى يكون هو الذي
يغير ما بنفسه فيغير طاعة الله بمعصيته وشكره بكفره
واسباب رضاه باسباب سخطه فاذا غير غير عليه جزاء
وفاقا وما ربك بظلام للعبيد فان غير المعصية بالطاعة
غير الله عليه العقوبة بالعافية والذل بالعز وقال تعالى ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وفي بعض الاثار
الالهية عن الرب تبارك وتعالى انه قال وعزتي وجلالي
لا يكون عبد من عبيدي على ما احب ثم ينتقل عنه الى ما
اكره الا انتقلت له مما يحب الى ما يكره ولا يكون عبد من عبيدي ماحب
على ما اكره ثم ينتقل عنه الى ما احب الا انتقلت له مما يكره الى
ما يحب وقد احسن القائل شعر

إذا كنت في نعمة فارعها • فان الذنوب تزيل النعم •
وحطها بطاعة رب العباد • فرب العباد سريع النقم •
واياك والظلم مهما استطعت • فظلم العباد شديد الوخم •
وسافر بقلبك بين الورى • لتبصر آثار من قد ظلم •
فتلك مساكنهم بعدهم • شهود عليهم ولا تتهم •
وما كان شيء عليهم اضر • من الظلم وهو الذي قد قصم •
فكم تركوا من جنان ومن • قصور واخرى عليهم اطم •
صلوا بالجحيم وفات النعيم • وكان الذي نالهم كالحلم •

فصل ومن عقوباتها ما يلقيه الله سبحانه وتعالى
من الرعب والخوف في قلب العاصي فلا تراه الا خائفا مرعوبا
فان الطاعة حصن الله الاعظم الذي من دخله كان من الامنين
من عقوبة الدنيا والاخرة ومن خرج عنه احاطت به المخاوف
من كل جانب فمن اطاع الله انقلبت المخاوف في حقه امانا
ومن عصاه انقلبت مامنه مخاوف فلا تجد العاصي الا وقلبه
كانه بين جناحي طائر ان حركت الريح الباب قال جاء الطلب
وان سمع وقع قدم خاف ان يكون نذيرا بالعطب يحسب كل
صيحة عليه وكل مكروه قاصدا اليه فمن خاف الله امنه من كل
شيء ومن لم يخف الله اخافه من كل شيء

بذا قضى الله بين الناس مذ خلقوا • ان المخاوف والاجرام في قرن

فصل ومن عقوباتها انها توقع الوحشة العظيمة
في القلب فيجد المذنب نفسه مستوحشا قد وقعت الوحشة
بينه وبين ربه وبين الخلق وبينه وبين نفسه وكلما كثرت

الذنوب استدت الوحشة وامر العيش عيش المستوحشين الخائفين واطيب العيش عيش المستانسين فلو نظر العاقل ووازن بين لذة المعصية وما توقعه من الخوف والوحشة لعلم سوء حاله وعظيم غبنه اذ باع انس الطاعة وامنها وحلاوتها بوحشة المعصية وما توجبه من الخوف ◎

• وان لم تذق وحشة الذنوب فدعها اذا شئت واستانس

وسر المسالة ان الطاعة توجب القرب من الرب فكلما اشتد القرب قوي الانس والمعصية توجب البعد من الرب وكلما ازداد البعد قويت الوحشة ولهذا يجد العبد وحشة بينه وبين عدوه للبعد الذي بينهما وان كان ملابسا له قريبا منه ويجد انسا قريبا بينه وبين من يحب وان كان بعيدا والوحشة سببها الحجاب وكلما غلظ الحجاب زادت الوحشة فالوحشة فالغفلة توجب للوحشة اشد منها وحشة المعصية واشد منها وحشة الشرك والكفر ولا تجد احدا ملابسا شيئا من ذلك الا ويعلوه من الوحشة بحسب ما لابسه منه فتعلو الوحشة وجهه وقلبه فيستوحش ويستوحش منه

فصل

ومن عقوباتها انها تصرف القلب عن صحته واستقامته الى

مرضه وانحرافه ولا يزال مريضا معلولا لا ينتفع بالاغذية التي بها حياته وصلاحه فان تاثير الذنوب في القلوب كتاثير الامراض في الابدان بل الذنوب امراض القلوب وداؤها ولا دواء لها الا تركها وقد اجمع السائرون الى الله ان القلوب لا تعطى مناها حتى تصل الى مولاها ولا تصل الى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها فيصير نفس دوائها ولا يصح لها ذلك الا بمخالفة هواها فهواها مرضها وشفاؤها مخالفته فان استحكم المرض قتل او كاد وكما ان من نهى نفسه عن الهوى كانت الجنة ماواه فكذلك يكون قلبه في هذه الدار في جنة عاجلة لا يشبه نعيم اهلها نعيم الجنة بل التفاوت الذي بين النعيمين كالتفاوت الذي بين نعيم الدنيا والاخرة وهذا امر لا يصدق به الا من باشر قلبه هذا وهذا ولا تحسب ان قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم مقصور على نعيم الاخرة وجحيمها فقط بل في دورهم الثلاثة كذلك اعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار فهؤلاء في نعيم وهؤلاء في جحيم وهل النعيم الا نعيم القلب وهل العذاب الا عذاب القلب واي عذاب

استد من الخوف والم الحزن وضيق الصدر واعراضه عن الله
الدار الاخرة وتعلقه بغير الله وانقطاعه عن الله بكل واد منه شعبه
وكل من تعلق به واحبه من دون الله فانه يسومه سوء العذاب
فكل من احب شيئا غير الله عذب به ثلاث مرات في هذه الدار
فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل فاذا حصل عذب به
حال حصوله بالخوف من سلبه وفواته والتنغيص والتنكيد
عليه وانواع المعارضات فاذا استلبه اشتد عليه عذابه
فهذه ثلاثة انواع من العذاب في هذه الدار واما في البرزخ
فعذاب يقارنه الم الفراق الذي لا يرجو عوده والم فوات
ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده والم الحجاب عن الله
والم الحسرة التي تقطع الاكباد فالهم والغم والحزن والحسرة
تعمل في نفوسهم نظير ما يعمل الهوام والديدان في ابدانهم
بل عملها في النفوس دائم مستمر حتى يردها الله الى اجسادها
فحينئذ ينتقل العذاب الى نوع هو ادهى وامر فاين
هذا من نعيم من يرقص قلبه طربا وفرحا وانسا بربه
واشتياقا اليه وارتياحا بحبه وطمأنينة بذكره حتى يقول
بعضهم في حال نزعه واطرباه ويقول الاخر ان كان اهل

الجنة في مثل هذا الحال انهم لفي عيش طيب ويقول الاخر مساكين
اهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا الذ ما فيها وما ذاقوا
اطيب ما فيها ويقول الاخر لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه
لجالدونا عليه بالسيوف ويقول الاخر ان في الدنيا جنة من لم
يدخلها لم يدخل جنة الاخرة فيا من باع حظه الغالي بابخس الثمن
وغبن كل الغبن في هذا العقد وهو يرى انه قد غبن اذا لم يكن
لك خبرة بقيمة السلعة فسل المقومين فيا عجبا من بضاعة
معك الله مشتريها وثمنها جنة المأوى والسفير الذي جرى
على يديه عقد التبايع وضمن الثمن عن المشتري هو الرسول
وقد بعتها بغاية الهوان ◉

◉ اذا كان هذا فعل عبده بنفسه فمن ذا له من بعد ذلك يكرمه
ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء

فصل ومن عقوباتها انها تعمي بصيرة القلب
وتطمس نوره وتسد طرق العلم وتحجب مواد الهداية
وقد قال مالك للشافعي لما اجتمع به ورأى تلك المخايل
اني ارى الله قد القى على قلبك نورا فلا تطفئه بظلمة المعصية
ولا يزال هذا النور يضعف ويضمحل وظلام المعصية يقوى

حتى يصير القلب في مثل الليل البهيم فيكون في مهالك يسقط فيه
لا يبصره كالأعمى حرج ما لليل في طرق ذات مهالك ومعاطب
فيا عجبا للسلامة من يأمن عند الغضب ثم تقوى تلك الظلمات
وتفيض من القلب إلى الجوارح فيغشى الوجه منها سواد
بحسب قوتها وتزايدها فإذا كان عند الموت ظهرت في البرزخ
فامتلأ القبر ظلمة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه القبور
ممتلئة على أهلها ظلمة وإن الله ينورها بصلاتي عليهم فإذا
كان يوم المعاد وحشر الأجساد علت الوجوه علوا
ظاهرا يراه كل أحد حتى يصير الوجه أسود مثل الحممة فيا لها
عقوبة لا توازن لذات الدنيا بأجمعها من أولها
إلى آخرها فكيف بقسط العبد المنغص المنكد المتعب في
زمن إنما هو ساعة من حلم فالله المستعان

فصل

ومن عقوباتها أنها تصغر النفس
وتقمعها وتدسيها وتحقرها حتى تصير أصغر شيء وأحقره كما
أن الطاعة تنميها وتزكيها وتكبرها قال تعالى قد أفلح من
زكاها وقد خاب من دساها المعنى قد أفلح من
كبرها وأعلاها بطاعة الله وأظهرها وقد خسر من أخفاها

تعالى

وحقرها وصغرها بمعصية الله وأصل التدسية الإخفاء ومنه قوله
يدسه في التراب فالعاصي يدس نفسه في المعصية ويخفي مكانها
يتوارى من الخلق من سوء ما يأتي به قد انقمع عند نفسه
وانقمع عند الله وانقمع عند الخلق فالطاعة والبر تكبر النفس
وتعزها وتعليها حتى تصير أشرف شيء وأكبره وأزكاه وأعلاه
ومع ذلك فهي أذل شيء وأحقره وأصغره لله وبهذا الذل
حصل لها هذا العز والشرف والنمو فما صغر النفوس مثل
معصية الله وما كبرها وشرفها ورفعها مثل طاعة الله

فصل

ومن عقوباتها أن العاصي دائما في أسر شيطانه وسجن شهواته
وقيود هواه فهو أسير مسجون مقيد ولا أسير أسوأ حالا من أسير
أسره أعدى عدو له ولا سجن أضيق من سجن الهوى ولا قيد
أصعب من قيد الشهوة فكيف يسير إلى الله والدار الآخرة قلب

فصل

مأسور مسجون مقيد وكيف يخطو خطوة واحدة وإذا تقيد
القلب طرقته الآفات من كل جانب بحسب قيوده ومثل
القلب مثل الطائر كلما علا بعد عن الآفات وكلما
نزل احتوشته الآفات وفي الحديث الشيطان ذئب
الإنسان وكما أن الشاة التي لا حافظ لها وهي بين الذئاب

مشبعه العطب فكذا العبد اذا لم يكن عليه حافظ من الله
فذنبه مفترسه ولابد وانما يكون عليه حافظ من الله بالتقوى
فهي وقايته وجنته حصينة بينه وبين ذيبه كما هي وقايه بينه وبين
عقوبة الدنيا والاخرة وكلما كانت الشاة اقرب من الراعي
كانت اسلم من الذيب وكلما بعدت عن الراعي كانت اقرب
الى الهلاك فاحمى ما تكون الشاة اذا قربت من الراعي وانما
ياخذ الذيب القاصية من الغنم وهي ابعد من الراعي واصل هذا بلغ
كله ان القلب كلما كان ابعد من الله كانت الافات اليه اسرع
وكلما قرب من الله بعدت عنه الافات والبعد من الله
مراتب بعضها اشد من بعض فالغفلة تبعد القلب عن الله
وبعد المعصية اعظم من بعد الغفلة وبعد البدعة اعظم من
بعد المعصية وبعد النفاق والشرك اعظم من ذلك كله

فصل ومن عقوباتها سقوط الجاه والمنزلة
والكرامة عند الله وعند خلقه فان اكرم الخلق عند الله
اتقاهم واقربهم منه منزلة اطوعهم له وعلى قدر طاعة العبد
له تكون منزلته عنده فاذا عصاه وخالف امره سقط
من عينه فاسقطه من قلوب عباده واذا لم يبق له جاه عند الخلق

وهان عليهم عاملوه على حسب ذلك فعاش بينهم اسوا عيش
خامل الذكر ساقط القدر زري الحال لا حرمة له ولا فرح له ولا
سرور فان خمول الذكر وسقوط القدر والجاه معه كل غم وهم
وحزن ولا سرور معه ولا فرح واين هذا الالم من لذة المعصية
لولا سكر الشهوة ومن اعظم نعم الله على العبد ان يرفع له
بين العالمين ذكره ويعلي قدره ولهذا خص انبياءه ورسله من
ذلك بما ليس لغيرهم كما قال تعالى واذكر عبادنا ابرهيم اسمعيل
واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم
بخالصة ذكرى الدار اي خصصناهم بخصيصة وهو الذكر
الجميل الذي يذكرون به في هذه الدار وهو لسان
الصدق الذي سأله ابرهيم الخليل حيث قال واجعل لي
لسان صدق في الاخرين وقال سبحانه عنه وعن بنيه لسان
ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم صدق عليا وقال
لنبيه صلى الله عليه وسلم ورفعنا لك ذكرك فاتباع الرسل
لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم من طاعتهم ومتابعتهم
وكل من خالفهم فانه من ذلك بحسب مخالفتهم ومعصيتهم

فصل ومن عقوباتها انها تسلب صاحبها اسماء

السنة وتكسوه اسما الذم والصغار فتسلبه اسم المومن
والبر والمحسن والمتقي والمطيع والمنيب والولي والورع والصالح والعابد
والخايف والاواب والطيب والمرضي ونحوها وتكسوه اسم الفاجر
والعاصي والمخالف والمسي والمفسد والخبيث والمسخوط والزاني عليه
والسارق والقاتل والكاذب والخاين واللوطي وقاطع الرحم
والغادر واشباهها فهذه اسما الفسوق وبيس الاسم الفسوق
بعد الايمان الذي توجب غضب الديان ودخول النيران
وعيش الخزي والهوان وتلك اسما توجب رضى الرحمن ودخول
الجنان و[illegible] توجب شرف المسمى بها على ساير نوع الانسان
فلو لم يكن في عقوبة المعصية الا استحقاق تلك الاسما
وموجباتها لكان في العقل ناه عنها ولو لم يكن في ثواب الطاعة
الا الفوز بتلك الاسما وموجباتها لكان في العقل امر
بها ولكن لا مانع لما اعطى الله ولا معطي لما منع ولا مقرب لما
باعد ولا مبعد لمن قرب ومن يهن الله فما له من مكرم
ان الله يفعل ما يشا **فصل** ومن عقوباتها
انها تؤثر بالخاصة في نقصان العقل فلا تجد عاقلين
احدهما مطيع لله والاخر عاص الا وعقل المطيع منهما اوفر
واكمل

واكمل وفكره اصح وراه اسد والصواب قرينه ولهذا تجد خطاب
القران انما هو مع اولي العقول والالباب كقوله واتقون يا اولي الالباب
وكقوله فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين امنوا وقوله انما يتذكر
اولوا الالباب ونظاير ذلك كثيرة وكيف يكون عاقلا
وافر العقل من يعصي من هو في قبضته وفي داره وهو يعلم انه يراه
ويشاهده فيعصيه وهو بعينه غير متوار عنه ويستعين بنعمه
على مساخطه ويستدعي كل وقت غضبه عليه ولعنته له وابعاده
من قربه وطرده عن بابه واعراضه عنه وخذلانه له والتخلية بينه
وبين نفسه وعدوه وسقوطه من عينه وحرمانه روح رضاه وحبه
وقرة العين بقربه والفوز بجواره والنظر الى وجهه في زمرة اوليايه
الى اضعاف اضعاف ذلك من عقوبة اهل المعصية واي
عقل لمن اثر لذة ساعة او يوم او دهر ثم تنقضي كانها حلم
لم يكن على هذا النعيم المقيم والفوز العظيم بل هو سعادة الدنيا
والاخرة ولولا العقل الذي تقوم به عليه الحجة لكان بمنزلة
المجانين بل قد تكون المجانين احسن حالا منه واسلم عاقبة
فهذا من هذا الوجه واما تاثيرها في نقصان العقل المعيشي
فلولا الاشتراك في هذا النقصان لظهر لمطيعنا نقصان

عقل عاصيا ولكن الحاجة عامة والجنون فنون ويا عجبا
لو صحت العقول لعلمت أن طريق تحصيل اللذة والفرحة والسرور
وطيب العيش إنما هو في رضا من النعيم كله في رضاه والألم
والعذاب كله في سخطه وغضبه ففي رضاه قرة العيون وسرور
النفوس وحياة القلوب ولذة الأرواح وطيب الحياة ولذة
العيش وأطيب النعيم مما لو وزن منه مثقال ذرة بنعيم الدنيا
لم يف به بل إذا حصل للقلب من ذلك أيسر نصيب لم يرض
بالدنيا وما فيها عوضا منه ومع هذا فهو يتنعم بنصيبه من الدنيا
أعظم من تنعم المترفين فيها ولا يشوب تنعمه بذلك الحظ اليسير
ما يشوب تنعم المترفين من الهموم والغموم والأحزان
والمعارضات بل قد حصل على النعيمين وهو ينتظر نعيمين
آخرين أعظم منهما وما يحصل له في خلال ذلك من الآلام فالأمر
كما قال الله تعالى إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون
من الله ما لا يرجون فلا إله إلا الله ما أنقص عقل من باع
الدر بالبعر والمسك بالرجيع ومرافقة الذين أنعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بمرافقة الذين غضب
الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا

فصل ومن أعظم عقوبات المعاصي أنها توجب القطيعة بين
العبد وبين ربه تبارك وتعالى وإذا وقعت القطيعة انقطعت عنه
أسباب الخير واتصلت به أسباب الشر فأي فلاح وأي
رجاء وأي عيش لمن انقطعت عنه أسباب الخير وقطع ما بينه وبين
وليه ومولاه الذي لا غنى له عنه طرفة عين ولا بد له منه ولا عوض
له عنه واتصلت به أسباب الشر ووصل ما بينه وبين أعدى عدو له
فتولاه عدوه وتخلى عنه وليه فلا تعلم نفس ما في هذا الانقطاع
والاتصال من أنواع الآلام وأنواع العذاب قال
بعض السلف رأيت العبد ملقى بين الله سبحانه وبين الشيطان
فإن أعرض عنه تولاه الشيطان وإن تولاه الله لم يقدر عليه
الشيطان وقد قال تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه
وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا يقول
سبحانه لعباده أنا أكرمت أباكم ورفعت قدره وفضلته على غيره
وأمرت ملائكتي كلهم أن يسجدوا له تكريما له وتشريفا فأطاعوني
وأبى عدوي وعدوه فعصى أمري وخرج عن طاعتي فكيف يحسن بكم
بعد هذا أن تتخذوه وذريته أولياء من دوني فتطيعونه في معصيتي

وتوالونه في خلاف مرضاتي وهم أعداء عدوكم فواليتم عدوي وقد أمرتكم
بمعاداته ومن والى أعداء الملك كان هو وأعداؤه عنده سواء فإن
المحبة والطاعة لا تتم إلا بمعاداة أعداء المطاع وموالاة أوليائه وأما
أن توالي أعداء الملك ثم تدعي أنك موال له فهذا محال هذا لو لم
يكن عدو الملك عدوا لكم فكيف إذا كان عدوكم على الحقيقة
والعداوة التي بينه وبينكم أعظم من العداوة التي بين الشاة
والذئب فكيف يليق بالعاقل أن يوالي عدوه وعدو وليه ومولاه
الذي لا مولى له سواه ونبه سبحانه على قبح هذه الموالاة بقوله وهم
لكم عدو كما نبه على قبحها بقوله ففسق عن أمر ربه فتبين أن
عداوته لربه وعداوته لنا كل منهما سبب يدعو إلى معاداته
فما هذه الموالاة وما هذا الاستبدال بئس للظالمين بدلا
ويشبه أن يكون تحت هذا الخطاب نوع من العتاب لطيف
عجيب وهو أني عاديت إبليس إذ لم يسجد لأبيكم آدم مع ملائكتي
فكانت معاداته لأجلكم ثم كان عاقبة هذه المعاداة أن
عقدتم بينكم وبينه عقد المصالحة فصل ومن
عقوباتها أنها تمحق بركة العمر وبركة الرزق وبركة العلم
وبركة العمل وبركة الطاعة وبالجملة تمحق بركة الدين والدنيا فلا

تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله وما محقت البركة
من الأرض إلا بمعاصي الخلق قال تعالى ولو أن أهل الكتاب
آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقال تعالى
وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا وإن العبد
ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفي الحديث إن روح القدس نفث في روعي
أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في
الطلب فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته وإن الله جعل
الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك
والسخط وقد تقدم الأثر الذي ذكره أحمد في كتاب الزهد
أنا الله إذا رضيت باركت وليس لبركتي منتهى وإذا غضبت لعنت
ولعنتي تدرك السابع من الولد وسعة الرزق والعمل بكثرته
ولا طول العمر بكثرة الشهور والأعوام ولكن سعة الرزق والعمر بالبركة
فيه وقد تقدم أن عمر العبد هو مدة حياته ولا حياة لمن أعرض
عن الله واشتغل بغيره بل حياة البهائم خير من حياته فإن حياة
الإنسان بحياة قلبه وروحه ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة
فاطره ومحبته وعبادته وحده والإنابة إليه والطمأنينة بذكره
والأنس بقربه ومن فقد هذه الحياة فقد فقد الخير كله

ولو عوض عنه بما يعوض بما في الدنيا بل ليست الدنيا بأجمعها عوضا
عن هذه الجباة فمن كل شيء يفوت العبد عوض وإذا فاته الله لم
يعوض عنه شيء البتة وكيف يعوض الفقير بالذات عن الغني بالذات
والعاجز بالذات عن القادر بالذات والميت عن الحي الذي لا
يموت والمخلوق عن الخالق ومن لا وجود له ولا شيء له من ذاته
البتة عن من غناه وحياته وكماله ووجوده ورحمته من لوازم ذاته
وكيف يعوض من لا يملك مثقال ذرة عمن له ملك السماوات
والأرض وإنما كانت معصية الله سببا لمحق بركة الرزق والأجل
لأن الشيطان موكل بها وبأصحابها فسلطانه عليهم وحوالته على
هذا الديوان وأهله وأصحابه وكل شيء يتصل به الشيطان ويقارنه
فبركته ممحوقة ولهذا شرع ذكر اسم الله تعالى عند الأكل واللبس
والشرب والجماع والركوب لما في مقارنة اسم الله من البركة
وذكر اسمه يطرد الشيطان فتحصل البركة ولا معارض له
وكل شيء لا يكون لله فبركته منزوعة فإن الرب هو الذي
يبارك وحده والبركة كلها منه وكلما نسب إليه مبارك فكلامه
مبارك ورسوله مبارك وعبده المؤمن النافع لخلقه
مبارك وبيته الحرام مبارك وكنانته من أرضه هي أرض

٦٢

الشام أرض البركة وصفها بالبركة في ست آيات من كتابه
فلا مبارك إلا هو وحده ولا مبارك إلا ما نسب إليه أعني
إلى ألوهيته ومحبته ورضاه وإلا فالكون كله منسوب
إلى ربوبيته وخلقه وكل ما باعده من نفسه من الأعيان والأقوال
والأعمال فلا بركة فيه ولا خير فيه وكل ما كان قريبا من ذلك
ففيه من البركة على حسب قربه منه وضد البركة اللعنة
فأرض لعنها الله أو شخص لعنه أو عمل لعنه أبعد شيء من الخير
والبركة وكلما اتصل بذلك وارتبط به وكان منه بسبيل
فلا بركة فيه البتة وقد لعن عدوه إبليس وجعله أبعد خلقه
منه فكل ما كان من جهته فله من لعنة الله بقدر قربه منه
واتصاله به فمن ههنا كان للمعاصي أعظم تأثير في محق بركة
العمر والرزق والعلم والعمل وكل وقت عصيت الله فيه أو
مال عصي الله به أو بدن أو جاه أو علم أو عمل فهو وبال على صاحبه
ليس له فليس له من عمره وقوته وماله وجاهه وعلمه وعمله إلا
ما أطاع الله به ولهذا من الناس من يعيش في هذه الدار
مائة سنة أو نحوها وكان منهم من يملك القناطير المقنطرة
من الذهب والفضة فيكون ماله في الحقيقة لا يبلغ ألف درهم

أو نحوها وهكذا الجاه والعلم وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم وفي أثر آخر الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله وهذا هو الذي فيه البركة خاصة والله المستعان

فصل ومن عقوباتها أنها تجعل صاحبها من السفلة بعد أن كان مهيئا لأن يكون من العلية فإن الله خلق خلقه قسمين علية وسفلة وجعل عليين مستقر العلية وأسفل سافلين مستقر السفلة وجعل أهل طاعته الأعلين في الدنيا والآخرة كما جعل أهل طاعته أكرم خلقه عليه وأهل معصيته أهون خلقه عليه وجعل العزة لهؤلاء والذلة والصغار لهؤلاء في مسند أحمد من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري فكلما عمل العبد معصية نزل إلى أسفل درجة ولا يزال في نزول حتى يكون من الأسفلين وكلما عمل العبد طاعة ارتفع بها درجة ولا يزال في ارتفاع حتى يكون من الأعلين وقد يجتمع للعبد في أيام حياته الصعود من وجه والنزول من وجه فأيهما كان أغلب عليه كان من أهله فليس من

صعد مائة درجة ونزل درجة واحدة كمن كان بالعكس ولكن يعرض هاهنا للنفوس غلط عظيم وهو أن العبد قد ينزل نزولا بعيدا أبعد مما بين المشرق والمغرب ومما بين السماء والأرض فلا يفي صعوده ألف درجة بهذا النزول الواحد كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن العبد ليتكلم بالكلمة الواحدة لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب فأي صعود يوازي هذه النزلة والنزول أمر لازم للإنسان ولكن من الناس من يكون نزوله إلى غفلة فهذا متى استيقظ من غفلته عاد إلى درجته أو إلى أرفع منها بحسب يقظته ومنهم من يكون نزوله إلى مباح لا ينوي به الاستعانة على الطاعة فهذا متى رجع إلى الطاعة فقد يعود إلى درجته وقد لا يصل إليها وقد يرتفع عنها فإنه قد يعود أعلى همة مما كان وقد يكون أضعف همة وقد تعود همته كما كانت ومنهم من يكون نزوله إلى معصية إما صغيرة أو كبيرة فهذا يحتاج في عوده إلى درجته إلى توبة نصوح وإنابة صادقة واختلف الناس هل يعود بعد التوبة إلى درجته التي كان فيها بناء على أن التوبة تمحو أثر الذنب وتجعل وجوده كعدمه

أن
فكأنه لم يكن ولا يعود دينا على التوبة بأثرها في إسقاط العقوبة
وأما الدرجة التي فاتته فإنه لا يصل إليها قالوا وتقرير ذلك أنه
كان مستعدا باشتغاله بالطاعة في الزمن الذي عصى فيه
لصعود آخر وارتقاء بجملة أعماله السالفة بمنزلة كسب الرجل
كل يوم بجملة ماله الذي يملكه وكلما تضاعف المال تضاعف
الربح فقد راح عليه زمن المعصية ارتفاع وربح بجملة أعماله
فإذا استأنف العمل استأنف صعودا من نزول وكان
قبل ذلك صاعدا من علو وبينهما بون عظيم قالوا ومثل ذلك
رجلان مرتقيان في سلمين لا نهاية لهما وهما سواء فنزل
أحدهما إلى أسفل ولو درجة واحدة ثم استأنف الصعود فإن
الذي لم ينزل يعلو عليه ولا بد وحكم شيخ الإسلام ابن تيمية
رحمه الله بين الطائفتين حكما مقبولا فقال التحقيق
أن من التائبين من يعود إلى أرفع من درجته ومنهم من يعود
إلى مثل درجته ومنهم من لا يصل إلى درجته قلت وهذا
بحسب قوة التوبة وكمالها وما أحدثته المعصية للعبد من
الذل والخضوع والإنابة والحذر والخوف من الله والبكاء
من خشيته فقد تقوى هذه الأمور حتى يعود التائب إلى

أرفع من درجته ويصير بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة فهذا قد
تكون الخطيئة في حقه رحمة فإنها نفت عنه داء العجب وخلصته
من ثقته بنفسه وإدلاله بأعماله ووضعت خد ضراعته وذله وانكساره
على عتبة باب سيده ومولاه وعرفته قدره وأشهدته فقره
وضرورته إلى حفظ سيده له وإلى عفوه عنه ومغفرته له وأخرجت
من قلبه صولة الطاعة وكسرت أنفه أن يشمخ بها أو يتكبر بها أو
يرى نفسه بها خيرا من غيره وأوقفته بين يدي ربه موقف الخطائين
المذنبين ناكس الرأس بين يدي ربه مستحيا منه خائفا
وجلا محتقرا الطاعة مستعظما المعصية قد عرف نفسه بالنقص
والذم وربه منفرد بالكمال والحمد والوفاء كما قيل

استأثر الله بالحمد والوفا وولي الملامة الرجلا

فأي نعمة وصلت من الله إليه استكثرها على نفسه ورأى نفسه
دونها ولم يرها أهلا وأي نقمة أو بلية وصلت إليه رأى نفسه
أهلا لما هو أكثر منها ورأى مولاه قد أحسن إليه إذ لم يعاقبه على قدر
جرمه ولا شطره ولا أدنى جزء منه فإنما يستحقه من
العقوبة لا تحمله الجبال الراسيات فضلا عن هذا العبد
الضعيف العاجز فإن الذنب وإن صغر فإن مقابلة العظيم

الذي لا شيء اعظم منه الكبير الذي لا شيء اكبر منه الكريم الذي لا
احل نعمة لا اجل المنعم بجميع اصناف النعم فنعم وحملها
من انتهى للامور واصنعه واشنعه فان نعابلم العطا والاحلا
وشادات الناس مثل ذلك يستفتح اهل احد منهم من مكافاة
واردل الناس واسقطهم مروه من قابلهم بالرد ابل فكيف
بعظيم السماوات والارض وملك السماوات والارض ومن له
اهل السماوات والارض ولولا ان رحمته غلبت غضبه
ومغفرته سبقت عقوبته الا لتزلزلت الارض بمن قابله
بما لا يليق بمقابلته به ولولا حلمه ومغفرته لزلزلت السماوات
والارض من معاصي العباد قال الله تعالى ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده
انه كان حليما غفورا فتامل ختم هذه الاية باسمين من اسمائه
وهما الحليم الغفور كيف تجد تحت ذلك انه لولا حلمه عن الجناة
ومغفرته للعصاة لما استقرت السماوات والارض وقد
اخبر سبحانه وتعالى عن بعض كفر عباده انه تكاد السماوات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هذا وقد
اخرج الله سبحانه الابوين من الجنة بذنب واحد ارتكباه وخالفا

فيه نهيه ولعن ابليس وطرده واخرجه من ملكوت السماء والارض
بذنب ارتكبه وخالف فيه امره ونحن معاشر الحمقى كما قيل
نصل الذنوب الى الذنوب ونرتجي درك الجنان لذة النعيم الخالد
ولقد علمنا انه قد اخرج الابوين ~~[illegible]~~ بذنب واحد
والمقصود ان العبد قد يكون بعد التوبة خيرا مما كان قبل الخطيئة
وارفع درجة وقد تضعف الخطيئة همته وتوهن عزمه وتمرض قلبه
فلا يقوى دوا التوبة على اعادته الى الصحة الاولى فلا يعود الى درجته
وقد يزول المرض بحيث تعود الصحة كما كانت وتعود الى مثل
عمله فيعود الى درجته هذا كله اذا كان نزوله الى معصية
فان كان نزوله الى امر يقدح في اصل ايمانه مثل الشكوك
والريب والنفاق فذاك نزول لا يرجى لصاحبه صعود الا بتجديد
اسلامه من رأس فصل ومن عقوباتها انها تجري
على العبد من لم يكن يجترئ عليه من اصناف المخلوقات فتجترئ
عليه الشياطين بالاذى والاغواء والوسوسة والتخويف والتحزين
وانسائه ما به مصلحته في ذكره ومضرته في نسيانه فتجترئ عليه الشياطين
حتى تؤزه الى معصية الله ازا وتجترئ عليه شياطين الانس بما
تقدر الله من اذاه في غيبته وحضوره ويجترئ عليه اهله وخدمه

وأولاده وجيرانه حتى الحيوان البهيم قال بعض السلف إني
لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق امرأتي ودابتي وكذلك يعسر عليه
أولياء الأمر عليها الحقوق التي إن عدلوا فيها أقاموا عليه حدود
الله ويجترئ عليه نفسه فتتأسد عليه وتستصعب عليه فلو
أرادها لخير لم تطاوعه ولم تنقد له وتسوقه إلى ما فيه هلاكه
شاء أم أبى وذلك أن الطاعة حصن الرب تبارك وتعالى
الذي من دخله كان من الآمنين فإذا فارق الحصن اجترأ عليه
قطاع الطريق وغيرهم وعلى حسب اجترائه على معاصي الله يكون
اجتراء هذه الآفات والنفوس عليه وليس له شيء يرد عنه
فإن ذكر الله وطاعته والصدقة وإرشاد الجاهل والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقاية ترد عن العبد بمنزلة القوة التي ترد
المرض وتقاومه فإذا سقطت القوة غلب وارد المرض فكان
الهلاك ولا بد للعبد من شيء يرد عنه فإن موجب السيئات
والحسنات تتدافع ويكون الحكم للغالب كما تقدم وكلما
قوي جانب الحسنات كان الرد أقوى فإن الله يدافع عن الذين
آمنوا والإيمان قول وعمل فبحسب قوة الإيمان يكون الدفع والله
المستعان فصل ومن عقوباتها أنها تخون

العبد أحوج ما يكون إلى نفسه فإن كل أحد يحتاج إلى معرفة ما
ينفعه وما يضره في معاشه ومعاده وأعلم الناس أعرفهم بذلك
على التفصيل وأقواهم وأكيسهم من قوي على نفسه وإرادته فاستعملها
فيما ينفعه وكفها عما يضره وفي ذلك تتفاوت معارف الناس
وهممهم ومنازلهم فأعرفهم من كان عارفا بأسباب السعادة
والشقاوة وأرشدهم من آثر هذه على هذه كما أن أسفههم من عكس
الأمر والمعاصي تخون العبد أحوج ما كان إلى نفسه في
تحصيل هذا العلم وإيثار الحظ الأشرف العالي الدائم على
الحظ الخسيس الأدنى المنقطع فيحجبه الذنوب عن كمال العلم وعن
الاشتغال بما هو أولى به وأنفع له في الدارين فإذا وقع في
مكروه واحتاج إلى التخلص منه خانه قلبه ونفسه وجوارحه
وكان بمنزلة رجل معه سيف قد غشيه الصدأ ولزم قرابه
بحيث لا ينجذب مع صاحبه إذا جذبه فعرض له عدو يريد
قتله فوضع يده على قائم سيفه واجتهد ليخرجه فلم يخرج معه فدهمه
العدو وظفر به كذلك القلب يصدأ بالذنوب ويصير مثخنا
بالمرض فإذا احتاج إلى محاربة العدو لم يجد معه منه شيئا
والعبد إنما يحارب ويصاول ويقدم بقلبه والجوارح تبع للقلب

فاذا لم يكن عنده ملكة قوية يدفع بها الظلمة وكذلك النفس اذا لم
تحتشم الشهوات والمعاصي ضعفت عن النفس المطمئنة وان كانت
الامارة تقوى وتشتد فكلما قويت هذه ضعفت تلك فيبقى
الحكم والتصرف للامارة وربما ماتت نفسه المطمئنة موتا لا
يرجى بعده حياة فهذا ميت في الدنيا ميت في البرزخ غير حي في
الاخرة حياة ينتفع بها بل حياته حياة يدرك بها الالم فقط
والمقصود اذا وقع في شدة او كربة او بلية خانه قلبه ولسانه
وجوارحه عما هو انفع شيء له فلا ينجذب قلبه للتوكل على الله والانابة
اليه والجمعية عليه والتضرع والتذلل والانكسار بين يديه
ولا يطاوعه لسانه لذكره وان ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه
ولسانه فيحبس القلب على اللسان بحيث يؤثر الذكر ولا يحبس القلب
واللسان على المذكور بل ان ذكر او دعا ذكر بقلب لاه ساه
غافل ولو اراد من جوارحه ان تعينه بطاعة تدفع عنه
لم تنقد له ولم تطاوعه وهذا كله اثر الذنوب والمعاصي
كمن له جند يدفعون عنه الاعداء فاهمل جنده وضيعهم
واضعفهم وقطع اخبارهم ثم اراد منهم عند هجوم العدو
عليه ان يستفرغوا وسعهم في الدفع عنه بغير قوة وهذا

وثم امر اخوف من ذلك وادهى منه وامر وهو ان يخونه قلبه ولسانه
عند الاحتضار والانتقال الى الله فربما تعذر عليه النطق
بالشهادة كما شاهد الناس كثيرا من المحتضرين اصابهم ذلك
حتى قيل لبعضهم قل لا اله الا الله فقال اه اه لا استطيع ان
اقولها وقيل لاخر قل لا اله الا الله فقال شاه رخ غلبتك
ثم قضى وقيل لاخر قل لا اله الا الله فقال رب قائلة يوما وقد
تعبت كيف الطريق الى حمام منجاب ثم قضى وقيل لاخر قل لا
اله الا الله فجعل يهذي بالغنا ويقول تاتنا تننتنا حتى قضى
وقيل لاخر ذلك فقال وما ينفعني ما تقول ولم ادع معصية
الا ركبتها ثم قضى ولم يقلها وقيل لاخر ذلك فقال وما يغني عني
وما اعرف اني صليت لله صلاة ولم يقلها وقيل لاخر ذلك
فقال هو كافر بما تقول وقضى وقيل لاخر ذلك فقال كلما اردت
ان اقولها ولساني يمسك عنها واخبرني من حضر بعض الشحاذين
عند موته فجعل يقول لله فليس لله فليس حتى قضى واخبرني
بعض التجار عن قرابة له انه احتضر وهو عنده وجعلوا يلقنونه
لا اله الا الله وهو يقول هذه القطعة رخيصة هذه مشترى جيد
هذه كذا حتى قضى وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا

عنه الذي يخفى عليهم من احوال المحتضرين اكثر واعظم واذا كان
العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال ادراكه قد تمكن منه
الشيطان واستعمله فيما يريده من معاصي الله وقد اغفل قلبه وعطل
لسانه عن ذكره وجوارحه عن طاعته فكيف الظن به عند سقوط
قواه واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من الم النزاع وجمع
الشيطان له كل قوته وهمته وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال
منه فرصته فان ذلك اخر العمل فاقوى ما يكون عليه شيطانه ذلك اخرج
الوقت واضعف ما يكون هو في تلك الحال فمن ترى يسلم على ذلك
فهنالك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء فكيف
يوفق لحسن الخاتمة من اغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه
وكان امره فرطا فبعيد من قلبه بعيد من الله غافل عنه متعبد
لهواه اسير لشهواته ولسانه يابس من ذكره وجوارحه معطلة
من طاعته مشتغلة بمعصيته ان يوفق للخاتمة الحسنى
ولقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين وكان المسيئين الظالمين
قد اخذوا توقيعا بالامان ام لهم ايمان علينا بالغة الى
يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم

يا امنا مع قبح الفعل منه اهل اتاك توقيع امن انت تملكه
جمعت شيئين امنا واتباع هوى هذا واحداهما في المرء تهلكه
والمحسنون على درب المخاوف قد ساروا وذلك درب لست تسلكه
فرطت في الزرع وقت البذر من سفه فكيف عند حصاد الناس تدركه
هذا واعجب شيء منك زهدك في دار البقا بعيش سوف تتركه
من السفيه اذا بالله انت ام المغبون في البيع غبنا سوف تدركه

فصل ومن عقوباتها انها تعمي القلب فان لم تعمه اضعفت
بصيرته ولا بد وقد تقدم بيان انها تضعفه ولا بد واذا عمي القلب
او ضعف فاته من معرفة الهدى وقوته فان الكمال الانساني
مداره على اصلين معرفة الحق من الباطل وايثاره عليه وما
تفاوتت منازل الخلق عند الله في الدنيا والاخرة الا بقدر
تفاوت منازلهم في هذين الامرين وهما اللذان اثنى الله سبحانه
على انبيائه بهما في قوله واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب
اولي الايدي والابصار البصائر في الله فالايدي القوى
في تنفيذ الحق والابصار البصائر في الدين فوصفهم بكمال
ادراك الحق وكمال تنفيذه وانقسم الناس في هذا المقام
اربعة اقسام فهؤلاء اشرف اقسام الخلق واكرمهم على الله

القسم الثاني عكس هؤلاء لا بصيرة في الدين ولا قوة على تنفيذ
الحق وهم أكثر هذا الخلق الذين رؤيتهم قذى العيون
وحمى الأرواح وسقم القلوب يضيقون الديار ويغلون
الأسعار ولا يستفاد بصحبتهم إلا العار والشنار
القسم الثالث من له بصيرة بالحق ومعرفة به لكنه ضعيف
لا قوة له على تنفيذه ولا الدعوة إليه وهذا حال المؤمن
الضعيف والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله منه القسم
الرابع من له قوة وهمة وعزيمة لكنه ضعيف البصيرة
في الدين لا يكاد يميز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان
بل يحسب كل سوداء تمرة وكل بيضاء شحمة يحسب الورم
شحما والدواء النافع سما وليس في هؤلاء من يصلح للإمامة
في الدين ولا هو موضعا لها سوى القسم الأول قال
الله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا
وكانوا بآياتنا يوقنون فأخبر سبحانه أن بالصبر واليقين
تنال الإمامة في الدين وهؤلاء هم الذين استثناهم الله
سبحانه من جملة الخاسرين وأقسم بالعصر الذي هو زمن
سعي الخاسرين والرابحين على أن من عداهم فهو من الخاسرين

فقال العص

٧٠

ت

فقال والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ولم يكتف منهم بمعرفة الحق
والصبر عليه حتى يوصي بعضهم بعضا به ويرشده إليه ويحضه
عليه وإذا كان من عدا هؤلاء خاسرا فمعلوم أن المعاصي والذنوب
تعمي بصيرة القلب فلا يدرك الحق كما ينبغي وتضعف قوته وعزيمته
فلا يصبر عليه بل قد يتوارد على القلب حتى ينعكس إدراكه
كما ينعكس سيره فيدرك الباطل حقا والحق باطلا والمعروف
منكرا والمنكر معروفا فينتكس في سيره ويرجع إلى الله عن
سفره والدار الآخرة إلى سفره إلى مستقر النفوس المبطلة
التي رضيت بالحياة الدنيا واطمأنت بها وغفلت عن الله
وآياته وتركت الاستعداد للقائه ولو لم يكن في عقوبة
الذنوب إلا هذه العقوبة وحدها لكانت داعية إلى
تركها والبعد منها والله المستعان وهذا كما أن
الطاعة تنور القلب وتجلوه وتصقله وتقويه وتثبته حتى
يصير كالمرآة المجلوة الصافية في جلائها وصفائها فيمتلئ
نورا فإذا دنا الشيطان منه أصابه من نوره ما
يصيب مسترق السمع من الشهب الثواقب فالشيطان

نفر من هذا القلب استأنس وقرب الأنس من الأسد حتى
إن صاحبه ليصرع الشيطان فيخر صريعًا فيجتمع عليه الشياطين
فيقول بعضهم لبعض ما شأنه فيقال أصابه إنسي وبه نظرة من
الإنس فيا نظرة من قلب حر منير ذكار يهزم الشيطان بالنور محرق
أفيستوي هذا القلب وقلب مظلم أرجاؤه مخالفة أهواؤه
تداعبه الشيطان في ظلمة أعداه تمكنه إذا أصبح تطلعه حباه
وقال مدنيف من لا نطلي في دنياه لا في آخرته

قرينك في الدنيا وفي الحشر بعدها فأنت قرين لي بكل مكان
فإن كنت في دار الشقاء فإنني وأنت جميعًا في شقاء وهوان

قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم
ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال
يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم
إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون فأخبر سبحانه أن من عشي عن
ذكره وهو كتابه الذي أنزله على رسوله فأعرض عنه وعمي عنه وعشت
بصيرته عن فهمه وتدبره ومعرفة مراد الله منه قيض الله له شيطانا
عقوبة له فأعرض عن كتابه فهو قرينه الذي لا يفارقه في
الإقامة ولا في المسير ومعه الذي هو بئس المولى وبئس العشير

وصيحي ليالي تذكرانهم إنما شئتما سعي دالج عوض لا يتفرق

ثم أخبر سبحانه أن الشيطان يصد قرينه ووليه عن سبيله الموصل
إليه وإلى جنته ويحسب هذا الضال المصدود أنه على طريق هدى
حتى إذا جاء القرينان يوم القيامة يقول أحدهما للآخر يا ليت بيني
وبينك بعد المشرقين فبئس القرين كنت لي في الدنيا أضللتني
عن الهدى بعد إذ جاءني وصددتني عن الحق وأغويتني حتى هلكت
وبئس القرين أنت لي اليوم ولما كان المصاب إذا شاركه غيره في
مصيبته حصل بالتأسي نوع تخفيف وتسلية أخبر سبحانه أن
هذا غير موجود وغير حاصل في حق المشتركين في العذاب وأن
القرين لا يجد راحة ولا أدنى فرح بعذاب قرينه معه وإن كانت
المصائب في الدنيا إذا عمت صارت مسلاة كما قالت الخنساء في أخيها صخر

فلولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي

ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون

فصل

ومن عقوباتها أنها تمد في الإنسان بعدد عدوه عليه وجيش
يقويه به على حربه وذلك أن الله سبحانه ابتلى هذا الإنسان بعدو
لا يفارقه طرفة عين ينام ولا ينام عنه ويغفل ولا يغفل عنه

بل هو وسيلة من حيث لا يراه يبذل جهده في معاداته في كل حال
لا يدع امرا يكيده به يقدر على ايصاله اليه الا اوصله اليه ويستعين
عليه ببني ابيه من شياطين الجن وغيرهم من شياطين الانس فقد
نصب له الحبائل وبغاه الغوائل ومد حوله الاشراك ونصب له
الفخاخ والشباك وقال لاعوانه دونكم عدوكم وعدو ابيكم
لا يفوتنكم ولا يكن حظه الجنة وحظكم النار ونصيبه الرحمة ونصيبكم
اللعنة وقد علمتم ان ما جرى علي وعليكم من الخزي واللعن والابعاد
من رحمة الله بسببه ومن اجله فابذلوا جهدكم ان يكونوا
شركاءنا في هذه البلية اذ قد فاتنا شركة صالحيهم في الجنة
وقد اعلمنا سبحانه بذلك كله من عدونا وامرنا ان ناخذ له اهبته
ونعد له عدته ولما علم سبحانه ان ادم وبنيه قد بلوا بهذا العدو
وانه قد سلط عليهم امدهم بعساكر وجند يلقونه بها وامد عدوهم
ايضا بجند وعساكر يلقاهم بها واقام سوق الجهاد في هذه
الدار في مدة العمر التي هي بالاضافة الى الاخرة كنفس واحد
من انفاسها واشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
واخبر ان ذلك وعدا موكدا عليه في اشرف كتبه وهي التوراة

والانجيل والقران واخبر انه لا اوفى بعهده منه سبحانه ثم امرهم
ان يستبشروا بهذه الصفقة التي من اراد ان يعرف قدرها فلينظر
الى المشتري من هو والى الثمن المبذول في هذه السلعة والى
من جرى على يديه هذا العقد فاي فوز اعظم من هذا واي تجارة
اربح منه ثم اكد سبحانه معهم هذا الامر بقوله يا ايها الذين امنوا
هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر
لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة
في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله
وفتح قريب وبشر المومنين ولم يسلط سبحانه هذا العدو على
عبده المومن الذي هو احب انواع المخلوقات اليه الا لان
الجهاد احب شيء اليه واهله ارفع الخلق عنده درجات واقربهم هذا
اليه وسيلة فعقد سبحانه لواء الحرب لخلاصة مخلوقاته
وهو القلب الذي هو محل معرفته ومحبته وعبوديته والاخلاص
له والتوكل عليه والانابة اليه فولاه امر هذا الحرب وايده بجند
من الملائكة لا يفارقونه معقبات من بين يديه ومن
خلفه يعقب بعضهم بعضا كلما ذهب بدل جاء بدل اخر

مستوية ويأمرونه بالخير ويحضونه عليه ويجدونه كما امره الله
وينصرونه ويقولون انما هو صبر ساعة وقد استرحت راحة
لا بد ثم امده سبحانه بجند آخر من المدد بالروح وكلامه فارسل
الله رسوله وانزل اليه كتابه فازداد جنده الى جنوده ومددا
الى مدده وعدة الى عدده وايده مع ذلك بالعقل وزيرا له ومدبرا
وبالمعرفة مشيرة عليه بالمصلحة له وبالايمان مثبتا له ومويدا
وناصرا وباليقين كاشفا له عن حقيقة الامر كانه يعاين
ما وعد الله به اولياءه وحزبه على جهاد اعدائه فالعقل يدبر امره
حسبته المعرفة تصنع له امور الحرب واسبابها ومواضعها اللائقة
بها والايمان يثبته ويقويه ويصبره واليقين يقدم به ويحمل
به الحملات الصادقة ثم امده سبحانه القائم بهذا الحرب
بالقوى الظاهرة والباطنة فجعل العين طليعته والاذن
صاحب خبره واللسان ترجمانه واليدين والرجلين اعوانه
واقام ملائكته وحملة عرشه يستغفرون له ويسالون
له ان يقيه السيئات ويدخله الجنات وتولى سبحانه
الدفع والدفاع عنه بنفسه وقال هولاء حزبي وحزب
الله هم المفلحون وهولاء جندي ان جندنا لهم الغالبون

وعلم سبحانه عباده كيف هذا الحرب والجهاد فجمعها لهم في اربع كلمات
فقال يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله
لعلكم تفلحون ولا يتم امر هذا الجهاد الا بهذه الامور الاربعة
فلا يتم له الصبر الا بمصابرة العدو وهي مواقفته ومنازلته
فاذا صابر عدوه احتاج الى امر اخر وهو المرابطة وهي لزوم ثغر
القلب وحراسته لئلا يدخل منه العدو ولزوم ثغر العين
والاذن واللسان والبطن واليد والرجل فهذه الثغور منها يدخل
العدو فيجوس خلال الديار ويفسد ما قدر عليه فالمرابطة
لزوم هذه الثغور ولا يخلي مكانها فيصادف العدو الثغر
خاليا فيدخل منه فهولاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير الخلق بعد النبيين والمرسلين واعظمهم حماية وحراسة من الشيطان
وقد اخلوا المكان الذي امروا بلزومه يوم احد فدخل
منه العدو فكان ما كان وجماع هذه الثلاثة وعمودها الذي
تقوم به هو تقوى الله تعالى فلا ينفع الصبر والمصابرة والمرا بطة
الا بالتقوى ولا تقوم التقوى الا على ساق الصبر فانظر الى
فكر الى التقاء الجيشين واصطفاف العسكرين وكيف
تدال مرة ويدال عليك اخرى اقبل ملك الكفر بجنوده وعساكره

توحد القلب في حصنه جالسًا على كرسي مملكته امرها قد
بي اعوانه وخدمه فيخبروه بما ينالون عنه وبما تحول عن
حوزته فلم يمكنها التحكم عليه للاحتجاز ببعض ابوابه وحجبه
عليه فيسال عن حصن الجند به او فيهم منه منزله فيقول له هو
النفس فقال لاعوانه ادخلوا عليها من مرادها وانظروا الى
مواقع محبتها وما هو محبوبها فعدوها به ومنوها اياه وانقشوا
صورة المحبوب فيها في يقظتها ومنامها فاذا اطمانت اليه
وسكنت عنده فاطرحوا عليها كلاليب الشهوة وخطاطيفها
ثم جروها بها اليه فاذا اخامرت على القلب وصادف معلم عليه
ملكه ثغر العين والاذن واللسان والفم واليد والرجل ثم انظروا
على هذه الثغور كل المرابطة فمتى دخلتم منها الى القلب فهو
قتيل او اسير او جريح مثخن بالجراحات ولا تحكموا هذه
الثغور ولا تمكنوا سبيل يدخلها الى القلب فيخرجكم منها
وان غلبتم فاجتهدوا في اضعاف الشبه وذهنها حتى
تصل الى القلب وان وصلت اليه وصلت ضعيفة لا تغني عنه
شيئًا فاذا استوليتم على هذه الثغور فامنعوا ثغر العين
ان يكون نظره اعتبارًا بل اجعلوا نظره تفرجًا واستحسانًا

وتلهيًا فان استرق نظره عبرة فافسدوها عليه بنظر الغفلة
والاستحسان والشهوة فانه اقرب اليه واعلق بنفسه
واخف عليه ودونكم ثغر العين فان منه تنالون بغيتكم فاني
ما افسدت بني ادم بشيء مثل النظر فاني ابذر به في القلب
بذر الشهوة ثم اسقيه بماء الامنية ثم لا ازال اعده
واعده حتى اقوي عزيمته واقوده بزمام الشهوة الى
الانخلاع من العصمة فلا تهملوا امر هذا الثغر
وافسدوه بحسب استطاعتكم وهونوا عليه امره وقولوا له
ما مقدار نظرة يدعوك الى تسبيح الخالق والتامل لبديع
صنعته وحسن هذه الصورة التي انما خلقت ليستدل بها
الناظر عليه وما خلق الله لك العينين سدى وما خلق
هذه الصورة ليحجبها عن النظر وان ظفرتم به قليل العلم فاسد
العقل فقولوا هذه صورة من مظاهر الحق ومجلى من مجاليه
فادعوه الى القول بالاتحاد فان لم يقبل فالقول بالحلول
العام او الخاص ولا تقنعوا منه بدون ذلك فانه يصير
به من اخوان النصارى ثم حسنوا له العفة والصيانة
والعبادة والزهد في الدنيا واصطادوا عليه الجهال فهذا

فصل

من اقرب حلفائي وجندي بل انا من جنده واعوانه
ثم اسعوا بعد الاذن ان يدخل منه ما تقدر عليكم الا واجتهدوا
ان لا يدخلوا منه الا الباطل فانه خفيف على النفس تستحليه
وتستملحه بجراله اعذب الالفاظ واسحرها للالباب
وامزجوه بما تهوى النفس مزجا والقوا الكلمة فان رايتم منه
اصغاء اليها فزجوا اخواتها وكلما صادفتم منه استحسان
شيء فالقوا اليه اخاه وان ادخل من هذا الثغر شيء من
كلام الله او كلام رسوله او كلام النصحاء فان
غلبتم على ذلك ودخل من ذلك شيء فحولوا بينه وبين فهمه
وتدبره والتفكر فيه والعظة اما بادخال ضده عليه
واما بتهويل ذلك وتعظيمه وان هذا امر قد حيل بين النفوس
وبينه فلا سبيل لها اليه وهو حمل ثقيل عليها لا تستقل
به ونحو ذلك واما بارخاصه على النفوس وان الاشتغال
ينبغي ان يكون باهم مما هو اعلى عند الناس واعز عليهم واغرب
عندهم وزبونه القابلون له اكثر واما الحق فهو مهجور
وقائله معرض نفسه للعداوة والرابح بين الناس اولى الباطل
بالايثار ونحو ذلك فيدخلون عليه في كل قالب يقبله ويخف

عليه ويخرجون له الحق في كل قالب يكرهه ويثقل عليه واذا
شئت ان تعرف ذلك فانظر الى اخوانهم من شياطين
الانس كيف يخرجون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
في قالب كثرة الفضول وتتبع عثرات الناس والتعرض
من البلاء لما لا يطيق والقاء الفتن بين الناس ونحو ذلك
ويخرجون اتباع السنة ووصف الرب سبحانه بما وصف
به نفسه ووصفه به رسوله في قالب التجسيم والتشبيه والتكييف
ويسمون علو الله على خلقه واستواءه على عرشه ومباينته
لمخلوقاته تحيزا ويسمون نزوله الى سماء الدنيا وقوله
من يسألني فاعطيه تحركا وانتقالا ويسمون ما وصف
به نفسه من اليد والوجه اعضاء وجوارح ويسمون ما يقوم
به من افعاله حوادث وما يقوم به من صفاته اعراضا ثم
يتوصلون الى نفي ما وصف به نفسه بنفي هذه الامور
ويوهمون الاغمار وضعفاء البصائر ان اثبات الصفات
التي نطق بها كتاب الله وسنة رسوله تستلزم هذه الامور ويخرجون
التعطيل في قالب التنزيه والتعظيم واكثر الناس ضعفاء
العقول يقبلون الشيء بلفظ ويردونه بعينه بلفظ اخر قال

تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن
يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فسماه زخرفا
وهو باطل لان صاحبه يزخرفه ويزينه ما استطاع ويلقيه
الى سمع المغرور فيغتر به والمقصود ان الشيطان قد لزم
ثغر الاذن ان يدخل فيها ما يضر العبد ولا ينفعه ويمنع ان يدخل
اليها ما ينفعه وان دخل بغير اختياره افسده عليه

فصل

ثم يقول قوموا على ثغر اللسان فانه الثغر الاعظم وهو قبالة
الملك فاجروا عليه من الكلام ما يضره ولا ينفعه وامنعوه ان
يجري عليه شيء مما ينفعه من ذكر الله تعالى واستغفاره وتلاوة
كتابه ونصيحة عباده او التكلم بالعلم النافع ويكون لكم في
هذا الثغر امران عظيمان لا تبالون بايهما ظفرتم احدهما التكلم
بالباطل فان المتكلم بالباطل اخ من اخوانكم ومن اكبر جندكم
واعوانكم والثاني السكوت عن الحق فان الساكت عن
الحق اخ لكم اخرس كما ان الاول اخ ناطق وربما كان الاخ
الثاني انفع اخويكم لكم اما سمعتم قول الناصح المتكلم بالباطل
شيطان ناطق والساكت عن الحق شيطان اخرس فالرباط
الرباط على هذا الثغر ان يتكلم بحق او يمسك عن باطل وزينوا

له التكلم بالباطل بكل طريق وخوفوه من التكلم بالحق بكل طريق
واعلموا يا بني ان ثغر اللسان هو الذي اهلك منه بني ادم
واكبهم منه على مناخرهم في النار فكم لي من قتيل واسير
وجريح اخذته من هذا الثغر واوصيكم بوصية فاحفظوها
لينطق احدكم على لسان اخيه من الانس بالكلمة ويكون الاخر
على لسان السامع فينطق باستحسانها وتعظيمها والتعجب منها
ويطلب من اخيه اعادتها وكونوا اعوانا على الانس بكل
طريق وادخلوا عليهم من كل باب واقعدوا لهم كل مرصد
اما سمعتم قسمي الذي اقسمت به لربهم حيث قلت فبما
اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من
بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد
اكثرهم شاكرين او ما تراني قد قعدت لابن ادم بطرقه
غيره حتى اصيب منه حاجتي او بعضها وقد حذرهم ذلك
رسولهم فقال ان الشيطان قد قعد لابن ادم بطرقه كلها
فقعد له بطريق الاسلام فقال له اتسلم وتذر دينك ودين
ابائك فخالفه واسلم فقعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر
ارضك وسماءك فخالفه وهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال

تجاهد فيفصل بتقسيم المال وتنكح الزوجة فهكذا فاقعدوا
لهم بكل طريق الخير فاذا اراد احدهم ان يتصدق فاقعدوا
له على طريق الصدقة وقولوا له في نفسه اتخرج المال فتبقى مثل
هذا السائل وتصير بمنزلته انت وهو سواء اوما سمعتم ما القي
على لسان رجل ساله اخر ان يتصدق عليه فقال هي اموالنا
ان اعطيناكموها صرنا مثلكم واقعدوا لهم على طريق الحج فقولوا
طريقه شاقة مخوفة يتعرض سالكها لتلف النفس والمال
وهكذا فاقعدوا على سائر طرق الخير بالتنفير منها وذكر
صعوبتها وافاتها ثم اقعدوا على طرق المعاصي فحسنوها في
اعين بني ادم وزينوها في قلوبهم واجعلوا اكثر اعوانكم
على ذلك النسا فمن ابوابهن فادخلوا عليهم فنعم العون هن
لكم ثم الزموا ثغر اليدين والرجلين فامنعوها ان تبطش
بما يضركم او تمشي فيه واعلموا ان اعونكم على لزوم هذه
الثغور مصالحة النفس الامارة فاعينوها واستعينوا
بها وامدوها واستمدوا منها وكونوا معها على حرب النفس
المطمئنة واجتهدوا في كسرها وابطال قواها ولا سبيل
الى ذلك الا بقطع موادها عنها فاذا انقطعت موادها وقويت

مواد النفس الامارة وانطاعت لكم اعوانها فاستنزلوا القلب من
حصنه واعزلوه عن مملكته وولوا مكانه النفس فانها لا
تامر الا بما تهوونه وتحبونه ولا تجيئكم بما تكرهونه البتة
مع انها لا تخالفكم في شيء تشيرون به عليها بل اذا اشرتم عليها
بشيء بادرت الى فعله فان احسستم من القلب منازعة
الى مملكته واردتم الامن من ذلك فاعقدوا بينه وبين
النفس عقد النكاح فزينوها وجملوها واوردوها اياه في
احسن صورة عروس توجد وقولوا له ذق طعم هذا الوصال
والتمتع بهذه العروس كما ذقت طعم الحرب وباشرت مرارة
الطعن والضرب ثم وازن بين لذة هذه المسالمة ومرارة تلك
المحاربة فدع الحرب تضع اوزارها فليست بيوم ويمضي
وانما هو حرب متصل بالموت وقواك تضعف عن حرب
دائم واستعينوا يا بني بجندين عظيمين لن تغلبوا معهما احدهما
جند الغفلة فاغفلوا قلوب بني ادم عن الله والدار الاخرة
بكل طريق فليس لكم شيء ابلغ في تحصيل غرضكم من ذلك فان
القلب اذا غفل عن الله تمكنتم منه ومن اغوائه والثاني جند
الشهوات فزينوها في قلوبهم وحسنوها في اعينهم وصولوا

عليهم بهذين الحسدين فليس لكم يا بني آدم الجنسهما واستعينوا
على الغفلة بالشهوات وعلى الشهوات بالغفلة وقووا بين الغافلة
ثم استعينوا بهما على الذاكر ولا تغلب واحد منهما فان مع
الغافلين شيطانين صاروا اربعة وشيطان الذاكر معهم
واذا رأيتم جماعة مجتمعين على ما يصلحكم من ذكر الله او مذاكرة امر
دينه ودنيه ولم تقدروا على تفريقهم فاستعينوا عليهم ببني
جنسهم من الانس البطالين وقربوهم منهم وشوشوا عليهم بهم
وبالجملة فاعدوا للامور اقرانها وادخلوا على كل واحد من
بني آدم من باب ارادته وشهوته فساعدوه عليها وكونوا اعوانا
له على تحصيلها واذا كان الله قد امرهم ان يصبروا لكم ويصابروكم
ويرابطوا عليكم الثغور فاصبروا وصابروا ورابطوا عليهم
الثغور وانتهزوا فرصكم فيهم عند الشهوة والغضب ولا
تصطادون بني آدم في اعظم من هذين الموطنين واعلموا ان منهم
من يكون سلطان الشهوة عليه اغلب وسلطان غضبه
ضعيف مقهور فخذوا عليه طريق الشهوة ودعوا طريق
الغضب ومنهم من يكون سلطان الغضب عليه اغلب فلا تخلوا
طريق الشهوة عليه ولا تعطلوا ثغرها فان من لم يملك نفسه

عند الغضب فانه بالحرى ان لا يملك نفسه عند الشهوة فزوجوا
بين غضبه وشهوته وامزجوا احدهما بالآخر وادعوه الى الشهوة
من باب الغضب والى الغضب من طريق الشهوة واعلموا انه
ليس لكم يا بني آدم سلاح ابلغ من هذين السلاحين وانما
اخرجت ابويهم من الجنة بالشهوة وانما القيت العداوة بين
اولادهم بالغضب فبه قطعت ارحامهم وسفكت دماؤهم
وبه قتل احد ابني آدم اخاه واعلموا ان الغضب جمرة في قلب
ابن آدم والشهوة نار تثور من قلبه انما تطفأ النار بالماء
والصلاة والذكر والتكبير فاياكم ان تمكنوا ابن آدم عند
غضبه وشهوته من قربان الوضوء والصلاة فان ذلك يطفئ
عنهم نار الغضب والشهوة وقد امرهم نبيهم بذلك فقال
ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم اما رأيتم احمرار عينيه وانتفاخ
اوداجه فمن احس بذلك فليتوضأ وقال لهم انما تطفأ النار
بالماء وقد اوصاهم الله ان يستعينوا عليكم بالصبر والصلاة
فحولوا بينهم وبين ذلك وانسوهم اياه واستعينوا عليهم بالشهوة
والغضب وابلغ اسلحتكم فيهم وانكاها الغفلة واتباع الهوى
واعظم اسلحتهم فيكم وامنع حصونهم ذكر الله ومخالفة الهوى

فاذا رايتم الرجل خائفا فلوذوا واهربوا من طالع لا تدنوا منه
والمقصود ان الذنوب والمعاصي سلاح ومدد يمدها
العبد اعداه ويعينهم بها على نفسه فيقاتلونه بسلاحه ويكون
معهم على نفسه وهذا غاية الجهل ما يبلغ الاعداء من جاهل
ما يبلغ الجاهل من نفسه ومن العجائب ان العبد يسعى
بجهده في هوان نفسه وهو يزعم انه لها مكرم ويجتهد في حرمانها
اعلى حظوظها واشرفها وهو يزعم انه يسعى في حظها ويبذل
جهده في تحقيرها وتصغيرها وتدسيتها وهو يزعم انه يعليها
ويرفعها ويكبرها وكان بعض السلف يقول في خطبته
الا رب مهين لنفسه وهو يزعم انه لها مكرم ومذل لنفسه
وهو يزعم انه لها معز ومصغر لنفسه وهو يزعم انه لها مكبر
ومضيع لنفسه وهو يزعم انه مراع لحفظها وكفى بالمرء جهلا
ان يكون مع عدوه على نفسه يبلغ منها بفعله ما لا يبلغه
عدوه والله المستعان **فصل** ومن عقوباتها
انها تنسي العبد نفسه واذا نسي نفسه اهملها وافسدها
واهلكها فان قيل كيف ينسى العبد نفسه واذا نسي نفسه
فاي شي يذكر وما معنى نسيانه نفسه قيل

نعم ينسى نفسه اعظم نسيان قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا
الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فلما نسوا
ربهم سبحانه نسيهم وانساهم انفسهم كما قال تعالى نسوا الله فنسيهم
فعاقب سبحانه من نسيه عقوبتين احداهما انه سبحانه
نسيه والثانية انه انساه نفسه ونسيانه سبحانه للعبد
اهماله وتركه وتخليه عنه واضاعته فالهلاك ادنى اليه
من اليد للفم واما انساوه نفسه فهو انساوه لحظوظها
العالية واسباب سعادتها وفلاحها وصلاحها وما تكمل
به ينسيه ذلك جميعه فلا يخطر بباله ولا يجعله على ذكره ولا
يصرف اليه همته فيرغب فيه فانه لا يمر بباله حتى يقصده
ويوثره على نفسه ايضا فينسيه عيوب نفسه ونقصها
وافاتها فلا يخطرها بباله ازالتها واصلاحها وايضا ينسيه امراض
نفسه وقلبه والامها فلا يخطر بقلبه مداواتها ولا
السعي في ازالة عللها وامراضها التي تؤول به الى الفساد
والهلاك فهو مريض مثخن بالمرض ومرضه مترام به
الى التلف ولا يشعر بمرضه ولا يخطر بباله مداواته
وهذا من اعظم العقوبة العامة والخاصة فاي عقوبة

اعظم من غفوة من اهمل نفسه وضيعها ونسي مصالحها ودائها
ودواها واسباب سعادتها وفلاحها وصلاحها وحياتها
الابدية في النعيم المقيم ومن تامل هذا الموضع تبين له ان اكثر
هذا الخلق قد نسوا انفسهم حقيقة وضيعوها واضاعوا
حظها من الله وباعوها رخيصة بثمن بخس بيع الغبن وانما
يظهر لهم هذا عند الموت ويظهر كل الظهور يوم التغابن
يوم يظهر للعبد انه غبن في العقد الذي عقده لنفسه
في هذه الدار والتجارة التي اتجرها لمعاده فان كل احد
يتجر في هذه الدنيا لآخرته فالخاسرون الذين يعتقدون انهم
اهل الربح والكسب اشتروا الحياة الدنيا وحظهم فيها ولذاتهم
بالآخرة وحظهم فيها فاذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا
واستمتعوا بها ورضوا بها واطمانوا اليها وكان سعيهم لتحصيلها
فباعوا واشتروا واتجروا وباعوا آجلا بعاجل ونسيئة
بنقد وغائبا بناجز وقالوا هذا هو الحزم ويقول احدهم
خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به ۝
ولست ابيع حاضرا نقدا مشاهدا في هذه الدار بغائب نسيئة
في دار اخرى غير هذه وينضم الى ذلك ضعف الايمان وقوة داعي

الشهوة

الشهوة ومحبة العاجلة والتشبه ببني الجنس فاكثر الخلق في هذه
التجارة الخاسرة التي قال الله تعالى فيها اولئك الذين اشتروا
الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
وقال فيهم فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فاذا كان
يوم التغابن ظهر لهم الغبن في هذه التجارة فتقطع على النفوس
حسرات واما الرابحون فانهم باعوا فانيا بباق وخسيسا
بنفيس وحقيرا بعظيم وقالوا ما مقدار هذه الدنيا من
اولها الى آخرها حتى نبيع حظنا من الله والدار الآخرة بها.
فكيف بما يناله العبد منها في هذا الزمن القصير الذي هو
في الحقيقة كغفوة حلم لا نسبة له الى دار البقاء البتة قال
تعالى ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون
بينهم وقال تعالى يسألونك عن الساعة ايان مرساها
فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من
يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها
وقال تعالى كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا
ساعة من نهار وقال تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم

الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون وقال تعالى يوم ينفخ في الصور
ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا
نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما
فهذا حقيقة هذه الدنيا عند موافاة القيمة فلما علموا قلة
لبثهم فيها وان لهم دارا غير هذه الدار هي دار الحيوان ودار
البقا وان اعظم الغبن بيع دار البقا بدار الفنا فاتجروا
تجارة الاكياس ولم يغتروا بتجارة السفها من الناس فظهر
لهم يوم التغابن ربح تجارتهم ومقدار ما اشتروه وكل احد
في هذه الدنيا بائع مشتر متجر وكل الناس يغدو فبايع نفسه
فموبقها او مبتاعها فمعتقها ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقران
ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم
وذلك هو الفوز العظيم فهذا اول نقد من ثمن هذه التجارة
فتاجروا ايها المفلسون ويا من لا يقدر على هذا الثمن ههنا
ثمن اخر فان كنت من اهل هذه التجارة فاعط هذا الثمن
التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون

فطول

الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحا
فظون لحدود الله وبشر المومنين يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في
سبيل الله باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان
كنتم تعلمون فالمقصود ان الذنوب تنسي العبد حظه من
هذه التجارة الرابحة وتشغله بالتجارة الخاسرة وكفى بذلك عقوبة
والله المستعان فصل ومن عقوباتها انها
تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة فتزيل الحاصل
وتمنع الواصل فان نعم الله ما حفظ موجودها بمثل
طاعته ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته فان ما عنده
لا ينال الا بطاعته وقد جعل الله سبحانه لكل شي سببا وافة
سببا تجلبه وافة تبطله فجعل اسباب نعمه الجالبة لها
طاعته وافاتها معصيته فاذا اراد حفظ نعمته على عبده
الهمه رعايتها بطاعته فيها واذا اراد زوالها عنه خذله
حتى عصاه بها ومن العجب علم العبد بذلك مشاهدة في
نفسه وغيره وسماعا لما غاب عنه من اخبار من ازيلت نعم
الله عنهم بمعاصيه وهو مقيم على معصية الله كانه مستثنى من

هذه الجملة مخصوص من هذا العموم وكان هذا أرجى لكل
الناس لا عليه وواصل الى الخلق لا اليه فاي جهل ابلغ من هذا
واي ظلم للنفس فوق هذا والحكم لله العلي الكبير فصل
ومن عقوباتها انها تباعد عن العبد وليه انفع الخلق له
وانصحهم له ومن سعادته في قربه منه وهو الملك الموكل به
وتدني منه عدوه اغش الخلق له واعظمهم ضررا له وهو الشيطان
فان العبد اذا عصى الله تباعد منه الملك بقدر تلك المعصية
حتى انه ليتباعد عنه بالكذبة الواحدة مسافة بعيدة وفي
بعض الاثار اذا كذب العبد تباعد الملك منه ميلا من نتن
ريحه فاذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة
فماذا يكون مقدار بعده منه مما هو اكبر من ذلك وافحش منه
وقال بعض السلف اذا ركب الذكر الذكر عجت الارض
الى الله وهربت الملائكة الى ربها وشكت اليه عظيم ما رأت
وقال بعض السلف اذا اصبح العبد ابتدره الملك
والشيطان فان ذكر الله وكبره وحمده وهلله طرد الملك الشيطان
وتولاه وان افتتح بغير ذلك ذهب الملك عنه وتولاه الشيطان
ولا يزال الملك يقرب من العبد حتى يصير الحكم والغلبة

والطاعة له فتتولاه الملائكة في حياته وعند موته وعند بعثه
كما قال تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة واذا تولاه
الملك تولاه انصح الخلق وانفعهم وابرهم فثبته وعلمه وقوى جنانه
وايده قال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين
امنوا ويقول له الملك عند الموت لا تخف ولا تحزن وابشر
بالذي يسرك ويثبته بالقول الثابت احوج ما يكون اليه في
الحياة الدنيا وعند الموت وفي القبر عند المسالة فليس احد
انفع للعبد من صحبة الملك له وهو وليه في يقظته ومنامه وحياته
وعند موته وفي قبره ومؤنسه في وحشته وصاحبه في خلوته
ومحدثه في سره ويحارب عنه عدوه ويدافع عنه ويعينه
عليه ويعده بالخير ويبشره به ويحثه على التصديق بالحق كما
جاء في الاثر الذي يروى مرفوعا وموقوفا ان للملك بقلب
ابن ادم لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق
بالوعد ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق واذا
اشتد قرب الملك من العبد تكلم على لسانه والقى على لسانه

القول السديد اذا بعد منه وقرب منه الشيطان تكلم على لسانه
والى هذا قول المروزي المحدث حتى يرى الرجل يتكلم على لسانه
الملك والرجل يتكلم على لسانه الشيطان وفي الحديث ان
السكينة تنطق على لسان عمر وكان احدهم يسمع الكلمة الصالحة
من الرجل فيقول ما القاها على لسانك الا الملك ويسمع ضدها
فيقول ما القاها على لسانك الا الشيطان فالملك يلقي في القلب
الحق ويلقيه على اللسان والشيطان يلقي الباطل في القلب ويجريه على
اللسان فمن عقوبة المعاصي انها تبعد من العبد وليه
الذي سعادته في قربه ومجاورته وموالاته وتدني منه عدوه
الذي شقاوته وهلاكه وفساده في قربه وموالاته حتى
ان الملك لينافح عن العبد ويرد عنه اذا سفه عليه
السفيه وسبه كما اختصم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم رجلان
فجعل احدهما يسب الآخر وهو ساكت فتكلم بكلمة يرد بها
على صاحبه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لما
رددت عليه بعض قوله قمت فقال كان الملك ينافح عنك فلما
رددت عليه جاء الشيطان فلم اكن لاجلس اذا دعا العبد
المسلم لاخيه بظهر الغيب امن الملك على دعائه وقال ولك

بمثله واذا فرغ من قراءة الفاتحة امنت الملائكة على دعائه واذا اذنب
العبد المؤمن الموحد المتبع لسبيله وسنة رسوله استغفر
له حملة العرش ومن حوله واذا نام على وضوء بات في شعاره ملك
فملك المؤمن يرد عنه ويحارب ويدافع ويعلمه ويثبته ويشجعه
فلا يليق به ان يسيء جواره ويبالغ في اذاه وطرده عنه وابعاده
فانه ضيفه وجاره واذا اكرام الضيف من الادميين فلا احسان كان ثم
الى الجار من لوازم الايمان وموجباته فما الظن باكرام
اكرم الاضياف وخير الجيران وابرهم واذا اذى العبد
الملك بانواع المعاصي والظلم والفواحش دعا عليه ربه وقال
لا جزاك الله خيرا كما يدعو له اذا اكرمه بالطاعة والاحسان
قال بعض الصحابة ان معكم من لا يفارقكم فاستحيوا
منهم واكرموهم ولا الأم ممن لا يستحيي من الكريم العظيم
القدر ولا يجله ولا يوقره وقد نبه سبحانه على هذا المعنى
بقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين اي استحيوا من هؤلاء من
الحافظين الكرام واكرموهم واجلوهم ان يروا منكم ما تستحيون
ان يراكم عليه من هو مثلكم والملائكة تتأذى مما يتأذى منه
بنو ادم فاذا كان ابن ادم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه

بدنه وان كان قد يعمل مثل عمله في الظن بما ذكر الملايمة اللازم الكائن والله المستعان

فصل ومن عقوباتها انها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه واخرته فان الذنوب هي امراض متى استحكمت قتلت ولابد وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذاء يحفظ قوته واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردية التي متى غلبت عليه افسدته وحمية يمتنع بها من تناول ما يوذيه ويخشى ضرره فكذلك القلب لا تتم حياته الا بغذاء من الايمان والاعمال الصالحة تحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح تستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردية منه وحمية توجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم متناول لهذه الامور الثلاثة فما فات منها فات من التقوى بقدره واذا تبين هذا فالذنوب مضادة لهذه الامور الثلاثة فانها تستجلب المواد الموذية وتوجب التخليط المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الى بدن عليل قد تراكمت عليه الاخلاط ومواد المرض وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف تكون صحته وبقاؤه

ولقد احسن القائل
جسمك بالحمية حصنته مخافة من الم طارئ
وكان اولى بك ان تحتمي من المعاصي خشية النار

فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهي واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا والله المستعان

فصل فان لم تردعك هذه العقوبات ولم تجد لها تاثيرا في قلبك فاحضر العقوبات الشرعية التي شرعها الله ورسوله على الجرائم كما قطع اليد في سرقة ثلاثة دراهم وقطع اليد والرجل في قطع الطريق على معصوم المال والنفس وشق الجلد بالسوط على كلمة قذف بمحصن او

فله

قطرة خمر يدخلها جوفه وقتل بالحجارة اشنع القتلات في ايلاج الحشفة في فرج حرام وخفف هذه العقوبة عمن لم تتم عليه نعمة الاحصان بمائة جلدة ونفي سنة عن وطنه وبلده الى بلاد الغربة وفرق بين راس العبد وبدنه اذا وقع على ذات رحم محرم منه او ترك الصلاة المفروضة او تكلم بكلمة كفر وامر بقتل من وطئ ذكرا مثله وقتل المفعول به وامر بقتل من اتى بهيمة وقتل البهيمة معه وعزم على تحريق بيوت المتخلفين عن الصلاة في الجماعة وغير ذلك من العقوبات التي رتبها على

الحرام وحسب الوازع عنه فما كان الوازع عنه طبعا وليس
في الطباع داع اليه اكتفي فيه بالتحريم مع التعزير ولم يرتب عليه حدا
كاكل الرجيع وشرب الدم واكل الميتة وما كان في الطباع
داع اليه رتب عليه من العقوبة بقدر مفسدته وبقدر داعي
الطبع اليه ولهذا لما كان داعي الطباع الى الزنا من اقوى
الدواعي كانت عقوبته العظمى من اشنع القتلات واعظمها
وعقوبته السهلى اعلى انواع الجلد مع زيادة التغريب ولما
كان اللواط فيه الامران كان حده القتل بكل حال ولما كان
داعي السرقة قويا ومفسدتها كذلك قطع فيها اليد وتامل
حكمته في افساد العضو الذي باشر به الجناية كما افسد
على قاطع الطريق رجله ويده اللتين هما آلة قطعه ولم يفسد على القاذف
لسانه الذي جنى به اذ مفسدة قطعه تزيد على مفسدة الجناية
ولا تبلغها فاكتفى من ذلك بايلام جميع بدنه بالجلد فان قيل فهلا
افسد على الزاني فرجه الذي باشر به المعصية قيل لوجوه
احدها ان مفسدة ذلك تزيد على مفسدة الجناية اذ فيه قطع
النسل وتعريضه للهلاك الثاني ان الفرج عضو مستور
لا يحصل بقطعه مقصود الحد من الردع والزجر لامثاله

من الجناة بخلاف قطع اليد الثالث انه اذا قطع يده ابقى له يدا اخرى
تعوض عنها بخلاف الفرج الرابع ان لذة الزنا عمت جميع البدن
فكان الاحسن ان تعم العقوبة جميع البدن وذلك اولى من
تخصيص بضعة منه فعقوبات الشارع جاءت على اتم الوجوه
واوفقها للعقل واقومها بالمصلحة والمقصود ان الذنوب لا بد ان تترتب عليها
العقوبات الشرعية او القدرية او يجمعهما الله للعبد وقد يرفعهما
عمن تاب واحسن **فصل** وعقوبات الذنوب نوعان
شرعية وقدرية فاذا اقيمت الشرعية رفعت القدرية او خففتها
ولا يكاد الرب تعالى يجمع على العبد بين العقوبتين الا اذا لم
يف احدهما برفع موجب الذنب ولم يكف في زوال دائه واذا
عطلت العقوبات الشرعية استحالت قدرية وربما كانت اشد
من الشرعية وربما كانت دونها ولكنها تعم والشرعية تخص فان
الرب تبارك وتعالى لا يعاقب شرعا الا من باشر الجناية
او تسبب اليها واما العقوبة القدرية فانها تقع عامة وخاصة
فان المعصية اذا خفيت لم تضر الا صاحبها واذا اعلنت ضرت
الخاصة والعامة واذا راى الناس المنكر فاشتركوا في
ترك انكاره اوشك ان يعمهم الله بعقابه وقد تقدم ان

العقوبات

العقوبة التي شرعها الله سبحانه على قدر مفسدة الذنب
وتقاضي الطبع لها وجعل سبحانه ثلاثة انواع القتل والقطع
والجلد وجعل القتل بازاء الكفر وما يليه ويقرب منه وهو الزنا
واللواط فان هذا يفسد الاديان وهذا يفسد الانساب
ونوع الانسان قال الامام احمد لا اعلم بعد القتل ذنبا
اعظم من الزنا واحتج بحديث عبد الله بن مسعود انه قال
يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو
خلقك قال قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان
يطعم معك قال قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك
فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها اخر
ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون
الاية والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر من كل نوع اعلاه ليطابق
جوابه سؤال السائل فانه سأله عن اعظم الذنب فاجابه
بما تضمن ذكر اعظم انواعها وما هو اعظم كل نوع فاعظم انواع
الشرك ان يجعل العبد لله ندا واعظم انواع القتل
ان يقتل ولده خشية ان يشاركه في طعامه وشرابه
واعظم انواع الزنا ان يزني بحليلة جاره فان مفسدة الزنا

تتضاعف بتضاعف ما انتهكه من الحق فالزنا بالمرأة التي لها
زوج اعظم اثما وعقوبة من التي لا زوج لها اذ فيه انتهاك
حرمة الزوج وافساد فراشه وتعليق نسب عليه لم يكن
منه وغير ذلك من انواع اذاه فهو اعظم اثما وجرما من الزنا
بغير ذات البعل فان كان زوجها جارا له انضاف الى
ذلك سوء الجوار واذى جاره باعلى انواع الاذى وذلك من
من اعظم البوائق وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه ولا بائقة اعظم من
الزنا بامرأته فالزنا بمائة امرأة لا زوج لها ايسر عند الله
من الزنا بامرأة الجار فان كان الجار اخا له او قريبا من
اقاربه انضم الى ذلك قطيعة الرحم فيتضاعف الاثم فان كان
الجار غائبا في طاعة الله كالصلاة وطلب العلم والجهاد تضاعف
الاثم حتى ان الزاني بامرأة الغازي في سبيل الله يوقف له يوم
القيامة ويقال خذ من حسناته ما شئت قال النبي صلى
الله عليه وسلم فما ظنكم اي ما ظنكم انه يترك له من حسناته
قد حكم في ان ياخذ منها ما شاء على شدة الحاجة الى
حسنة واحدة حيث لا يترك الاب لابنه ولا الصديق

لمن نفقه حقا عليه عليه فان انضاف الى ذلك ان يكون المزني بها محرما منه انضاف
الى ذلك قطيعة رحم فان انضاف ان يكون الزاني محصنا كان
الاثم اعظم فان كان شيخا كان اعظم اثما وهو احد الثلاثة
الذين لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم فان اقترن
الى ذلك ان يكون في شهر حرام او بلد حرام او وقت معظم عند
الله كاوقات الصلوات واوقات الاجابة تضاعف الاثم
وعلى هذا فاعتبر مفاسد الذنوب وتضاعف درجاتها في الاثم
والعقوبة والله المستعان

فصل

وجعل سبحانه
القطع بازاء افساد الاموال الذي لا يمكن الاحتراز منه فان
السارق لا يمكن الاحتراز منه لانه ياخذ المال في اختفاء
وينقب الدور ويتسور من غير الابواب فهو كالسنور و
الحية التي تدخل عليك من حيث لا تعلم فلم ترتفع مفسدة سرقته
الى القطع لا يندفع بالجلد واحسن ما دفعت به مفسدته
ابانة العضو الذي يتسلط به على الجناية وجعل الجلد بازاء افساد
العقول وتمزيق الاعراض بالقذف فدارت عقوباته سبحانه
الشرعية على هذه الانواع الثلاثة كما دارت الكفارات
على ثلاثة انواع العتق وهو اعلاها والاطعام والصيام ثم

انه سبحانه جعل الذنوب ثلاثة اقسام قسما فيه الحد
فهذا لم يشرع فيه الكفارة اكتفاء بالحد وقسما لم يرتب عليه حدا
فشرع فيه الكفارة كالوطى في نهار رمضان والوطى في الاحرام
والظهار وقتل الخطأ والحنث في اليمين وغير ذلك وقسما لم يرتب
عليه حدا ولا كفارة وهو نوعان احدهما ما كان الوازع عنه
طبيعيا كاكل العذرة وشرب البول والدم والثاني ما كانت
مفسدته ادنى من مفسدة ما رتب عليه الحد كالنظر واللمس
والقبلة والمحادثة وسرقة فلس ونحو ذلك وشرع الكفارة
في ثلاثة انواع احدها ما كان مباح الاصل ثم عرض تحريمه
فباشره في الحالة التي عرض فيها التحريم كالوطى في الاحرام والصيام
وطرده الوطى في الحيض والنفاس بخلاف الوطى في الدبر ولهذا
كان الحاق بعض الفقهاء له بالوطى في الحيض لا يصح فانه لا يباح
في وقت دون وقت فهو بمنزلة اللواط وشرب المسكر
النوع الثاني ما عقده لله من نذر او بالله من يمين او
حرمه لله ثم اراد حله فشرع الله سبحانه حله بالكفارة وسماها
تحلة وليست هذه الكفارة ماحية لهتك حرمة الاسم بالحنث
كما ظنه بعض الفقهاء فان الحنث قد يكون واجبا وقد يكون

مستحبا وقد يكون مباحا واما الكفارة حيث لا عقد فهو النوع
الثالث ما يكون فيه جابرة لما فات ككفارة قتل الخطا وان لم
يكن هناك اثم وكفارة قتل الصيد خطا فان ذلك من باب
الجوابر والنوع الاول من باب الزواجر والنوع الوسط من
باب التحلة لما منعه العقد ولهذا لا تجب الكفارة في معصية
بل كل معصية فيها حد لا كفارة فيها وما فيه كفارة ولا حد فيه
وهل يجتمع التعزير والكفارة في المعصية التي لا حد فيها فيه وجهان
وهذا كالوطء في الاحرام والصيام ووطء الحائض اذا اوجبنا
فيه الكفارة فقيل يجب التعزير لما انتهك من الحرمة ويكون
الجناية وقيل لا يعزر في ذلك اكتفاء بالكفارة لانها جابرة وماحية

فصل واما العقوبات القدرية فهي نوعان نوع
على القلوب والنفوس ونوع على الابدان والاموال والتي على
القلوب نوعان احدهما الام وجودية يضرب بها القلب
والثاني قطع المواد التي بها حياته وصلاحه عنه اذا
قطعت عنه حصل له اضدادها وعقوبة القلوب
اشد العقوبتين وهي اصل عقوبة الابدان وهذه العقوبة
تقوى وتتزايد حتى تسري من القلب الى البدن كما تسري

الام البدن الى القلب فاذا فارقت النفس البدن صار
الحكم متعلقا بها فظهرت عقوبة القلب حينئذ وصارت
عيانا ظاهرة وهي المسماة بعذاب القبر ونسبته الى البرزخ
كنسبة عذاب الابدان الى هذه الدار **فصل** والتي
على الابدان ايضا نوعان نوع في الدنيا ونوع في الاخرة
وشدتها ودوامها بحسب مفاسد ما تترتب عليه في الشدة والخفة
فليس في الدنيا والاخرة شر اصلا الا الذنوب وعقوباتها
فالشر اسم لذلك كله واصله من شر النفس وسيئات الاعمال
وهما الاصلان اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ
منهما في خطبته بقوله ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات
اعمالنا وسيئات الاعمال من شرور النفس فعاد الشر كله
الى شر النفس فان سيئات الاعمال من فروعه وثمراته
وقد اختلف في معنى قوله ومن سيئات اعمالنا هل معناه
السيئ من اعمالنا فيكون من باب اضافة النوع الى جنسه
ويكون بمعنى من وقيل معناه من عقوباتها التي تسوؤنا فيكون
التقدير ومن عقوبات اعمالنا التي تسوؤنا ويرجح هذا القول
ان الاستعاذة تكون قد تضمنت جميع الشر فان شرور

الانفس بسيئات الاعمال السيئة وهي تشمل العقوبات السيئة
فسيئة شرور الانفس على ما تقتضيه من سيئات الاعمال والنفي بذكرها
منه اذ هو اصله ثم ذكر غايته الشر ومنتهاه وهو السيئات التي تسوء
العبد من عمله من العقوبات في الدارين فتضمنت هذه الاستعاذة
اصل الشر وفرعه وغايته ومقتضاه ومن دعاء الملائكة
للمؤمنين قولهم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد
رحمته فهذا يتضمن طلب وقايتهم من سيئات الاعمال وعقوباتها
التي تسوء صاحبها فانه سبحانه متى وقاهم عمل السيئ وقاهم
جزاء السيئ وان كان قوله ومن تق السيئات يومئذ فهو في جملة
اظهر في عقوبات الاعمال المطلوب وقايتها يومئذ وان قيل
فقد سألوه سبحانه ان يقيهم عذاب الجحيم وهذا هو وقاية
العقوبات السيئة فدل على ان المراد بالسيئات التي
سألوا وقايتها الاعمال السيئة ويكون الذي سأله الملائكة
نظير ما استعاذ منه صلى الله عليه وسلم ولا يرد على هذا قوله يومئذ النبي
فان المطلوب وقاية شرور سيئات الاعمال ذلك اليوم
وهي سيئات في انفسها قيل وقاية السيئات نوعان احدهما
وقاية فعلها بالتوفيق فلا تصدر منه والثاني وقاية جزائها

بالمغفرة ولا يضاف على صفته الا بسؤال الامرين والطرف
فتستعد للجملة الشرطية لا الجملة الطلبية وتامل ما تضمنه هذا
الخبر عن الملائكة من مدحهم بالايمان والعمل الصالح والاحسان
الى المؤمنين بالاستغفار لهم وقدموا بين يدي استغفارهم
توسلهم الى الله سبحانه بسعة علمه وسعة رحمته فسعة علمه
تتضمن علمه بذنوبهم واسبابها وضعفهم عن العصمة واستيلاء عدوهم
وانفسهم وهواهم وطباعهم وما زين لهم من الدنيا وزينتها
وعلمه بهم اذ انشاهم من الارض واذ هم اجنة في بطون
امهاتهم وعلمه السابق بانهم لا بد ان يعصوه وانه يحب العفو
والمغفرة وغير ذلك من سعة علمه الذي لا يحيط به احد سواه
وسعة رحمته تتضمن انه لا يهلك عليه احد من المؤمنين به
اهل توحيده ومحبته فانه واسع الرحمة لا يخرج عن دائرة
رحمته الا الاشقياء ولا اشقى ممن لم تسعه رحمته التي وسعت كل
شيء ثم سألوه ان يغفر للتائبين الذين اتبعوا سبيله وهو
صراطه الموصل اليه الذي هو معرفته ومحبته وطاعته فتابوا
مما يكره واتبعوا السبيل التي يحبها ثم سألوه ان يقيهم عذاب
الجحيم وان يدخلهم والمؤمنين من اصولهم وفروعهم وازواجهم

جنات عدن التي وعدتهم وهو سبحانه وان كان لا يخلف
الميعاد فانه وعدهم بها باسباب من جملتها دعاء
ملائكته لهم بان يدخلهم اياها فادخلوها برحمته التي منها
ان وفقهم لاعمال واقام ملائكته يدعون لهم بدخولها ثم
اخبر سبحانه عن ملائكته انهم قالوا عقيب هذه الدعوة انك
انت العزيز الحكيم اي مصدر ذلك وسببه وغايته
صادر عن كمال قدرتك وعلمك فالعزة كمال القدرة والحكمة
كمال العلم وبهاتين الصفتين يقضي سبحانه ما شاء ويامر وينهى ويثيب
ويعاقب فهاتان الصفتان مصدر الخلق والامر
والمقصود ان عقوبات السيئات تتنوع الى عقوبات
شرعية وعقوبات قدرية وهي اما في القلب واما في البدن
واما فيهما وعقوبات في البرزخ بعد الموت وعقوبات
يوم حشر الاجساد فالذنب لا يخلو عن عقوبة البتة ولكن
لجهل العبد لا يشعر بما هو فيه من العقوبة لانه بمنزلة
السكران والمخدر والنائم الذي لا يشعر بالالم فاذا
استيقظ وصحا احس بالمؤلم فترتب العقوبات على
الذنوب كترتب الاحراق على النار والكسر على الانكسار

كمال
دارج
بلغ
والاغراق

والاغراق على الماء وفساد البدن على السموم والامراض على الاسباب
الجالبة لها وقد تقارن المضرة الذنب وقد تتاخر عنه اما يسيرا
واما مدة كما يتاخر المرض عن سببه او يقارنه وكثيرا ما يقع
الغلط للعبد في هذا المقام ويذنب الذنب فلا يرى اثره عقيبه
ولا يدري انه يعمل عمله على التدريج شيئا فشيئا كما تعمل السموم
والاشياء الضارة حذو القذة بالقذة فان تدارك العبد
بالادوية والاستفراغ والحمية والا فهو صائر الى الهلاك
هذا اذا كان ذنبا واحدا لم يتداركه بما يزيل اثره فكيف
بالذنب على الذنب كل يوم وكل ساعة والله المستعان

فصل في سياق بعض العقوبات التي رتبها الله سبحانه
على الذنوب وجوز وصول بعضها الى المسيء واجعل ذلك داعيا
للنفس الى هجرانها وانا اسوق لك منها طرفا يكفي العاقل
مع التصديق ببعضه فمنها الختم على القلوب والاسماع والغشاوة
على الابصار والاقفال على القلوب وجعل الاكنة عليها والرين
عليها والطبع وتقليب الافئدة والابصار والحيلولة بين المرء
وقلبه واغفال القلب عن ذكر الرب وانساء الانسان نفسه
وترك ارادة الله تطهير القلب وجعل الصدر ضيقا حرجا

كأنما يصعد في السماء وصرف القلوب عن الحق وزيادتها مرضا
على مرضها وإركاسها ونكسها حتى تبقى منكوسة كما ذكر الإمام
أحمد عن حذيفة بن اليمان أنه قال القلوب أربعة قلب أجرد
فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أغلف فذلك قلب
الكافر وقلب منكوس فذلك قلب المنافق وقلب تمده
مادتان مادة إيمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منهما
ومنها التثبيط عن الطاعة والإقعاد عنها ومنها جعل القلب
أصم لا يسمع الحق أبكم لا ينطق به أعمى لا يراه فتصير النسبة
بين القلب وبين الحق الذي لا ينفعه غيره كالنسبة بين أذن
الأصم والأصوات وعين الأعمى والألوان ولسان الأخرس
والكلام وبهذا يعلم أن الصمم والبكم والعمى للقلب بالذات
والحقيقة وللجوارح بالعرض والتبعية فإنها لا تعمى الأبصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وليس المراد نفي العمى الحسي
عن البصر كيف وقد قال تعالى ليس على الأعمى حرج ولا على
الأعرج حرج ولا على المريض حرج وتولى أن جاءه الأعمى
وقال عبس
وإنما المراد أن العمى التام في الحقيقة عمى القلب حتى إن عمى
البصر بالنسبة إليه كلا عمى حتى إنه يصح نفيه بالنسبة إلى كماله

دونه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة ولكن الذي
يملك نفسه عند الغضب وقوله ليس المسكين بالطواف الذي ترده
اللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذي لا يسأل الناس ولا يفطن
له فيتصدق عليه ونظائره كثيرة والمقصود أن من عقوبات المعاصي
جعل القلب أعمى أصم أبكم ومنها الخسف بالقلب كما يخسف بالمكان
وما فيه فيخسف به إلى أسفل السافلين وصاحبه لا يشعر وعلامة
الخسف به أنه لا يزال جوالا حول السفليات والقاذورات
والرذائل كما أن القلب الذي رفعه الله وقربه إليه لا يزال
جوالا حول البر والخير ومعالي الأعمال والأقوال والأخلاق
قال بعض السلف إن هذه القلوب جوالة فمنها ما يجول
حول العرش ومنها ما يجول حول الحش ومنها مسخ القلب
فيمسخ كما تمسخ الصورة فيصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه
في أخلاقه وأعماله وطبيعته فمن القلوب ما يمسخ على قلب خنزير
لشدة شبه صاحبه به ومنها ما يمسخ على قلب كلب أو حمار أو
حية أو عقرب وغير ذلك وهذا تأويل سفيان بن عيينة في قوله
تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ولا طائر يطير بجناحيه
إلا أمم أمثالكم قال منهم من يكون على أخلاق السباع العادية

ومنهم من يكون على اخلاق الكلاب واخلاق الخنازير واخلاق
الحمير ومنهم من يتطوس في ثيابه كما يتطوس الطاووس في ريشه
ومنهم من يكون بليدًا كالحمار ومنهم من يؤثر على نفسه كالديك
ومنهم من يألف ويؤلف كالحمام ومنهم الحقود كالجمل ومنهم الذي
هو خير كله كالغنم ومنهم اشباه الذئاب ومنهم اشباه الثعالب
التي تروغ كروغانها وقد شبه الله تعالى اهل الجهل والغي بالحمر
تارة وبالكلب تارة وبالانعام تارة وتقوى هذه المشابهة
باطنا حتى تظهر في الصورة الظاهرة ظهورا خفيا يراه المتفرسون
وتظهر في الاعمال ظهورا يراه كل احد ولا يزال يقوى حتى تستشنع
الصورة فتنقلب له الصورة باذن الله وهو المسخ التام فيقلب
الله سبحانه الصورة الظاهرة على صورة ذلك الحيوان كما فعل
باليهود واشباههم ويفعل بقوم من هذه الامة يمسخهم قردة
وخنازير فسبحان الله كم من قلب منكوس وصاحبه لا يشعر
وقلب ممسوخ وقلب مخسوف به وكم من مفتون بثناء
الناس عليه ومغرور بستر الله عليه ومستدرج بنعم الله عليه
وكل هذه عقوبات واهانة ويظن الجاهل انها كرامة
ومنها مكر الله بالماكر ومخادعته للمخادع واستهزاؤه بالمستهزئ

وازاغته للقلب الزائغ عن الحق ومنها نكس القلب حتى
يرى الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا
ويفسد ويرى انه يصلح ويصد عن سبيل الله وهو يرى انه يدعو
اليه ويشتري الضلالة بالهدى وهو يرى انه على الهدى ويتبع
هواه وهو يزعم انه مطيع لمولاه وكل هذا من عقوبات
الذنوب الجارية على القلوب ومنها حجاب القلب عن الرب تعالى
في الدنيا والحجاب الاكبر يوم القيمة كما قال تعالى كلا بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فمنعتهم الذنوب ان يقطعوا المسافة بينهم وبين قلوبهم
فيصلوا اليها فيروا ما يصلحها ويزكيها وما يفسدها ويشقيها
وان يقطعوا المسافة بين قلوبهم وبين ربهم فتصل القلوب
اليه فتفوز بقربه وكرامته وتقر به عينا وتطيب به نفسا
بل كانت الذنوب حجابا بينهم وبين قلوبهم وحجابا بينهم وبين
ربهم وخالقهم ومنها المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ
والعذاب في الآخرة قال تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له
معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وفسرت
المعيشة الضنك بعذاب القبر ولا ريب انه من المعيشة

الضنك والاية تتناول ما هو اعم منه وان كانت نكرة في
سياق الاثبات فان عمومها من حيث المعنى فانه سبحانه رتب
المعيشة الضنك على الاعراض عن ذكره فالمعرض عنه له من ضنك
المعيشة بحسب اعراضه وان تنعم في الدنيا باصناف النعم
ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب
والاماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه وانما يواريه عنه
سكر الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة ان لم
ينضم الى ذلك سكر الخمر فسكر هذه الامور اعظم من سكر الخمر
فانه يفيق صاحبه ويصحوا وسكر الهوى وحب الدنيا لا يصحوا
صاحبه الا اذا صار صاحبه في عسكر الاموات فالمعيشة
الضنك لازمة لمن يعرض عن ذكر الله الذي انزله على رسوله
في دنياه وفي البرزخ ويوم معاده ولا تقر العين ولا يهدا القلب
ولا تطمين النفس الا بالاهها ومعبودها الذي هو حق وكل
معبود سواه باطل فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين
ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات
والله تعالى انما جعل الحياة الطيبة لمن امن به وعمل
صالحا كما قال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى

انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما
كانوا يعملون فضمن لاهل الايمان والعمل الصالح الجزا في الحيا
الدنيا الطيبة وبالحسنى يوم القيمة فلهم اطيب الحياتين وهم احيا
في الدارين ونظير هذا قوله للذين احسنوا الحسنى في هذه الدنيا
حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين ونظيرها قوله وان
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل
مسمى ويوت كل ذي فضل فضله ففاز المتقون المحسنون
بنعيم الدنيا والاخرة وحصلوا على الحياة الطيبة في الدارين
فان طيب النفس وسرور القلب وفرحه ولذته وابتهاجه
وطمانينته وانشراحه ونوره وسعته وعافيته من
الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة هو النعيم على
الحقيقة ولا نسبة لنعيم البدن اليه وقد كان يقول
بعض من ذاق هذه اللذة لو علم الملوك وابناء الملوك
ما نحن عليه لجالدونا عليها بالسيوف وقال اخر انه
ليمر بالقلب اوقات اقول ان كان اهل الجنة في
مثل هذا انهم لفي عيش طيب وقال آخر ان في الدنيا
جنة هي في الدنيا كالجنة في الاخرة فمن دخلها دخل تلك

الجنة ومن لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة فقد أشار النبي صلى
الله عليه وسلم إلى هذه الجنة بقوله إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا
قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال ما بين بيتي ومنبري
روضة من رياض الجنة ولا تظن أن قوله تعالى إن الأبرار
لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم في دورهم الثلاثة وأي لذة ونعيم
في الدنيا أطيب من بر القلب وسلامة الصدر ومعرفة
الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته وهل العيش في
الحقيقة إلا عيش القلب السليم وقد أثنى الله على خليله بسلامة
قلبه فقال وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم
وقال حاكيا عنه أنه قال يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من
أتى الله بقلب سليم والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك
والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة
فسلم من كل آفة تبعده من الله وسلم من كل شبهة تعارض
خبره ومن كل شهوة تعارض أمره وسلم من كل إرادة
تزاحم مراده وسلم من كل قاطع يقطع عن الله فهذا القلب
السليم في جنة معجلة في الدنيا وفي جنة في البرزخ وفي
الجنة يوم المعاد ولا تتم سلامته مطلقا حتى يسلم من

من خمسة أشياء من شرك يناقض التوحيد وبدعة تخالف السنة
وشهوة تخالف الأمر وغفلة تناقض الذكر وهوى يناقض التجريد
والإخلاص وهذه الخمسة حجب عن الله وتحت كل واحد منها أنواع
كثيرة تتضمن أفرادا لا تنحصر ولذلك اشتدت حاجة العبد
بل ضرورته إلى أن يسأل الله أن يهديه الصراط المستقيم
فليس العبد أحوج منه إلى هذه الدعوة وليس شيء أنفع له
منها فإن الصراط المستقيم يتضمن علوما وإرادات وأعمالا
وتروكا ظاهرة وباطنة تجري عليه كل وقت فتفاصيل الصراط
المستقيم قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها وقد يكون ما لا يعلمه أكثر
مما يعلمه وما يعلمه قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وهو من الصراط
المستقيم وإن عجز عنه وما يقدر عليه قد تريده نفسه وقد لا
تريده كسلا وتهاونا أو لقيام مانع وغير ذلك وما تريده قد يفعله
وقد لا يفعله وما يفعله قد يقوم فيه بشروط الإخلاص وقد لا
يقوم وما يقوم فيه بشروط الإخلاص قد يقوم فيه بكمال
المتابعة وقد لا يقوم وما يقوم فيه بالمتابعة قد يثبت عليه
وقد ينصرف قلبه عنه وهذا كله واقع سار في الخلق فمستقل
ومستكثر وليس في طباع العبد الهداية إلى ذلك بل متى

وكل الطاعة حيل بينه وبينها لذلك وهذا هو الارتكاس
الذي اركسهم الله به المنافقين بذنوبهم فاعادهم الى طباعهم
وما جبلت عليه نفوسهم من الجهل والظلم والرب تبارك وتعالى
على صراط مستقيم في قضائه وقدره ونهيه وامره فيهدي من يشاء
الى الصراط المستقيم بفضله ورحمته وجعله الهداية حيث تصلح
ويصرف من يشاء عن صراطه المستقيم بعدله وحكمته لعدم
صلاحية المحل وذلك موجب صراطه المستقيم الذي هو عليه
فهو على صراط مستقيم ونصب لعباده من امره صراطا مستقيما
دعاهم جميعا اليه حجة منه وعدلا وهدى من يشاء منهم الى
سلوكه نعمة منه وفضلا ولم يخرج بهذا العدل وهذا الفضل
عن صراطه المستقيم الذي هو عليه فاذا كان يوم لقائه
نصب لخلقه صراطا مستقيما يوصلهم الى جنته ثم صرف عنه
من صرف عنه في الدنيا واقام عليه من اقامه عليه في الدنيا
وجعل نور المؤمنين به وبرسوله وما جاء به الذي كان في
قلوبهم في الدنيا نورا ظاهرا يسعى بين ايديهم وبايمانهم
في ظلمة الحشر وحفظ عليهم نورهم حتى قطعوه كما حفظ عليهم
الايمان حتى لقوه واطفأ نور المنافقين احوج ما كانوا

اليه كما اطفأه من قلوبهم في الدنيا واقام اعمال العصاة
بجنبتي الصراط كلاليب وحسكا تخطفهم كما خطفتهم في
الدنيا عن الاستقامة عليه في الدنيا ونصب للمؤمنين حوضا
يشربون منه ازاء شربهم من شرعه في الدنيا وحرم
من الشرب منه هناك من حرمه من الشرب من شرعه ودينه
ههنا فانظر الى الآخرة كانها رأي عين وتأمل حكمة الله
سبحانه في الدارين تعلم حينئذ علما يقينا لا شك فيه ان الدنيا
مزرعة الآخرة وعنوانها وانموذجها وان منازل الناس فيها
في السعادة والشقاوة على حسب منازلهم في هذه الدار
في الايمان والعمل الصالح وضدهما وبالله التوفيق ومن اعظم
عقوبات الذنوب الخروج عن الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة

فصل لما كانت الذنوب متفاوتة في درجاتها
ومفاسدها تفاوتت عقوباتها في الدنيا والآخرة بحسب تفاوتها
ونحن نذكر فيها بعون الله وتوفيقه فصلا وجيزا جامعا
فنقول اصلها نوعان ترك مأمور وفعل محظور وهما
الذنبان اللذان ابتلى الله سبحانه بهما ابوي الجن والانس
وكلاهما ينقسم باعتبار محله الى ظاهر على الجوارح وباطن في

الملك وباعتبار متعلقه إلى حق الله وحق خلقه وإن كان كل
حق لخلقه فهو متضمن لحقه لكن سمي حقا للخلق لأنه يجب بمطالبتهم
ويسقط بإسقاطهم ثم هذه الذنوب تنقسم إلى أربعة أقسام ملكية
وشيطانية وسبعية وبهيمية ولا تخرج عن ذلك فالذنوب الملكية
أن يتعاطى ما لا يصلح له من صفات الربوبية كالعظمة والكبرياء
والجبروت والقهر والعلو واستعباد الخلق ونحو ذلك ويدخل
في هذا الشرك بالرب تعالى وهو نوعان شرك به في أسمائه
وصفاته وجعل آلهة أخرى معه وشرك به في معاملته وهذا
الثاني قد لا يوجب دخول النار وإن أحبط عمل الذي أشرك
فيه مع الله غيره وهذا القسم أعظم أنواع الذنوب ويدخل فيه
القول على الله بلا علم في خلقه وأمره فمن كان من أهل هذه
الذنوب فقد نازع الله سبحانه ربوبيته وملكه وجعل له ندا
وهذا أعظم الذنوب عند الله ولا ينفع معه عمل

فصل

وأما الشيطانية فالتشبه بالشيطان في الحسد والبغي والغش
والغل والخداع والمكر والأمر بمعاصي الله وتحسينها والنهي
عن طاعته وتهجينها والابتداع في دينه والدعوة إلى البدع
والضلال وهذا النوع يلي النوع الأول في المفسدة وإن كانت مفسدته
دونه

فصل

وأما السبعية فذنوب
العدوان والغضب وسفك الدماء والتوثب على الضعفاء
والعاجزين ويتولد منها أنواع أذى النوع الإنساني والجرأة على
الظلم والعدوان وأما الذنوب البهيمية فمثل الشره والحرص
على قضاء شهوة البطن والفرج ومنها يتولد الزنا والسرقة
وأكل أموال اليتامى والبخل والشح والجبن والهلع والجزع وغير
ذلك وهذا القسم أكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب
السبعية والملكية ومنه يدخلون إلى سائر الأقسام فهو
يجرهم إليها بالزمام فيدخلون منه إلى الذنوب السبعية ثم إلى
الشيطانية ثم إلى منازعة الربوبية والشرك في الوحدانية
ومن تأمل هذا حق التأمل تبين له أن الذنوب دهليز الشرك
والكفر ومنازعة الله ربوبيته

فصل

وقد دل
القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأئمة على أن
الذنوب كبائر وصغائر قال تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم وقال تعالى الذين يجتنبون
كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى

الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر
وهذه الاعمال المكفرة لها ثلاث درجات احدها ان تقصر
عن تكفير الصغائر لضعفها وضعف الاخلاص فيها والقيام
بحقوقها بمنزلة الدواء الضعيف الذي ينقص عن مقاومة
الداء كمية وكيفية الثانية ان تقاوم الصغائر ولا ترتقي
الى تكفير شي من الكبائر الثالثة ان تقوى على تكفير الصغائر
وتبقى فيها قوة تكفر بعض الكبائر فتامل هذا فانه يزيل عنك
اشكالات كثيرة وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم الا انبئكم
باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله فقال الاشراك بالله وعقوق
الوالدين وشهادة الزور وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم
اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال الاشراك
بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم
واكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات
الغافلات وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه سئل اي الذنب
اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قيل ثم اي
قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اي
قال ان تزاني بحليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا

يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا يزنون الاية واختلف الناس في الكبائر هل لها عدد
يحصرها على قولين ثم الذين قالوا بحصرها اختلفوا في عددها فقال
عبد الله بن مسعود هي اربع وقال عبد الله بن عمر هي سبع
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص هي تسعة وقال غيره هي
احدى عشرة وقال اخر هي سبعون وقال ابو طالب المكي جمعتها
من اقوال الصحابة فوجدتها اربعة في القلب وهي الشرك والاصرار
على المعصية والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله واربعة
في اللسان شهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس
والسحر وثلاث في البطن شرب الخمر واكل مال اليتيم واكل الربا
واثنان في الفرج وهما الزنا واللواط واثنان في اليدين وهما
القتل والسرقة وواحد في الرجلين وهو الفرار من الزحف
وواحد يتعلق بجميع الجسد وهو عقوق الوالدين والذين
لم يحصروها بعدد منهم من قال كلما نهى الله عنه في القران
فهو كبيرة وما نهى عنه الرسول فهو صغيرة وقالت طائفة
ما اقترن بالنهي عنه وعيد او لعن او غضب او عقوبة فهو
كبيرة وما لم يقترن به شي من ذلك فهو صغيرة وقيل كلما رتب عليه

حد في الدنيا او وعيد في الآخرة فهو كبيرة وما لم يرتب عليه لا هذا
ولا هذا فهو صغيرة وقيل كلما لعن الله او رسوله فاعله اتفقت
الشرائع على تحريمه فهو من الكبائر وما كان تحريمه في شريعة دون
شريعة فهو صغيرة وقيل كلما لعن الله او رسوله فاعله فهو كبيرة
وقيل كلما ذكر من اول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم والذين لم يقسموها
الى كبائر وصغائر قالوا الذنوب كلها بالنسبة الى الجراءة على الله
سبحانه ومعصيته ومخالفة امره كبائر والنظر الى من عصى امره
وانتهك محارمه يوجب ان تكون الذنوب كلها كبائر وهي
مستوية في هذه المفسدة قالوا ويوضح هذا ان الله سبحانه
لا تضره الذنوب ولا يتأثر بها فلا يكون بعضها بالنسبة
اليه اكبر من بعض فلم يبق الا مجرد معصيته ومخالفته ولا
فرق في ذلك بين ذنب وذنب قالوا ويدل عليه ان مفسدة
الذنوب انما هي تابعة للجراءة والتوثب على حق الرب تعالى
ولهذا لو شرب رجل خمرا او وطئ فرجا حراما وهو لا
يعتقد تحريمه لكان قد جمع بين الجهل ومفسدة ارتكاب
الحرام ولو فعل ذلك من يعتقد تحريمه لكان آتيا باحدى

المفسدتين وهو الذي يستحق العقوبة دون الاول فدل على
ان مفسدة الذنب تابعة للجراءة والتوثب قالوا ويدل على هذا ان
المعصية تتضمن الاستهانة بامر المطاع ونهيه وانتهاك حرمته
وهذا لا فرق فيه بين ذنب وذنب قالوا فلا ينظر العبد الى
كبر الذنب وصغره في نفسه ولكن ينظر الى قدر من عصاه وعظمته
وانتهاك حرمته بالمعصية وهذا لا يفترق فيه الحال بين
معصية ومعصية فان ملكا مطاعا عظيما لو امر احد مملوكيه
ان يذهب في مهم له الى بلد بعيد وامر آخر ان يذهب في
شغل له الى جانب الدار فعصياه وخالفا امره لكانا
في مقته والسقوط من عينه سواء قالوا ولهذا كانت معصية
من ترك الحج من مكة وترك الجمعة وهو جار المسجد اقبح
عند الله من معصية من تركه من المكان البعيد والواجب
على هذا اكثر من الواجب على هذا ولو كان مع رجل مائتا
درهم فمنع زكاتها ومع آخر مائتا الف فمنع زكاتها لا مستويا
في منعهما ما وجب على كل واحد منهما ولا يبعد استواؤهما في العقوبة
اذا كان كل منهما مصرا على منع زكاة ماله قليلا كان المال او كثيرا
فصل ويكشف الغطاء عن هذه المسألة ان يقال ان الله عز وجل

ارسل رسله وانزل كتبه وخلق السماوات والارض ليعرف
ويوحد ويعبد ويكون الدين كله لله والطاعة كلها لله والدعوة
له كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقال الله
الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر
بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء
علما وقال جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس
والشهر الحرام والهدي والقلايد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما
في السماوات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم فاخبر سبحانه
ان القصد بالخلق والامر ان يعرف باسمايه وصفاته ويعبد
وحده لا يشرك به وان يقوم الناس بالقسط وهو العدل
الذي قامت به السماوات والارض كما قال تعالى لقد ارسلنا
رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط فاخبر انه ارسل رسله وانزل كتبه
ليقوم الناس بالقسط وهو العدل ومن اعظم القسط
التوحيد بل هو راس العدل وقوامه وان الشرك لظلم
عظيم فالشرك اظلم الظلم والتوحيد اعدل العدل فما كان

اشد منافاة لهذا المقصود فهو اكبر الكباير وتفاوتها في
درجاتها بحسب منافاتها له وما كان اشد موافقة لهذا
المقصود فهو اوجب الواجبات وافرض الطاعات فتامل
هذا الاصل حق التامل واعتبر به تفاصيله تعرف به حكمة
احكم الحاكمين واعلم العالمين فيما فرضه على عباده وحرمه
عليهم وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي فلما كان الشرك
بالله منافيا بالذات لهذا المقصود كان اكبر الكباير على الا طلاق
وحرم الله الجنة على كل مشرك واباح دمه وماله واهله
لاهل التوحيد وان يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا القيام
بعبوديته وابى الله سبحانه ان يقبل من مشرك عملا او
يقبل فيه شفاعة او يستجيب له في الاخرة دعوة او
يقبل له فيها رجاء فان المشرك اجهل الجاهلين بالله حيث
جعل له من خلقه ندا وذلك غاية الجهل به كما انه غاية
الظلم منه وان كان المشرك لم يظلم ربه وانما ظلم نفسه
ووقعت مسلة وهي ان المشرك انما قصده تعظيم جناب
الرب تبارك وتعالى وانه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه الا
بالوسايط والشفعا كحال الملوك فالمشرك لم يقصد

الاستهانة بجناب الربوبية وانما تقصد تعظيمه وقال انما
اعبد هذه الوسائط لتقربني اليه وتدخلني عليه فهو المقصود
وهذه وسائل وشفعا فلم كان هذا القدر موجبا لسخطه
وغضبه تبارك وتعالى ومخلدا في النار وموجبا لسفك
دما اصحابه واستباحة حريمهم واموالهم وترتب على هذا
سوال اخر وهو انه هل يجوز ان يشرع الله سبحانه لعباده
التقرب اليه بالشفعا والوسائط فيكون تحريم هذا انما
استفيد من الشرع ام ذلك قبيح في الفطر والعقول يمتنع
ان تاتي به شريعة بل جاءت الشرائع بتقرير ما في الفطر
والعقول من قبحه الذي هو اقبح من كل قبيح وما السر
في كونه لا يغفر من بين سائر الذنوب كما قال
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشا فتامل هذا السوال واجمع قلبك وذهنك
على جوابه ولا تستهونه فان به يحصل الفرق بين المشركين
والموحدين والعالمين بالله والجاهلين به واهل الجنة
واهل النار فنقول وبالله التوفيق والتاييد
ومنه نستمد المعونة والتسديد فانه من يهده الله

فلا

فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ولا مانع لما اعطى ولا
معطي لما منع الشرك شركان شرك يتعلق بذات المعبود
واسمايه وصفاته وافعاله وشرك في عبادته ومعاملته
وان كان صاحبه يعتقد انه سبحانه لا شريك له في ذاته
ولا في صفاته ولا في افعاله والشرك الاول نوعان احدهما
شرك التعطيل وهو اقبح انواع الشرك كشرك فرعون
اذ قال وما رب العالمين وقال لهامان ابن لي صرحا
لعلي ابلغ الاسبا اطلع الى اله موسى واني لاظنه من
الكاذبين والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك
معطل وكل معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم اصل
التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق سبحانه وصفاته
ولكنه عطل حق التوحيد واصل الشرك وقاعدته التي
يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة اقسام تعطيل المصنوع
عن صانعه وخالقه وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله
المقدس بتعطيل اسمائه واوصافه وافعاله وتعطيل
معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد
ومن هذا شرك طائفة اهل وحدة الوجود الذين يقولون

ما ثم خالق ومخلوق ولا ههنا شيئان بل الحق المنزه
هو عين الخلق المشبه ومنه شرك الملاحدة القائلين
بقدم العالم وابديته وانه لم يكن معدوما اصلا بل لم
يزل ولا يزال والحوادث باسرها مستندة عندهم
الى اسباب ووسائط اقتضت ايجادها يسمونها العقول
والنفوس ومن هذا شرك من عطل اسماء الرب تعالى واوصافه
وافعاله من غلاة الجهمية والقرامطة فلم يثبتوا له اسما ولا
صفة بل جعلوا المخلوق اكمل منه اذ كمال الذات
باسمائها وصفاتها

فصل النوع الثاني

شرك من جعل معه الها اخر ولم يعطل اسماءه وصفاته
وربوبيته كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة
فجعلوا المسيح الها وامه الها ومن هذا شرك المجوس
القائلين باسناد حوادث الخير الى النور وحوادث
الشر الى الظلمة ومن هذا شرك القدرية القائلين بان
الحيوان هو الذي يخلق افعال نفسه وانها تحدث بدون
مشيئة الله وقدرته وارادته ولهذا كانوا اشباه المجوس
ومن هذا شرك الذي حاج ابرهيم في ربه اذ قال له ابرهيم

ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت فهذا جعل
نفسه ندا لله يحيي ويميت بزعمه فالزمه ابرهيم ان طرد قوله
ان يقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة التي ياتي الله بها
منها وليس هذا انتقالا كما زعم بعض اهل الجدل بل الزاما
على طرد الدليل ان كان حقا ومن هذا شرك كثير ممن يشرك
بالكواكب العلويات ويجعلها اربابا مدبرة لامر هذا العالم كما
هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم ومن هذا شرك عباد
الشمس وعباد النار وغيرهم من هولاء من يزعم ان معبوده
هو الاله على الحقيقة ومنهم من يزعم انه اكبر الالهة ومنهم من
يزعم انه اله من جملة الالهة وانه اذا خصه بعبادته والتبتل
اليه والانقطاع اليه اقبل عليه واعتنى به ومنهم من يزعم
ان معبوده الادنى يقربه الى المعبود الذي هو فوقه
والفوقاني يقربه الى من هو فوقه حتى تقربه تلك الالهة
الى الله سبحانه فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل

فصل

واما الشرك في العبادة فهو اسهل من هذا الشرك واخف
امرا فانه يصدر ممن يعتقد انه لا اله الا الله وانه لا يضر
وينفع الا الله ولا يعطي ويمنع الا الله وانه لا اله غيره ولا رب

سواه ولكن لا يخلص لله في معاملته وعبوديته بل يعمل لحظ نفسه
تارة ولطلب الدنيا تارة ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند
الخلق تارة فلله من عمله وسعيه نصيب ولنفسه وحظه وهواه
نصيب وللشيطان نصيب وللخلق نصيب وهذا حال اكثر
الناس وهو الشرك الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيما
رواه ابن حبان في صحيحه الشرك في هذه الامة اخفى من
دبيب النمل قالوا كيف ننجو منه يا رسول الله قال قل اللهم
اني اعوذ بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم
فالرياء كله شرك قال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي
انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي كما انه اله
واحد لا اله سواه فكذلك ينبغي ان تكون العبادة
له وحده فكما تفرد بالالهية يجب ان يفرد بالعبودية
فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء المقيد بالسنة وكان
من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللهم اجعل عملي
كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لاحد فيه
شيئا وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل وقد يعاقب

عليه اذا كان العمل واجبا فانه ينزله منزلة من لم يعمله فيعاقب
على ترك الامر فان الله سبحانه انما امر بعبادته خالصة قال تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فمن لم
يخلص لله في عبادته لم يفعل ما امر به بل الذي اتى به شيء
غير المأمور به فلا يصح ولا يقبل منه ويقول الله تعالى انا اغنى
الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري فهو للذي
اشرك به وانا منه بريء وهذا الشرك ينقسم الى مغفور وغير
مغفور والى اكبر واصغر والنوع الاول ينقسم الى كبير واكبر
وليس شيء منه مغفورا فمنه الشرك بالله في المحبة والتعظيم
ان يحب مخلوقا كما يحب الله فهذا من الشرك الذي لا
يغفره الله وهو الشرك الذي قال سبحانه فيه ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين
امنوا اشد حبا لله وقال اصحاب هذا الشرك لالهتهم وقد
جمعهم الجحيم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم
برب العالمين ومعلوم انهم ما سووهم به سبحانه في الخلق
والرزق والاماتة والاحياء والملك والقدرة وانما سووهم به
في الحب والتأله والخضوع لهم والتذلل وهذا غاية الظلم والجهل

وكيف يستوي التراب ورب الارباب وكيف يستوي العبيد بمالك
الرقاب وكيف يستوي الفقير بالذات الضعيف بالذات العاجز
بالذات المحتاج بالذات الذي ليس له من ذاته الا العدم
بالغني بالذات القادر بالذات الذي غناه وقدرته وملكه
وجوده واحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم
ذاته فاي ظلم اقبح من هذا واي حكم اشد جورا منه حيث
عدل من لا عدل له بخلقه كما قال تعالى الحمد لله الذي خلق
السماوات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون فعدل المشرك من خلق السماوات والارض
وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال
ذرة في السماوات ولا في الارض فيا لك من عدل تضمن اكبر
الظلم واقبحه

فصل ويتبع هذا الشرك الشرك
به سبحانه في الافعال والاقوال والارادات والنيات
فالشرك في الافعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته
وحلق الراس عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل الاحجار
غير الحجر الاسود الذي هو يمينه في الارض وتقبيل
القبور واستلامها والسجود لها وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم

من اتخذ قبور الانبياء مساجد يصلي لله فيها فكيف بمن اتخذ
القبور اوثانا تعبدها من دون الله ففي الصحيح عنه انه
قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
وفي الصحيح عنه ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء
والذين يتخذون القبور مساجد وفي الصحيح ايضا عنه ان
من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا
القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك وفي مسند الامام احمد
وصحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات
القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج وقال اشتد
غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال ان
من كان قبلكم كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا
على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة اولئك شرار
الخلق عند الله يوم القيامة فهذا حال من سجد لله في
مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقد حمى
النبي صلى الله عليه وسلم جانب التوحيد اعظم حماية حتى نهى عن
صلاة التطوع لله سبحانه عند طلوع الشمس وعند

والصالحين ح

لبلاء

عروبها يكون ذريعة الى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون
لها في هاتين الحالتين وسد الذريعة بان منع من الصلاة
بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين
يسجد المشركون فيه للشمس واما السجود لغير الله فقال
لا يحل لاحد ان يسجد لاحد الا لله ولا ينبغي في كلام الله ورسوله
للذي هو في غاية الامتناع كقوله وما ينبغي للرحمن ان يتخذ
ولدا وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقوله
وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وقوله عن الملائكة
ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء فصل
ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره
كما رواه الامام احمد وابو داود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
من حلف بغير الله فقد اشرك صححه الحاكم وابن حبان ومن
ذلك قول القايل للمخلوق ما شا الله وشيت فقال
اجعلتني لله ندا قل ما شا الله وحده هذا مع ان الله
قد اثبت للعبد مشية لقوله لمن شاء منكم ان يستقيم
فكيف بمن يقول انا متوكل على الله وعليك وانا في
حسب الله وحسبك وما لي الا الله وانت وهذا

من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك والله لي
في السما وانت لي في الارض او يقول والله وحياتك وامثال
او يقول نذرا لله ولفلان وانا تايب لله ولفلان او
ارجوا الله وفلانا ونحو ذلك فوازن بين هذه الالفاظ
وبين قول القايل ما شا الله وبين قول القايل ما شا الله
وشيت ثم انظر ايهما افحش يتبين لك ان قايلها اولى بجواب
النبي صلى الله عليه وسلم لقايل تلك الكلمة وانه اذا كان قد
جعله لله ندا بها فهذا قد جعل من لا يداني رسول الله صلى الله
عليه وسلم في شي من الاشيا بل لعله ان يكون من اعدايه
ندا لرب العالمين فالسجود والعبادة والتوكل والانابة
والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف
والتسبيح والتكبير والتهليل والطواف بالبيت والدعاء
والتحميد والاستغفار وحلق الراس خضوعا وتعبدا
كل ذلك محض حق الله الذي لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك
مقرب ولا نبي مرسل وفي مسند الامام احمد ان رجلا اتي به
الى النبي صلى الله عليه وسلم قد اذنب ذنبا فلما وقف بين
يديه قال اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال
عرف الحق لاهله فصل واما الشرك في

الارادات في النيات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقلّ من
ينجو منه فمن اراد بعمله غير وجه الله او نوى شيئا غير التقرب
اليه وطلب الجزاء منه فقد اشرك في نيته وارادته والاخلاص
الحنيفية ملة ابرهيم التي امر الله بها عباده كلهم لا يقبل من احد
غيرها وهي حقيقة الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين وهي ملة ابراهيم
التي من رغب عنها فهو من اسفه السفهاء

فصل

اذا عرفت هذه المقدمة انفتح لك الجواب عن السوال
المذكور فنقول ومن الله نستمد الصواب
حقيقة الشرك هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به
هذا هو التشبيه في الحقيقة لا اثبات صفات الكمال
التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله فعكس
من نكس الله قلبه واعمى عين بصيرته واركسه بكسبه
الامر وجعل التوحيد تشبيها والتشبيه تعظيما وطاعة
فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الالهية
فان من خصائص الالهية التفرد بملك الضر والنفع والعطا
والمنع وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجا والتوكل

به وحده فمن علق ذلك بمخلوق فقد جعله شبيها بالخالق
وجعل ما لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة
ولا نشورا فضلا عن غيره شبيها لمن له الامر كله فازمة
الامور كلها بيده ومرجعها اليه فما شاء كان وما لم يشا
لم يكن لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع بل اذا فتح لعبده
باب رحمته لم يمسكها احد وان امسكها عنه لم يرسلها اليه
احد فمن اقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات
بالقادر الغني بالذات ومن خصائص الالهية الكمال المطلق
من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك
يوجب ان تكون العبادة كلها له وحده والتعظيم والاجلال
والخشية والدعاء والرجا والانابة والتوبة والتوكل والاستعانة
وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلا وشرعا
وفطرة ان يكون له وحده ويمتنع عقلا وشرعا وفطرة ان يكون
لغيره فمن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن
لا شبيه له ولا مثل له ولا ند له وذلك اقبح التشبيه وابطله
ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم اخبر عباده انه لا يغفره
مع انه كتب على نفسه الرحمة ومن خصائص الالهية العبودية

التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما غاية الحب مع غاية الذل
هذا تمام العبودية وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب
تفاوتهم في هذين الاصلين فمن اعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله
فقد شبهه به في خالص حقه وهذا من المحال ان
تجيء شريعة من الشرائع وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل ولكن
غيرت الشياطين فطر اكثر الخلق وعقولهم وافسدتها عليهم
واجتالتهم عنها ومضى على الفطرة الاولى من سبقت له من الله
الحسنى فارسل اليهم رسله وانزل عليهم كتبه بما يوافق
فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورا على نور يهدي الله لنوره
من يشا اذا عرف هذا فمن خصائص الالهية السجود فمن سجد
لغيره فقد شبه المخلوق به ومنها التوكل فمن توكل على غيره
فقد شبهه به ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به
ومنها الحلف باسمه تعظيما واجلالا له فمن حلف بغيره فقد
شبهه به هذا في جانب التشبيه اما في جانب التشبه
فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس الى اطرائه في المدح والتعظيم
والخضوع والرجا وتعليق القلب به خوفا ورجاء والتجاء
واستعانة فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته والهيته

وهو حقيق بان يهينه الله غاية الهوان ويذله غاية الذل
ويجعله تحت اقدام خلقه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله عز وجل العظمة ازاري والكبريا ردائي فمن
نازعني واحدا منهما عذبته واذا كان المصور الذي يصنع الصورة
بيده من اشد الناس عذابا يوم القيمة لتشبهه بالله في
مجرد الصنعة فما الظن بالتشبه بالله في الربوبية والالهية
كما قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة
المصورون يقال لهم احيوا ما خلقتم وفي الصحيح عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب
يخلق خلقا كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة فنبه بالذرة
والشعيرة على ما هو اعظم منهما واكبر والمقصود ان
هذا حال من تشبه به في صنعة صورة فكيف حال من تشبه
به في خواص ربوبيته والهيته وكذلك من تشبه به في
الاسم الذي لا ينبغي الا لله وحده كملك الاملاك وحاكم
الحكام ونحوه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان اخنع الاسما عند الله رجل يتسمى بشاهان
شاه اي ملك الملوك لا ملك الملوك الا الله وفي لفظ

اغيظ رجل على الله رجل تسمى ملك الاملاك فهذا مقت الله
وغضبه على من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي الا له
فهو سبحانه ملك الملوك وحده وهو حاكم الحكام وحده
فهو الذي يحكم على الحكام كلهم ويقضي عليهم كلهم لا غيره

فصل اذا تبين هذا فههنا امر عظيم تكشف سر
المسألة وهو ان اعظم الذنوب عند الله اساءة الظن به فان المسيء
به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس وظن به ما يناقض
اسماءه وصفاته ولهذا توعد سبحانه الظانين به ظن
السوء بما لم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى عليهم دائرة السوء
وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا وقال
تعالى لمن انكر صفة من صفاته وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وقال تعالى عن خليله ابرهيم
انه قال لقومه ماذا تعبدون ائفكا الهة دون الله تريدون
فما ظنكم برب العالمين اي فما ظنكم ان يجازيكم به اذا لقيتموه
وقد عبدتم غيره وما ظننتم به حتى عبدتم معه غيره وما
ظننتم باسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى احوجكم
الى عبودية غيره فلو ظننتم به ما هو اهله من انه بكل شيء

علم

عليم وعلى كل شيء قدير وانه غني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير
اليه وانه قائم بالقسط على خلقه وانه المنفرد بتدبير خلقه لا
يشركه فيه غيره والعالم بتفاصيل الامور فلا يخفى عليه خافية
من خلقه والكافي لهم وحده فلا يحتاج الى معين والرحمن بذاته
فلا يحتاج في رحمته الى من يستعطفه وهذا بخلاف الملوك
وغيرهم من الرؤساء فانهم محتاجون الى من يعرفهم احوال
الرعية وحوائجهم والى من يعينهم على قضاء حوائجهم والى من
يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا الى الوسائط
ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم فاما القادر
على كل شيء الغني بذاته عن كل شيء العالم بكل شيء الرحمن الرحيم
الذي وسعت رحمته كل شيء فادخال الوسائط بينه وبين
خلقه نقص بحق ربوبيته والهيته وتوحيده وظن به ظن
السوء وهذا يستحيل ان يشرعه لعباده ويمتنع في العقول
والفطر وقبحه مستقر في العقول والفطر السليمة فوق
كل قبيح يوضح هذا ان العابد معظم لمعبوده متأله له خاضع
ذليل له والرب تبارك وتعالى وحده هو الذي يستحق كمال
التعظيم والاجلال والتأله والخضوع والذل وهذا خالص

حقه ممن اتهم الظالم ان يعطي حقه لغيره او يشرك بينه وبينه فيه
لا سيما اذا كان الذي جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه
كما قال تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم
من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم
انفسكم اي اذا كان احدكم يانف ان يكون مملوكه شريكه
في رزقه فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما انا
متفرد به وهو الالهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصلح لسواي
فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ولا عظمني حق تعظيمي
ولا افردني بما انفردت به دون خلقي فما قدر الله حق قدره
من عبد معه غيره كما قال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا
يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا
الله حق قدره ان الله لقوي عزيز فما قدر الله حق قدره
من عبد معه من لا يقدر على خلق اضعف حيوان
واصغره وان سلبه الذباب شيئا مما عليه لم يقدر على
يقدر على استنقاذه وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره

والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه
سبحانه وتعالى عما يشركون فما قدر من هذا شأنه وعظمته حق قدره من
اشرك معه في عبادته من ليس له شيء من ذلك البتة بل هو اعجز
شيء واضعفه فما قدر القوي العزيز حق قدره من اشرك معه الضعيف
الذليل ولذلك ما قدره حق قدره من قال انه لم يرسل الى خلقه
رسولا ولا انزل كتابا بل نسبه الى ما لا يليق به ولا يحسن منه
من اهمال خلقه وتضييعهم وتركهم سدى وخلقهم باطلا عبثا
ولا قدره حق قدره من نفى حقائق اسمائه الحسنى وصفاته
العلى فنفى سمعه وبصره وارادته واختياره وعلوه فوق خلقه
وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريد او نفى عموم قدرته
وتعلقها بافعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم فاخرجها عن قدرته
ومشيئته وخلقه وجعلهم يخلقون لانفسهم ما يشاؤون بدون
مشيئة الرب فيكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون
تعالى الله عن قول اشباه المجوس علوا كبيرا وكذلك ما قدره
حق قدره من قال انه يعاقب عبده على ما لا يفعله العبد
ولا له عليه قدرة ولا تأثير له فيه البتة بل هو نفس فعل الرب
جل جلاله فيعاقب عبده على فعله سبحانه الذي جبر

هوم

العبد عليه وجبره على الفعل أعظم من ظلم المخلوق للمخلوق
وإذا كان من المستقر في الفطر والعقول أن السيد لو أكره
عبده على فعل أو ألجأه إليه ثم عاقبه عليه لكان قبيحا فأعدل
العادلين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين كيف يجبر العبد على
فعل لا يكون للعبد فيه صنع ولا تأثير ولا هو واقع بإرادته
بل ولا هو فعله البتة ثم يعاقبه عليه عقوبة الأبد تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا وقولهم هذا شر من قول المجوس فالطائفتان
ما قدروا الله حق قدره وكذلك ما قدره حق قدره من لم يصنه عن
نتن ولا حش ولا مكان يرغب عن ذكره بل جعله في كل مكان
وصانه عن عرشه أن يكون مستويا عليه يصعد إليه الكلم الطيب
والعمل الصالح وتعرج الملائكة والروح إليه وتنزل من عنده
ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فصانه عن استوائه
على سرير الملك ثم جعله في كل مكان يأنف الإنسان بل
غيره من الحيوان أن يكون فيه وما قدر الله حق قدره من
نفى حقيقة محبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقته
ولا من نفى حقيقة حكمته التي هي الغايات المحمودة المقصودة ولا من
نفى حقيقة فعله ولم يجعل له فعلا اختياريا يقوم به بل

أفعاله مفعولات منفصلة عنه فنفى حقيقة مجيئه وإتيانه واستوائه
على عرشه وتكليمه موسى من جانب الطور ومجيئه يوم القيامة لفصل
القضاء بين عباده بنفسه إلى غير ذلك من أفعاله وأوصاف كماله
التي نفوها وزعموا أنهم بنفيها قد قدروه حق قدره وكذلك لم
يقدره حق قدره من جعل له صاحبة وولدا أو جعله يحل في
مخلوقاته أو جعله عين هذا الوجود وكذلك لم يقدره حق قدره
من قال إنه رفع أعداء رسوله أهل بيته وأعلى ذكرهم وجعل فيهم
الملك والخلافة والعز ووضع أولياء رسوله وأهل سنته وأهانهم
وأذلهم وضرب عليهم الذلة أينما ثقفوا وهذا يتضمن غاية القدح
في الرب تعالى عن قول الرافضة علوا كبيرا وهذا القول
مشتق من قول اليهود والنصارى في رب العالمين أنه أرسل
ملكا ظالما فادعى النبوة لنفسه وكذب على الله ومكث زمنا ام ج
طويلا يكذب عليه كل وقت ويقول قال كذا وأمر بكذا ونهى عن كذا
وينسخ شرائع أنبيائه ورسله ويستبيح دماء أتباعهم وأموالهم
وحريمهم ويقول الله أباح لي ذلك والرب تعالى يظهره ويؤيده
ويعليه ويقربه ويجيب دعواته ويمكنه ممن خالفه ويقيم الأدلة على
صدقه ولا يعاديه أحد إلا ظفر به فيصدقه بقوله وفعله وتقريره

وعدت ادله تصديقه شيئا بعد شي ومعلوم ان هذا من اعظم
القدح والطعن في الرب تعالى وعلمه وحكمته ورحمته وربوبيته تعالى
عن قول الجاحدين علوا كبيرا فوازن بين قول هولا وبين قول
اخوانهم من الرافضة تجد القولين ٥

٥ رضيعي لبان ثدي ام تقاسما باسحم داج عوض لا نتفرق ٥

والقدرية لم تقدره حق قدره من قال انه يجوز ان يعذب اولياءه
ومن لم يعصه طرفة عين ويدخلهم دار الجحيم وينعم اعداءه ومن
لم يؤمن به طرفة عين ويدخلهم دار النعيم وان كلا الامرين
بالنسبة اليه سواء وانما الخبر المحض جاء عنه بخلاف ذلك
فمعناه للخبر لا لمخالفة حكمته وعدله وقد انكر سبحانه
في كتابه على من جوز عليه ذلك غاية الانكار وجعل الحكم به من
اسوا الاحكام وكذلك لم تقدره حق قدره من زعم انه لا
يحيي الموتى ولا يبعث من في القبور ولا يجمع خلقه ليوم يجازي
المحسن فيه باحسانه والمسيء باساءته ويأخذ للمظلوم فيه
حقه من ظالمه ويكرم المتحملين للمشاق في هذه الدار
اجله وفي مرضاته بافضل كرامته ويبين لخلقه الذي يختلفون
فيه ويعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين وكذلك لم تقدره

حق قدره

حق قدره من هان عليه امره فعصاه ونهيه فارتكبه وحقه فضيعه
وذكره فاهمله وغفل قلبه عنه وكان هواه آثر عنده من طلب
رضاه وطاعة المخلوق اهم عنده من طاعته فلله الفضلة من قلبه
وقوله وعمله وسواه المقدم في ذلك لانه المهم عنده يستخف بنظر الله
اليه واطلاعه عليه وهو في قبضته وناصيته بيده ويعظم نظر المخلوق
اليه واطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه يستحيي من الناس ولا يستحيي
من الله ويخشى من الناس ولا يخشى من الله ويعامل الخلق بافضل
ما يقدر عليه وان عامل الله عامله باهون ما عنده واحقره ان
قام في خدمة الاله من البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل
النصيحة وقد فرغ له قلبه وجوارحه وقدمه على كثير من مصالحه
حتى اذا قام في حق ربه ان ساعد القدر قام قياما لا يرضاه
مثله مخلوق من مخلوق وبذل له من ماله ما يستحيي ان يواجه
به مخلوقا لمثله فهل قدر الله حق قدره من هذا وصفه وهل
قدره حق قدره من شارك بينه وبين عدوه في محض حقه
من الاجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف
والرجاء فلو جعل له من اقرب الخلق اليه شريكا في ذلك لكان
ذلك جراة وتوثبا على محض حقه واستهانة به وتشريكا بينه

وتبين عنه فيما لا يستحق ولا يصلح الا لله سبحانه فكيف انما يشبهه
به ويبين بعض الخلق اليه وهو ينم عليه او معتقم عنده وهو
عدوه على الحقيقة فانه ما عبد من دون الله الا الشيطان
كما قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان
انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم فالعابد
المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم في نفس الامر
للشياطين وهم يظنون انهم يعبدون الملائكة كما قال تعالى
ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا ا
الجن اكثرهم بهم مؤمنون فالشيطان يدعو المشرك الى عبادته
ويوهمه انه ملك وكذلك عباد الشمس والقمر والكواكب
يزعمون انهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب وهي التي
تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج ولهذا اذا طلعت الشمس قارنها
الشيطان فيسجد لها الكفار فيقع سجودهم له وكذلك عبدة
عزير وكذلك من عبد المسيح وامه لم يعبدهما وانما
عبد الشيطان فانه يزعم انه يعبد من امر بعبادته وعبادة
امه ورضيها لهم وامرهم بها وهذا هو الشيطان الرجيم لا

عبد الله ورسوله فتنزل هذا كله على قوله تعالى الم اعهد
اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان فما عبد احد
من بني ادم غير الله كائنا من كان الا وقعت عبادته
للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه ويستمتع
المعبود بالعابد في تعظيمه له واشراكه مع الله الذي هو
غاية رضى الشيطان ولهذا قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا
يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم
واضلالهم وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا
ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم
خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم فهذه اشارة
لطيفة الى السر الذي كان الشرك لاجله اكبر الكبائر
عند الله وانه لا يغفر بغير التوبة منه وانه يوجب الخلود
في العذاب وانه ليس تحريمه وقبحه لمجرد النهي عنه بل يستحيل
على الله سبحانه ان يشرع عبادة اله غيره كما يستحيل عليه ما
يناقض اوصاف كماله ونعوت جلاله وكيف يظن بالمنفرد
بالربوبية والالهية والعظمة والجلال ان يأذن في مشاركته
في ذلك او يرضى به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

فصل

فلما كان الشرك أكبر شيء منافاة للأمر الذي خلق الله له
الخلق وأمر لأجله بالأمر كان من أكبر الكبائر عند الله وكذلك
الكبر وتوابعه كما تقدم فإن الله سبحانه خلق الخلق وأنزل
الكتب لتكون الطاعة له وحده والشرك والكبر ينافيان
ذلك ولذلك حرم الله الجنة على أهل الشرك والكبر ولا يدخلها
من في قلبه مثقال ذرة من كبر فصل ويلي ذلك
في كبر المفسدة القول على الله بلا علم في أسمائه وصفاته
وأفعاله ووصفه بضد ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله
فهذا أشد شيء مناقضة ومنافاة لكمال من له الخلق والأمر
وقدح في نفس الربوبية وخصائص الرب فإن صدر
ذلك عن علم فهو عناد أقبح من الشرك وأعظم إثما عند
الله فإن المشرك المقر بصفات الرب خير من المعطل
الجاحد لصفات كماله كما أن من أقر لملك بالملك ولم
يجحد ملكه ولا الصفات التي استحق بها الملك لكن جعل معه
شريكا في بعض الأمور يقربه إليه خير ممن جحد صفات
الملك وما يكون به ملكا هذا أمر مستقر في سائر الفطر
والعقول فإن القدح في صفات الكمال والجحد لها من عناد

واسطة بين المعبود الحق وبين العابد يتقرب إليه بعبادة تلك الواسطة سط
إعظاما له وإجلالا لأعداء المعطل هذا الداء العضال الذي
لا دواء له ولهذا حكى الله عن إمام المعطلة فرعون أنه أنكر
على موسى ما أخبر به من أن ربه فوق السموات فقال يا هامان
ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات
فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا واحتج الشيخ أبو الحسن
الأشعري في كتبه على المعطلة بهذه الآية وقد ذكرنا لفظه
في غير هذا الكتاب والقول على الله بلا علم والشرك متلازمان
ولما كانت البدع المضلة جهلا بصفات الله وتكذيبا بما
أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه رسوله عنادا أو جهلا كانت
من أكبر الكبائر وإن قصرت عن الكفر وكانت أحب إلى إبليس
من كبار الذنوب كما قال بعض السلف البدعة أحب إلى
إبليس من المعصية لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا
يتاب منها وقال إبليس أهلكت بني آدم بالذنوب وأهلكوني
بالاستغفار وبلا إله إلا الله فلما رأيت ذلك بثثت فيهم
الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا ومعلوم أن المذنب إنما ضرره على نفسه وأما المبتدع

وضرره على النوع وشبه المبتدع في أصل الدين وشبه المذنب في
الشهوة والمبتدع قد يفسد للناس على صراط الله المستقيم يصدهم
عنه والمذنب ليس كذلك والمبتدع قادح في أوصاف الرب
وكماله والمذنب ليس كذلك والمبتدع مناقض لما جاء به يقطع
الرسول والعاصي ليس كذلك والمبتدع يقطع على الناس طريق
الآخرة والعاصي بطيء السير بسبب ذنوبه

فصل

ثم لما كان الظلم والعدوان منافيا للعدل الذي قامت به
السموات والأرض وأرسل الله سبحانه رسله وأنزل كتبه
ليقوم الناس به كان من أكبر الكبائر عند الله وكانت درجته
في العظم بحسب مفسدته في نفسه وكان قتل النفس ولده الطفل
الصغير الذي لا ذنب له وقد جبل الله القلوب على رحمته وعطفه
عليه وخص الوالدين من ذلك بمزيد اختصاص فقتله خشية أن
يشاركه في مطعمه ومشربه وماله من أقبح الظلم وأشده وكذلك
قتله أبويه الذين كانا سبب وجوده وكذلك قتله ذا رحمه
وتتفاوت درجات القتل بحسب قبحه واستحقاق
من قتله للسعي في إبقائه ونصحه ولهذا كان أشد الناس
عذابا يوم القيامة من قتل نبيا أو قتله نبي ويليه من قتل
إماما عادلا أو عالما يأمر الناس بالقسط ويدعوهم إلى الله وينصحهم

في دينهم وقد جعل الله سبحانه جزاء قتل النفس المؤمنة عمدا الخلود
في النار وغضب الجبار ولعنته وإعداد العذاب العظيم
له هذا موجب قتل المؤمن عمدا ما لم يمنع منه مانع ولا خلاف
أن الإسلام الواقع بعد القتل طوعا واختيارا مانع من
نفوذ ذلك الجزاء وهل تمنع توبة المسلم منه بعد وقوعه
فيه قولان للسلف والخلف وهما روايتان عن الإمام أحمد رضي
الله عنه والذين قالوا لا تمنع التوبة من نفوذه رأوا أنه
حق لآدمي لم يستوفه في دار الدنيا وخرج منها بظلامته فلا
بد أن يستوفى له في دار العدل قالوا وما استوفاه الوارث
فإنما استوفاه محض حقه الذي خيره الله بين استيفائه والعفو
عنه وما ينفع المقتول من استيفاء وارثه وأي استدراك لظلامته
حصل له باستيفاء وارثه وهذا أصح القولين في المسألة أن حق
المقتول لا يسقط باستيفاء الوارث وهما وجهان لأصحاب
أحمد والشافعي وغيرهم ورأت طائفة أنه يسقط بالتوبة
واستيفاء الوارث فإن التوبة تهدم ما قبلها والذنب الذي
قد جناه قد أقيم عليه حده قالوا وإذا كانت التوبة تمحو أثر
الكفر والسحر وما هو أعظم إثما من القتل فكيف تقصر عن محو

محو اثر القتل وقد قبل الله توبة الكفار الذين قتلوا اولياءه
وجعلهم من خيار عباده ودعا الذين حرقوا اولياءه وفتنوهم عن
دينهم الى التوبة وقال قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فهذه
في حق التائب وهي تتناول الكفر وما دونه قالوا وكيف
يتوب العبد من الذنب ويعاقب عليه بعد التوبة هذا
معلوم انتفاؤه في شرع الله وجزائه قالوا وتوبة هذا
المذنب تسليم نفسه ولا يمكن تسليمها الى المقتول واقام
الشارع وليه مقامه وجعل تسليم النفس اليه كتسليمها
الى المقتول بمنزلة المال الذي عليه لوارثه فانه يقوم تسليمه
مقام تسليمه للموروث والتحقيق في المسألة ان القتل يتعلق
به ثلاث حقوق حق لله وحق للمقتول وحق للولي فاذا
سلم القاتل نفسه طوعا واختيارا الى الولي ندما على ما
فعل وخوفا من الله وتوبة نصوحا سقط حق الله بالتوبة
وحق الولي بالاستيفا او الصلح او العفو وبقي حق المقتول
يعوضه الله عنه يوم القيمة عن عبده التائب المحسن
ويصلح بينه وبينه فلا يذهب حق هذا ولا تبطل توبة هذا

واما مسألة المال فقد اختلف فيه فقالت طائفة اذا ادى ما
عليه من المال الى الوارث فقد برئ من عهدته في الاخرة
كما برئ منه في الدنيا وقالت طائفة بل المطالبة لمن ظلمه
باخذه باقية عليه يوم القيمة وهو لم يستدرك ظلامته باخذ
وارثه له فانه منعه من انتفاعه به طول حياته ومات
ولم ينتفع به وهذا ظلم لم يستدركه وانما استدرك غيره
ما استدركه وبنوا على هذا انه لو انتقل من واحد الى واحد
وتعدد الورثة كانت المطالبة به للجميع لانه حق كان
يجب عليه دفعه الى كل واحد منهم عند كونه هو الوارث
وهذا قول طائفة من اصحاب مالك واحمد وفصل
شيخنا بين الطائفتين فقال ان تمكن الموروث من اخذ
ماله والمطالبة به فلم ياخذه حتى مات صارت المطالبة
به للوارث في الاخرة كما هو كذلك في الدنيا وان لم يتمكن
من طلبه واخذه بل حال بينه وبينه ظلما وعدوانا فالطلب له
في الاخرة وهذا التفصيل من احسن ما يقال فان المال
اذا استهلكه الظالم على الموروث وتعذر عليه اخذه
منه صار بمنزلة عبده الذي قتله قاتل وداره التي احر

عنه ولطعامه وشرابه الذي اكله وشربه غيره ومثل هذا
انما تلف على الموروث لا على الوارث فحق المطالبة لمن تلف على
ملكه [illegible] فان قيل فاذا كان المال عقارا او ارضا او
اعيانا قائمة باقية بعد الموت فهي ملك للوارث غصبها
الغاصب فمنع اليه كل وقت فاذا لم يدفع اليه اعيانه فما له لا يستحق
المطالبة عند الله كما يستحق المطالبة في الدنيا وهذا
سؤال قوي لا محاص منه الا بان يقال المطالبة لهما جميعا
كما لو غصبها لا مشتركا من جماعة يستحق كل منهم المطالبة بحقه
منه وكما لو استولى على وقف مرتب على بطون فابطل حق
البطون كلهم منه كانت المطالبة يوم القيمة لجميعهم ولم يكن
بعضهم اولى بها من بعض والله اعلم فصل ولما كانت
مفسدة القتل هذه المفسدة قال تعالى من اجل ذلك
كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس
او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن
احياها فكانما احيا الناس جميعا وقد اشكل فهم
هذا على كثير من الناس وقالوا معلوم ان اثم قاتل
مائة اعظم عند الله من اثم قاتل نفس واحدة وانما اتوا

من ظنهم ان التشبيه في مقدار الاثم والعقوبة واللفظ لم
يدل على هذا ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء اخذه بجميع
احكامه وقد قال تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا
عشية او ضحاها وقال كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا
الا ساعة من نهار وذلك لا يوجب ان لبثهم في الدنيا انما
كان بهذا المقدار وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء
في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة
فكانما قام الليل كله اي مع العشاء كما جاء في لفظ اخر
واصرح من هذا قوله من صام رمضان واتبعه ستة من
شوال فكانما صام الدهر وقوله من قرا قل هو الله احد
فكانما قرا ثلث القران ومعلوم ان ثواب فاعل هذه
الاشيا لا يبلغ ثواب المشبه به فيكون قدرهما سواء
ولو كان قدر الثواب سواء لم يكن لمصلي العشاء والفجر
جماعة منفعة في قيام الليل غير التعب والنصب وما
اوتي عبد بعد الايمان افضل من الفهم عن الله ورسوله
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فان قيل ففي اي شيء
وقع التشبيه بين قاتل نفس واحدة وقاتل الناس جميعا

قتل في وجوه منها احدها ان كلا منهما عاص لله ورسوله
مخالف لامره متعرض لعقوبته وكل منهما قد باء بغضب من الله
ولعنته واستحقاق الخلود في نار جهنم واعد له عذابا عظيما
وانما يتفاوتان دركات فليس اثم من قتل نبيا او اماما
عادلا او عالما يامر الناس بالقسط كاثم من قتل من لا مزية العذاب
له من احاد الناس الثاني انهما سوا في استحقاق ازهاق
النفس الثالث انهما سوا في الجراة على سفك الدم الحرام
فان من قتل نفسا بغير استحقاق بل لمجرد الفساد في
الارض او لاخذ ماله فانه يجتري على قتل كل من ظفر به ويمكنه
قتله فهو معاد للنوع الانساني ومنها انه يسمى قاتلا
او فاسقا او ظالما او عاصيا بقتله واحدا كما يسمى
بقتله الناس جميعا ومنها ان الله سبحانه جعل المؤمنين
في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كالجسد الواحد اذا اشتكى
منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر فاذا
اتلف القاتل من هذا الجسد عضوا فكانما اتلف
سائر الجسد والم جميع اعضائه فمن اذى مؤمنا واحدا
فكانما اذى جميع المؤمنين وفي اذى جميع المؤمنين اذى

جميع الناس فان الله انما يدفع عن الناس بالمؤمنين الذين
بينهم فايذاء الحفيظ ايذاء المحفوظ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل
من دمها لانه اول من سن القتل ولم يجي هذا الوعيد في
اول زان ولا اول سارق ولا اول شارب مسكرا
وان كان اول المشركين يكون اولى بذلك من اول قاتل
لانه اول من سن الشرك ولهذا راى النبي صلى الله عليه وسلم
عمرو بن لحي يعذب باعظم العذاب في النار لانه اول
من غير دين ابراهيم وقال تعالى ولا تكونوا اول كافر به
اي يقتدي بكم من بعدكم فيكون اثم كفرهم عليكم وكذلك
حكم من سن سنة سيئة فاتبع عليها وفي جامع الترمذي
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجي المقتول بالقاتل
يوم القيمة ناصيته وراسه بيده واوداجه تشخب دما
يقول رب سل هذا فيم قتلني فذكروا لابن عباس التوبة
فتلا هذه الاية ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثم قال ما نسخت
هذه الاية ولا بدلت واني له التوبة قال هذا حديث حسن
وفيه ايضا عن نافع قال نظر عبد الله بن عمر يوما الى الكعبة

فقال لها أعطيك وأعظم حرمتك المؤمن عند الله أعظم حرمة منك
قال هذا حديث حسن وفي صحيح البخاري عن جندب قال أول
ما ينتن من الإنسان بطنه فمن استطاع أن لا يأكل إلا
طيبا فليفعل ومن استطاع أن لا يحول بينه وبين الجنة
ملء كف من دم أهراقه فليفعل وفي صحيحه أيضا عن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال المؤمن في فسحة
من دينه ما لم يصب دما حراما وذكر البخاري أيضا عن ابن
عمر قال من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع
نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله وفي الصحيحين عن
أبي هريرة رفعه سباب المسلم فسوق وقتاله كفر
وفيهما أيضا عنه صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا
يضرب بعضكم رقاب بعض وفي صحيح البخاري عنه صلى الله
عليه وسلم من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها
ليوجد من مسيرة أربعين عاما هذه عقوبة قاتل عدو الله إذا
كان في عهده وأمانه فكيف عقوبة قاتل عبده المؤمن
وإذا كانت امرأة قد دخلت النار في هرة حبستها
حتى ماتت جوعا وعطشا فرآها النبي صلى الله عليه وسلم

في النار والتي تخدشها في وجهها وصدرها فكيف عقوبة من قتل
نفسا مؤمنا حتى مات بغير جرم وفي بعض السنن عنه صلى الله عليه وسلم
لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق

فصل

ولما كانت مفسدة الزنا من أعظم المفاسد وهي منافية لمصلحة نظام
العالم في حفظ الأنساب وحماية الفروج وصيانة الحرمات وتوقي
ما يوقع أعظم العداوة والبغضاء بين الناس من إفساد كل منهم
امرأة صاحبه وابنته وأخته وأمه وفي ذلك خراب العالم كانت
تلي مفسدة القتل في الكبر ولهذا قرنها الله سبحانه في كتابه
ورسوله صلى الله عليه وسلم في سنته كما تقدم قال الإمام أحمد رحمه الله
لا أعلم بعد قتل النفس شيئا أعظم من الزنا وقد أكد سبحانه حرمته
بقوله والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم
الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له
العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب فقرن الزنا
بالشرك وقتل النفس وجعل جزاء ذلك الخلود في العذاب المضاعف
ما لم يرفع العبد موجب ذلك بالتوبة والإيمان والعمل الصالح وقال
تعالى ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا فأخبر
عن فحشه في نفسه وهو القبيح الذي قد تناهى قبحه حتى استقر فحشه
في العقول حتى عند كثير من الحيوان كما ذكر البخاري في صحيحه عن عمرو

ابن ميمون الاودي قال رايت في الجاهلية قردا اذ ما بقردة واجتمع
القرود عليها رجموها حتى ماتا ثم اخبر عن عاقبته بانه ساء سبيلا
فانه سبيل هلكة وبوار وافتقار في الدنيا وسبيل عذاب وخزي
ونكال في الاخرة ولما كان نكاح ازواج الاباء من اقبحه خصه من بينه
بذم فقال انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا وعلق سبحانه
فلاح العبد على حفظ فرجه منه فلا سبيل له الى الفلاح بدونه
فقال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
وهذا يتضمن ثلاثة امور ان من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين
وانه من الملومين ومن العادين ففاته الفلاح واستحق اسم
العدوان ووقع في اللوم فمقاساة الم الشهوة ومعاناتها
ايسر من بعض ذلك ونظير هذا انه سبحانه ذم الانسان
وانه خلق هلوعا لا يصبر على شر ولا خير بل اذا مسه
الخير منع وبخل واذا مسه الشر جزع الا من استثناه
بعد ذلك من الناجين من خلقه فذكر منهم الذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين

فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون وامر تعالى نبيه ان
يامر المؤمنين بغض ابصارهم وحفظ فروجهم وان يعلمهم انه مشاهد
لاعمالهم مطلع عليها يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ولما
كان مبدا ذلك من قبل البصر جعل الامر بغضه مقدما على
حفظ الفرج فان الحوادث مبداها من النظر كما ان
معظم النار من مستصغر الشرر ثم تكون نظرة ثم خطرة ثم
خطوة ثم خطيئة ولهذا قيل من حفظ هذه الاربعة احرز دينه
اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات فينبغي للعبد
ان يكون بواب نفسه على هذه الابواب الاربعة ويلازم
الرباط على ثغورها فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار
ويتبر ما علوا تتبيرا **فصل** واكثر ما تدخل المعاصي
على العبد من هذه الابواب الاربعة فنذكر في كل منها فصلا
يليق به فاما اللحظات فهي رائد الشهوة ورسولها وحفظها
اصل حفظ الفرج فمن اطلق بصره اورده موارد المهلكات وقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى
وعليك الثانية وليست لك الاخرة وفي المسند عنه صلى
الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن

غض بصره عن محاسن امراة بيه اورث الله قلبه حلاوة الى يوم يلقاه
هذا معنى الحديث وقال غضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم
وقال اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله مجالسنا
ما لنا منها بد قال فان كنتم لا بد فاعلين فاعطوا الطريق حقه قالوا
وما حقه قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والنظر
اصله يولد خطرة ثم تولد الخطرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة
ثم تولد الشهوة ارادة ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل
لا بد ما لم يمنع منه مانع وفي هذا قيل الصبر على غض البصر ايسر
من الصبر على الم ما بعده قال الشاعر

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بين القوس والوتر
والعبد ما دام ذا طرف يقلبه في اعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

العبد

ومن افات النظر انه يورث الحسرات والزفرات والحرقات فيرى
العبد ما ليس قادرا عليه ولا صابرا عنه وهذا من اعظم العذاب ان
ترى ما لا صبر لك عن بعضه ولا قدرة لك على بعضه قال الشاعر

وكنت متى ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر

رايت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر

وهذا البيت يحتاج الى شرح ومراده انك ترى ما لا تصبر عن شيء
منه ولا تقدر على شيء منه فان قوله لا كله انت قادر عليه نفي لقدرته
على الكل التي لا تنتفي الا بنفي القدرة عن كل واحد واحد ثم
ممن ارسل لحظاته فما اقلعت الا وهو يتشحط بينهن قتيلا ولي — من ابيات
من السلامة واعقد لحظاته وقفا على طلل يظن جميلا
ما زال يتبع اثره لحظاته حتى تشحط بينهن قتيلا
ومن العجب ان لحظة الناظر سهم لا يصل الى المنظور اليه حتى يتبوا
مكانا من قلب الناظر ولي من قصيدة

يا راميا بسهام اللحظ مجتهدا انت القتيل بما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له احبس رسولك لا ياتيك بالعطب

واعجب من ذلك ان النظرة تجرح القلب فيتبعها جرحا على جرح
ثم لا يمنعه الم الجراحة من استدعاء تكرارها ولي ايضا في هذا المعنى

ما زلت تتبع نظرة في نظرة في اثر كل مليحة ومليح
وتظن ذاك دواء جرحك وهو في التحقيق تجريح على تجريح
فذبحت طرفك باللحاظ وبالبكا فالقلب منك ذبيح اي ذبيح

وقد قيل حبس اللحظات ايسر من دوام الحسرات

فصل وأما الخطرات فشأنها أصعب فإنها مبدأ الخير
والشر ومنها تتولد الإرادات والهمم والعزائم فمن راعى خطراته
ملك زمام نفسه وقهر هواه ومن غلبته خطراته فهواه ونفسه
له أغلب ومن استهان بالخطرات قادته قهرا إلى الهلكات ولا
تزال الخطرات تتردد على القلب حتى تصير منى باطلة كسراب بقيعة
يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده
فوفاه حسابه والله سريع الحساب وأخس الناس همة
وأوضعهم نفسا من رضي من الحقائق بالأماني الكاذبة واستجلبها
لنفسه وتحلى بها وهي لعمر الله رؤوس أموال المفلسين ومتاجر
البطالين وهي قوت النفس الفارغة التي قنعت من الوصل
بزورة الخيال ومن الحقائق بكواذب الآمال كما قال الشاعر
منى إن تكن حقا تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا
وهي أضر شيء على الإنسان ويتولد منها العجز والكسل وتولد التفريط
والحسرة والندم والمتمني لما فاتته مباشرة الحقيقة بجسمه
حول صورتها في قلبه وعانقها وضمها إليه فقنع بوصال صورة وهمية
خيالية صورها فكره وذلك لا يجدي عليه شيئا وإنما مثله
مثل الجائع والظمآن يصور في وهمه صورة الطعام والشراب وهو لا يأكل

ويشرب والسكون إلى ذلك واستحلاؤه يدل على خساسة النفس
ووضاعتها وإنما شرف النفس وزكاؤها وطهارتها وعلوها بأن
ينفي عنها كل خطرة لا حقيقة لها ولا يرضى أن يخطرها بباله ويأنف
لنفسه منها ثم الخطرات بعد أقسام تدور على أربعة أصول
خطرات يستجلب بها منافع دنياه وخطرات يستدفع بها مضار
آخرته وخطرات يستجلب بها مصالح آخرته وخطرات يستدفع دنياه
بها مضار آخرته فليحصر خطراته وأفكاره وهمومه في هذه الأقسام
الأربعة فإذا انحصرت له فيها أمكن اجتماعها ولم يتركها لغيره
وإذا تزاحمت عليه الخطرات لتزاحم متعلقاتها قدم الأهم الذي
يخشى فوته وأخر الذي ليس بأهم ولا يخاف فوته بقي قسمان
آخران أحدهما مهم لا يفوت والثاني غير مهم ولكنه يفوت
ففي كل منهما ما يدعو إلى تقديمه فهنا يقع التردد والحيرة فإن
قدم المهم خشي فوات ما دونه وإن قدم ما دونه فاته
الاشتغال به عن المهم وكذلك يعرض له أمران لا يمكن الجمع
بينهما ولا يحصل أحدهما إلا بتفويت الآخر فهذا موضع استعمال
العقل والفقه والمعرفة ومن ههنا ارتفع من ارتفع وأنجح من
أنجح وخاب من خاب فأكثر من ترى ممن يعظم عقله ومعرفته يؤثر

غير المهم الذي لا يفوت على المهم الذي يفوت ولا يجد احدا اسلم
من ذلك ولكن يستفل ويستنزل الحكيم في هذا الباب للقاعدة
الكبرى التي عليها مدار الشرع والقدر واليها مرجع الخلق والامر
وهي ايثار اكبر المصلحتين واعلاهما وان فاتت المصلحة التي هي
دونها والدخول في ادنى المفسدتين لدفع ما هو اكبر منها فيفوت
مصلحة ليحصل ما هو اكبر منها ويرتكب مفسدة لدفع ما هو اعظم
منها فخطرات العاقل وفكره لا يتجاوز ذلك وبذلك جاءت
الشرائع ومصالح الدنيا والاخرة لا تقوم الا على ذلك واعلى
الفكر واجلها وانفعها ما كان لله والدار الاخرة فما كان
لله انواع احدها الفكر في اياته المنزلة وتعقلها وفهم مراده
منها ولذلك انزلها الله تعالى لا لمجرد تلاوتها بل التلاوة
وسيلة قال بعض السلف انزل القران ليعمل به
فاتخذوا تلاوته عملا الثاني الفكر في اياته المشهودة
والاعتبار بها والاستدلال بها على اسمائه وصفاته وحكمته
واحسانه وبره وجوده وقد حض سبحانه على التفكر
في اياته وتدبرها وتعقلها وذم الغافل عن ذلك الثالث
التفكر في الائه واحسانه وانعامه على خلقه باصناف النعم

وسعة رحمته ومغفرته وحلمه وهذه الانواع الثلاثة تستخرج
من القلب معرفة الله ومحبته وخوفه ورجاه ودوام الفكر
في ذلك مع الذكر يصبغ القلب في المعرفة والمحبة صبغة الرابع
الفكر في عيوب النفس وافاتها وفي عيوب العمل وهذه
الفكرة عظيمة النفع وهي باب لكل خير وتاثيرها في كسر
النفس الامارة ومتى كسرت عاشت النفس المطمئنة
وانتعشت وصار الحكم لها فحيي القلب ودارت كلمته في
مملكته وبث امراءه وجنوده في مصالحه الخامس الفكر
في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم كله عليه فالعارف ابن
وقته فان اضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها فجميع المصالح
انما تنشا من الوقت وان ضيعه لم يستدركه ابدا
قال الشافعي صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى
حرفين احدهما قولهم الوقت سيف فان قطعته والا قطعك
وذكر الكلمة الاخرى فوقت الانسان هو عمره في الحقيقة
وهو مادة حياته الابدية في النعيم المقيم ومادة معيشته
الضنك في العذاب الاليم وهو يمر اسرع من مر السحاب
فما كان من وقته لله وفيه فهو حياته وعمره وغير ذلك

ليس محسوبا من حياته وإن عاش فيها فإذا انقطع وقته
في الغفلة والسهو والأماني الباطلة وكان خير ما قطعه به
النوم والبطالة فموت هذا خير له من حياته وإذا كان العبد
وهو في الصلاة ليس له إلا ما عقل منها فليس له من عمره إلا
ما كان فيه بالله وما عدا هذه من الأقسام من الخطرات والفكر فأما
وساوس شيطانية وإما أماني باطلة وخدع كاذبة بمنزلة
خواطر المصابين في عقولهم من السكارى والمحشوشين والموسوسين
ولسان حال هؤلاء يقول عند انكشاف الحقائق

إن كان منزلتي في الحشر عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمنا واليوم أحسبها أضغاث أحلام

واعلم أن ورود الخاطر لا يضر وإنما يضر استدعاؤه ومحادثته
فالخاطر كالمار على الطريق فإن لم تستدعه وتركته مر وانصرف
عنك وإن استدعيته سحرك بحديثه وخدعه وغروره وهو
أخف شيء على النفس الفارغة الباطلة وأثقل شيء على القلب
والنفس الشريفة السماوية المطمئنة وقد ركب الله سبحانه
في الإنسان نفسين نفسا أمارة ونفسا مطمئنة وهما متعاديتان
فكلما خف على هذه ثقل على هذه وكلما التذت به هذه تألمت

به الأخرى فليس على النفس الأمارة أشق من العمل لله وإيثار
رضاه على هواها وليس لها أنفع منه وليس على النفس المطمئنة
أشق من العمل لغير الله وما جاء به داعي الهوى وليس عليها
شيء أضر منه والملك مع هذه عن يمنة القلب والشيطان
مع تلك عن يسرة القلب والحرب مستمرة لا تضع أوزارها إلى
أن يستوفي أجلها من الدنيا والباطل كله يتحيز مع الشيطان
والأمارة والحق كله يتحيز مع الملك والمطمئنة والحرب دول
وسجال والنصر مع الصبر ومن صبر وصابر ورابط واتقى الله فله
العاقبة في الدنيا والآخرة فالقلب لوح فارغ والخواطر
نقوش تنقش فيه فكيف يليق بالعاقل أن يكون نقوش
لوحه ما بين كذب وغرور وخدع وأماني باطلة وسراب
لا حقيقة له فأي حكمة وعلم وهدى ينتقش مع هذه
النقوش وإذا أراد أن ينتقش ذلك في لوح قلبه كان
بمنزلة كتابة العلم النافع في محل مشغول بكتابة ما لا
منفعة فيه فإن لم يفرغ القلب من الخواطر الردية
لم تستقر فيه الخواطر النافعة فإنها لا تستقر إلا في محل فارغ

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا فارغا فتمكنا

ولهذا الغلط من ارباب السلوك بنوا سلوكهم على حفظ الخواطر
وان لا يمكنوا خاطرا يدخل قلوبهم حتى تصير القلوب فارغة
قابلة للكشف وظهور حقائق العلويات فيها وهؤلاء حفظوا
شيئا وغابت عنهم اشياء فانهم اخلوا القلوب من ان يطرقها
خاطر فبقيت فارغة لا شيء فيها فصادفها الشيطان خالية
فبذر فيها الباطل في قوالب اوهمهم انها اعلى الاشياء واشرفها
وعوضهم بها عن الخواطر التي هي مادة العلم والهدى واذا خلا
القلب عن هذه الخواطر جاء الشيطان فوجد المحل خاليا
فشغله بما يناسب حال صاحبه لم يستطع ان يشغله
بالخواطر السفلية فشغله بارادة التجريد والفراغ من
الارادة التي لا صلاح للعبد ولا فلاح الا بان تكون
هي المستولية على قلبه وهي ارادة مراد الله الديني الامري
الذي يحبه ويرضاه ويشغل القلب واهتمامه بمعرفته على
التفصيل به والقيام به وتنفيذه في الخلق والطرق الى
ذلك والتوصل اليه بالدخول في الخلق لتنفيذه فيطلبهم الشيطان
عن ذلك بان دعاهم الى تركه وتعطيله من باب الزهد في
خواطر الدنيا واسبابها واوهمهم ان كمالهم في ذلك التجريد

والفراغ وهيهات انما الكمال في امتلاء القلب من
الخواطر والارادات والفكر في تحصيل مراضي الرب
تعالى من العبد ومن الناس والفكر في طرق ذلك والتوصل
اليه فاكمل الناس اكثرهم خواطر وفكرا وارادات
لذلك كما ان انقص الناس اكثرهم خواطر وفكرا وارادات
لحظوظه وهواه اين كانت والله المستعان وهذا عمر بن
الخطاب كان تتزاحم عليه الخواطر في مراضي الرب تعالى
فربما استعملها في صلاته فكان يجهز جيشه وهو في الصلاة
فيكون قد جمع بين الجهاد والصلاة وهذا من باب تداخل
العبادات في العبادة الواحدة وهو باب عزيز شريف
لا يعرفه الا صادق الطلب متضلع من العلم عالي الهمة بحيث
يدخل في عبادة يظفر فيها بعبادات شتى وذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء

فصل

واما اللفظات فحفظها بان لا
تخرج لفظة ضائعة لا يتكلم الا فيما يرجو فيه الربح والزيادة
في دينه فاذا اراد ان يتكلم بالكلمة نظر هل فيها ربح وفائدة
ام لا فان لم يكن فيها ربح امسك عنها وان كان فيها ربح نظر
هل يفوته بها كلمة هي اربح منها فلا يضيعها بهذه واذا اراد

ان يستدل على ما في القلب فاستدل عليه بحركة اللسان
فانه يطلعك على ما في القلب شاء صاحبه ام ابى قال يحيى بن
معاذ القلوب كالقدور تغلي بما فيها والسنتها مغارفها فانظر الرجل
حين يتكلم فان لسانه يغترف لك مما في قلبه حلو وحامض
وعذب واجاج وغير ذلك ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه اي
كما تطعم بلسانك طعم ما في القدور من الطعام فتدرك العلم بحقيقته
كذلك الطعم ما في قلب الرجل من لسانه فتذوق من لسانه كما تذوق
ما في القدر بلسانك وفي حديث انس المرفوع لا يستقيم ايمان
عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وسئل
عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج قال الترمذي
حديث صحيح وقد سال معاذ النبي صلى الله عليه وسلم عن العمل
الذي يدخله الجنة ويباعده من النار فاخبره براسه وعموده
وذروة سنامه ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك قال بلى يا رسول
الله فاخذ بلسان نفسه ثم قال كف عليك هذا فقال وانا
لمواخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب
الناس في النار على وجوههم او على مناخرهم الا حصائد السنتهم
قال الترمذي حديث صحيح ومن العجب ان الانسان يهون عليه

التحفظ والاحتراز من اكل الحرام والظلم والزنا والسرقة
وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك ويصعب عليه التحفظ
من حركة لسانه حتى ترى الرجل يشار اليه بالدين والزهد والعبادة
وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالا ينزل بالكلمة الواحدة
منها ابعد مما بين المشرق والمغرب وكم ترى من رجل متورع عن
الفواحش والظلم ولسانه يفري في اعراض الاحياء والاموات
ولا يبالي ما يقول واذا اردت ان تعرف ذلك فانظر الى
ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل والله لا يغفر الله
لفلان فقال الله عز وجل من ذا الذي يتالى علي اني لا اغفر
لفلان قد غفرت له واحبطت عملك فهذا العابد الذي
قد عبد الله ما شاء ان يعبده احبطت هذه الكلمة الواحدة
عمله كله وفي حديث ابي هريرة نحو ذلك ثم قال ابو هريرة تكلم
بكلمة اوبقت دنياه واخرته وفي الصحيحين من حديث ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليتكلم بالكلمة
من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات
وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في

جهنم وعند مسلم ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار
ابعد مما بين المشرق والمغرب وعند الترمذي من حديث بلال
ابن الحارث المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم ان احدكم ليتكلم بالكلمة
من رضوان الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه
الى يوم يلقاه وان احدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن
ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه الى يوم يلقاه فكان
علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث
وفي جامع الترمذي ايضا من حديث انس قال توفي رجل من
الصحابة فقال رجل ابشر بالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اولا تدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه او بخل بما لا ينقصه
قال حديث حسن وفي لفظ ان غلاما استشهد يوم احد
فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب
عن وجهه وقالت هنيئا لك يا بني لك الجنة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره
وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة يرفعه من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وفي لفظ لمسلم من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فاذا شهد امرا فليتكلم بخير او

ليسكت وذكر الترمذي باسناد صحيح عنه صلى الله عليه وسلم من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وعن سفيان بن عبد الله الثقفي
قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسأل عنه
احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت يا رسول الله
ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان نفسه ثم قال هذا
والحديث صحيح وعن ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كلام ابن آدم عليه لا له الا
امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى قال الترمذي حديث
حسن وفي حديث اذا اصبح العبد فان الاعضاء كلها تكفر
اللسان تقول اتق الله فينا فانما نحن بك فان استقمت استقمنا
وان اعوججت اعوججنا وقد كان السلف يحاسب احدهم نفسه
في قوله يوم حار ويوم بارد ولقد رؤي بعض الاكابر من
اهل العلم في النوم فسئل عن حاله فقال انا موقوف على
كلمة قلتها قلت ما احوج الناس الى غيث فقيل لي وما
يدريك انا اعلم بمصلحة عبادي وقال بعض الصحابة لجارية يوما
هاتي السفرة نعبث بها ثم قال استغفر الله ما اتكلم بكلمة
الا وانا اخطمها وازمها الا هذه الكلمة خرجت مني بغير خطام

ولازما لم او قال واشد حركات الجوارح حركة اللسان
وهي اضرها على العبد واختلف السلف والخلف هل يكتب جميع
ما يلفظ به او الخير والشر فقط على قولين اظهرها الاول
وقال بعض السلف كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ما كان
من ذكر الله وما والاه وكان الصديق رضي الله عنه
يمسك بلسانه ويقول هذا اوردني الموارد والكلام اسيرك
فاذا خرج من فمك صرت اسيره والله عند لسان كل قائل
وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وفي اللسان
آفتان عظيمتان ان خلص من احديهما لم يخلص من الاخرى آفة
الكلام وآفة السكوت وقد يكون كل منهما اعظم من الاخرى
في وقتها فالساكت عن الحق شيطان اخرس عاص لله
مراء مداهن اذا لم يخف على نفسه والمتكلم بالباطل شيطان ناطق
عاص لله وان الخلق منحرف في كلامه وسكوته فهم بين
هذين النوعين واهل الوسط وهم اهل الصراط المستقيم
كفوا السنتهم عن الباطل واطلقوها فيما يعود عليهم
نفعه في الاخرة ولا يرى احدهم انه يتكلم بكلمة يذهب عليه ضايعة
بلا منفعة فضلا ان تضره في آخرته وان العبد ليأتي

يوم القيمة بحسنات امثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها
من كثرة ذكر الله وما اتصل به **فصل** واما
الخطوات فحفظها بان لا ينقل قدمه الا فيما يرجو ثوابه فان
لم يكن في خطاه مزيد ثواب فالقعود عنها خير له ويمكنه
ان يستخرج من كل مباح يخطو اليه قربة ينويها لله فتقع خطاه
قربة ولما كانت العثرة عثرتين عثرة الرجل وعثرة اللسان
جاءت احديهما قرينة الاخرى في قوله وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما فوصفهم بالاستقامة في لفظاتهم وخطواتهم كما
جمع بين اللحظات والخطرات في قوله يعلم خائنة الاعين
وما تخفي الصدور **فصل** هذا كله ذكرناه
مقدمة بين يدي تحريم الفواحش ووجوب حفظ الفرج
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس النار
الفم والفرج وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا يحل دم
امرئ مسلم الا باحدى ثلث الثيب الزاني والنفس بالنفس
والتارك لدينه المفارق للجماعة وهذا الحديث في اقتران
الزنا بالكفر وقتل النفس نظير الاية التي في الفرقان ونظير حديث

ابن مسعود وبدا صلى الله عليه وسلم بالاكثر وقوعا والذي يليه
فالزنا اكثر وقوعا من قتل النفس التي وقوعا من الزنا وايضا
فانه انتقال من الاكبر الى ما هو اكبر منه ومفسدة الزنا منافية
لصلاح العالم فان المراة اذا زنت ادخلت العار على اهلها وزوجها
واقاربها ونكست رؤسهم بين الناس وان حملت من الزنا فان
قتلت ولدها جمعت بين القتل والزنا وان حملته الزوج ادخلت
على اهله واهلها اجنبيا ليس منهم فورثهم وليس منهم وراهم وخلا بهم
وانتسب اليهم وليس منهم الى غير ذلك من مفاسد زناها
واما زنا الرجل فانه يوجب اختلاط الانساب ايضا وافساد
المراة المصونة وتعريضها للتلف والفساد وفي هذه الكبيرة خراب
الدنيا والدين وان عمرت القبور في البرزخ والنار في الاخرة
فكم في الزنا من استحلال لحرمات وفوات لحقوق ووقوع
مظالم ومن خاصيته انه يوجب الفقر ويقصر العمر ويكسو
صاحبه سواد الوجه وثوب المقت بين الناس ومن
خاصيته ايضا انه يشتت القلب ويمرضه ان لم يمته
ويجلب الهم والحزن والخوف ويباعد صاحبه من الملك
ويقربه من الشيطان فليس بعد مفسدة القتل اعظم من

مفسدته ولهذا شرع فيه القتل على اشنع الوجوه وافحشها
واصعبها ولو بلغ العبد ان امراته او حرمته قتلت كان اسهل
عليه من ان يبلغه انها زنت وقال سعد بن عبادة لو رايت
رجلا مع امراتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال تعجبون من غيرة سعد والله لانا
اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما
ظهر منها وما بطن متفق عليه وفي الصحيحين ايضا عنه صلى الله
عليه وسلم ان الله يغار وان المؤمن يغار وغيرة الله ان
ياتي العبد ما حرم عليه وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا احد
اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن
ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك ارسل الرسل
مبشرين ومنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله
من اجل ذلك اثنى على نفسه وفي الصحيحين في خطبته صلى الله
عليه وسلم في صلاة الكسوف انه قال يا امة محمد والله انه لا
احد اغير من الله ان يزني عبده او تزني امته يا امة
محمد والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
ثم رفع يديه وقال اللهم هل بلغت وفي ذكر هذه الكبيرة

خصوصها عقيب صلاة الكسوف مستوبدع لمن تامل وظهور
الزنا من امارات خراب العالم وهو من اشراط الساعة كما في
الصحيحين عن انس بن مالك انه قال لاحدثنكم حديثا لا
يحدثكم احد بعدي سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم يقول
من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر
ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النسا حتى يكون لخمسين
امراة القيم الواحد وقد جرت سنة الله سبحانه في خلقه انه
عند ظهور الزنا يغضب سبحانه ويشتد غضبه فلا بد ان
يوثر غضبه في الارض عقوبة قال عبد الله بن مسعود
ما ظهر الربا والزنا في قرية الا اذن الله باهلاكها وراى
بعض احبار بني اسرائيل ابنا له يغامز امراة فقال مهلا
يا بني فصرع الاب عن سريره فانقطع نخاعه واسقطت امراته
وقيل له هكذا غضبك لي لا يكون في جنسك خير ابدا
وخص سبحانه حد الزنا من بين الحدود بثلاث خصايص
احداها القتل فيه اشنع القتلات وحيث خففه جمع
فيه بين العقوبة على البدن بالجلد وعلى القلب بتغريبه
عن وطنه سنة الثاني انه نهى عباده ان تاخذهم بالزناه

رافة في دينه بحيث تمنعهم من اقامة الحد عليهم فانه سبحانه من رحمته
ورافته بهم شرع لهم هذه العقوبة فهو ارحم بكم ولم تمنعه رحمته
من امره بهذه العقوبة فلا تمنعكم انتم ما يقوم بقلوبكم من
الرافة من اقامة امره وهذا وان كان عاما في ساير الحدود
لكن ذكر في حد الزنا خاصة لشدة الحاجة الى ذكره فان
الناس لا يجدون في قلوبهم من الغلظة والقسوة على الزاني
ما يجدونه على السارق والقاذف وشارب الخمر فقلوبهم ترحم
الزاني اكثر مما ترحم غيره من ارباب الجرايم والواقع شاهد
بذلك فنهوا ان تاخذهم هذه الرافة وتحملهم على تعطيل حد الله
وسبب هذه الرحمة ان هذا ذنب يقع من الاشراف والاوساط
والاراذل وفي النفوس اقوى الدواعي اليه والمشارك فيه
كثير واكثر اسبابه العشق والقلوب مجبولة على رحمة العاشق
وكثير من الناس يعد مساعدته طاعة وقربة وان كانت الصورة
المعشوقة محرمة عليه ولا يستنكر هذا الامر فانه مستقر عند ما
شا الله من اشباه الانعام ولقد حكي لنا من ذلك شي كثير
عن ناقصي العقول كالخدام والنسا وايضا فان هذا ذنب
غالب ما يقع مع التراضي من الجانبين ولا يقع فيه من العدوان

والظلم والاعتصاب مما تنفر النفوس منه ومما يستحق فاعله له
فضور ذلك النفس فيقوم بها رحمة تمنع من اقامة الحد وهذا كله
من ضعف الايمان وكمال الايمان ان يقوم بقوة يقيم
بها امر الله ورحمة يرحم بها المحدود فيكون موافقا لربه تعالى في امره
ورحمته الثالث انه سبحانه امر ان يكون حدهما بمشهد من المومنين
ولا يكون في خلوة حيث لا يراهما احد وذلك ابلغ في مصلحة الحد
وحكمة الزجر وحد الزاني المحصن مشتق من عقوبة الله تعالى
لقوم لوط بالقذف بالحجارة وذلك لاشتراك الزنا واللواط
في الفحش وفي كل منهما فساد يناقض حكمة الله في خلقه
وامره فان في اللواط من المفاسد ما يفوت الحصر والتعداد
ولان يقتل المفعول به خير له من ان يوتى فانه يفسد فسادا
لا يرجى له بعده صلاح ابدا ويذهب خيره كله وتمص الارض
ماء الحيا من وجهه فلا يستحيي بعد ذلك من الله ولا من
خلقه وتعمل في قلبه وروحه نطفة الفاعل ما يعمل السم في
البدن وقد اختلف الناس هل يدخل الجنة مفعول به
على قولين سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يحكيهما
والذين قالوا لا يدخل الجنة احتجوا بامور منها ان النبي صلى الله

الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنية فاذا كان هذا حال ولد
الزنا مع انه لا ذنب له في ذلك لكنه مظنة كل شر وخبث وهو
جدير ان لا يجي منه خير ابدا لانه مخلوق من نطفة خبيثة واذا كان
الجسد الذي تربى على الحرام النار اولى به فكيف بالجسد المخلوق
من النطفة الحرام قالوا والمفعول به شر من ولد الزنا واخزى
واخبث واوضع وهو جدير ان لا يوفق لخير وان يحال بينه وبينه
وكلما عمل خيرا قيض له ما يفسده عقوبة له وقل ان ترى من
كان كذلك في صغره الا وهو في كبره شر مما كان ولا يوفق لعلم
نافع ولا لعمل صالح ولا لتوبة نصوح والمحقق في المسالة ان يقال
ان تاب المبتلى بهذا البلاء واناب ورزق توبة نصوحا
وعملا صالحا وكان في كبره خيرا منه في صغره وبدل سيئاته حسنات
وغسل عار ذلك عنه بانواع الطاعات والقربات وغض بصره
وحفظ فرجه عن المحرمات وصدق الله في معاملته فهذا مغفور
له وهو من اهل الجنة فان الله يغفر الذنوب جميعا واذا
كانت التوبة تمحو كل ذنب حتى الشرك بالله وقتل انبيائه
واوليائه والسحر والكفر وغير ذلك فلا تقصر عن محو هذا الذنب
وقد استقرت حكمة الله عدلا وفضلا ان التائب من الذنب

كمن لا ذنب له وقد ضمن الله سبحانه لمن تاب من الشرك وقتل
النفس والزنا انه يبدل سيئاته حسنات وهذا حكم عام لكل
تائب من كل ذنب فقد قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
انه هو الغفور الرحيم ولا يخرج من هذا العموم ذنب احد ولكن
هذا في حق التائبين خاصة واما من قد كان في ذنبه مثل ما كان
في صحته لم يوفق لتوبة تصح ولا لعمل صالح ولا استدراك ما
فات واحيانا اماتت ولا تبدل السيئات بالحسنات فهذا العبد
ان يوفق عند الممات بكلمة يدخل بها الجنة عفوا به لاعماله فان الله
سبحانه يعاقب على السيئة سيئة اخرى ويضاعف عفوه
السيئات بعضها ببعض كما يثيب على الحسنة حسنة اخرى
واذا نظرت الى كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين
حسن الخاتمة عقوبة لهم على اعمالهم السيئة قال
الحافظ ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي رحمه الله
واعلم ان لسوء الخاتمة اعاذنا الله منها اسبابا ولها طرق
وابواب اعظمها الانكباب على الدنيا والاعراض عن الاخرى
والاقدام والجراة على معاصي الله عز وجل وربما غلب على الانسان
ضرب

اذا

ضرب من الخطيئة ونوع من المعصية وجانب من الاعراض
ونصيب من الجراة والاقدام فملك قلبه وسبى عقله واطفا نوره
وارسل عليه حجبه فلم تنفع فيه تذكرة ولا نجعت فيه موعظة فربما
جاءه الموت على ذلك فسمع النداء من مكان بعيد فلم يتبين
المراد ولا علم ما اراد وان ردد عليه الداعي واعاد قال
ويروى ان بعض رجال الناصر نزل به الموت فجعل ابنه
يقول قل لا اله الا الله فقال الناصر مولاي فاعاد عليه
القول فاعاد مثل ذلك ثم اصابته غشية فلما افاق قال
الناصر مولاي وكان هذا دابه كلما قيل له قل لا اله الا
الله قال الناصر مولاي ثم قال لابنه يا فلان الناصر
انما يعرفك بسيفك والقتل القتل ثم مات قال عبد الحق
وقيل لاخر ممن اعرفه قل لا اله الا الله فجعل يقول الدار
الفلانية اصلحوا فيها كذا والبستان الفلاني اعملوا فيه كذا
قال وفيما اذن لي ابو طاهر السلفي ان احدث به عنه
ان رجلا نزل به الموت فقيل له قل لا اله الا الله فجعل
يقول بالفارسية ده يازده تفسيره عشرة باحد عشر
وقيل لاخر قل لا اله الا الله فجعل يقول اين الطريق الى حمام

مغاث فقال وهذا الكلام له قصه وذلك ان رجلا كان
واقفا بازاء داره وكان بابها يشبه باب هذا الحمام
فمرت به جارية لها منظر فقالت اين الطريق الى حمام
منجاب فقال هذا حمام منجاب فدخلت الدار ودخل
وراها فلما رات نفسها في داره وعلمت انه قد خدعها
اظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه وقالت له يصلح
ان يكون معنا ما نطيب به عيشنا وتقر به عيوننا فقال
الساعه اتيك بكلما تريدين وتشتهين وخرج وتركها
في الدار ولم يغلقها فاخذ ما يصلح ورجع فوجدها قد
خرجت وذهبت ولم تخنه في شي فهام الرجل واكثر الذكر
لها وجعل يمشي في الطرق والازقه ويقول

يا رب قايلة يوما وقد تعبت كيف الطريق الى حمام منجاب

فبينما هو يوما يقول ذلك اذا بجارية اجابته من طاق

[illegible] حرزا على الدار او قفلا على الباب

فازداد هيمانه واشتد هيجانه ولم يزل على ذلك حتى كان
هذا البيت اخر كلامه من الدنيا قال ويروى ان رجلا
عشق شخصا فاشتد كلفه به وتمكن حبه من قلبه حتى وقع لما به ولزم

الفراش بسببه ومنع ذلك الشخص عليه واشتد نفاره عنه فلم
تزل الوسايط تمشي بينهما حتى وعده بان يعوده فاخبر بذلك
البايس ففرح واشتد سروره وانجلى غمه وجعل ينتظر للميعاد
الذي ضربه له فبينما هو كذلك اذ جاءه الساعي بينهما فقال
انه وصل معي الى بعض الطريق ورجع فرغبت اليه وكلمته فقال
انه ذكرني وفرح بي ولا ادخل مدخل الريب ولا اعرض نفسي
لمواقع التهم فعاودته فابى وانصرف فلما سمع البايس اسقط
في يده وعاد الى اشد مما كان به وبدت عليه علايم الموت
فجعل يقول في تلك الحال

اسلم يا راحة العليل ويا شفاء المدنف النحيل
رضاك اشهى الى فوادي من رحمة الخالق الجليل

فقلت له يا فلان اتق الله فقال قد كان ما كان فقمت عنه فما جاوزت
باب داره حتى سمعت صيحة الموت فعياذا بالله من سوء العاقبه
وشوم الخاتمه ولقد بكى سفيان الثوري ليلة الى الصباح
فلما اصبح قيل له كل هذا خوفا من الذنوب فاخذ تبنة من
الارض وقال الذنوب اهون من هذا وانما ابكي من خوف
الخاتمه وهذا من اعظم الفقه ان يخاف الرجل ان تخذله

وتكون عند الموت فتحول بينه وبين الخاتمة بالحسنى وقد ذكر
الامام احمد عن ابي الدرداء انه لما احتضر جعل يغمى عليه
ثم يفيق ويقرأ ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به
اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون فمن هذا خاف السلف
من الذنوب ان تكون حجابا بينهم وبين الخاتمة بالحسنى
قال واعلم ان سوء الخاتمة اعاذنا الله منها لا تكون لمن استقام
ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به ولله الحمد وانما تكون
لمن له فساد في العقد او اصرار على الكبائر واقدام على العظائم فربما
غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة فيأخذه قبل
اصلاح الطوية ويصطلم قبل الانابة فيظفر به الشيطان عند
تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله قال ويروى
انه كان بمصر رجل لازم مسجدا للاذان والصلاة وعليه بهاء الطاعة
وانوار العبادة فرقي يوما المنارة على عادته للاذان وكان
تحت المنارة دار لنصراني ذمي فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب
الدار فافتتن بها فترك الاذان ونزل اليها ودخل الدار
عليها فقالت له ما شأنك وما تريد قال اريدك قالت لماذا
قال قد سلبت لبي واخذت بمجامع قلبي قالت لا اجيبك الى ريبة

قال اتزوجك قالت انت مسلم وانا نصرانية وابي لا يزوجني منك
قال لها اتنصر قالت ان فعلت افعل فتنصر الرجل ليتزوجها
واقام معهم في الدار فلما كان في اثناء ذلك اليوم رقي الى سطح
كان في الدار فسقط منه فمات فلم يظفر بها وفاته دينه

فصل ولما كانت مفسدة اللواط من اعظم المفاسد
كانت عقوبته في الدنيا والاخرة من اعظم العقوبات وقد
اختلف الناس هل هو اغلظ عقوبة من الزنا او الزنا اغلظ
عقوبة منه او عقوبتهما سواء على ثلاثة اقوال فذهب ابو بكر
الصديق وعلي بن ابي طالب وخالد بن الوليد وعبد الله بن الزبير
وعبد الله بن عباس وجابر بن زيد وعبد الله بن معمر والزهري
وربيعة بن عبد الرحمن ومالك واسحاق بن راهويه والامام احمد
في اصح الروايتين عنه والشافعي في احد قوليه الى ان عقوبته
اغلظ من عقوبة الزنا وعقوبته القتل على كل حال محصنا كان او
غير محصن وذهب عطاء بن ابي رباح والحسن البصري وسعيد
ابن المسيب وابرهيم النخعي وقتادة والاوزاعي والشافعي في ظاهر
مذهبه والامام احمد في الرواية الثانية عنه وابو يوسف ومحمد
الى ان عقوبته وعقوبة الزاني سواء وذهب الحكم وابو حنيفة

الى ان عقوبته دون عقوبة الزاني وهي التعزير قالوا لانه
معصية من المعاصي لم يقدر الله ولا رسوله فيه حدا مقدرا
فكان فيه التعزير كاكل الميتة والدم ولحم الخنزير قالوا ولانه
وطء في محل لا تشتهيه الطباع بل ركب الله على النفرة منه
حتى الحيوان البهيم فلم يكن فيه حد كوطء الحمار وغيره قالوا ولانه
لا يسمى زانيا لغة ولا شرعا ولا عرفا ولا يدخل في النصوص
الدالة على حد الزاني قالوا وانا رأينا قواعد الشريعة ان
المعصية اذا كان الوازع عنها طبعيا اكتفي بذلك الوازع
من الحد واذا كان في الطباع تقاضيها جعل فيها الحد بحسب
اقتضاء الطباع لها ولهذا جعل الحد في الزنا والسرقة
وشرب الخمر المسكر دون اكل الميتة والدم ولحم الخنزير قالوا
وطرد هذا انه لا حد في وطء البهيمة ولا الميتة وقد جبل
الله سبحانه الطباع على النفرة من وطء الرجل مثله اشد نفرة
كما جبلها على النفرة من استدعاء الرجل من يطاه بخلاف
الزنا فان الداعي فيه من الجانبين قالوا ولان احد النوعين
اذا استمتع بشكله لم يجب عليه الحد كما لو تساحقت المرأتان
استمتعت كل واحدة منهما بالاخرى قال اصحاب القول

الاول وهو جمهور الامة وحكاه غير واحد اجماعا للصحابة
ليس في المعاصي اعظم مفسدة من هذه المفسدة كما سنبينه ان شاء الله
قالوا ولم يبتل الله سبحانه بهذه الكبيرة قبل قوم لوط احدا
من العالمين وعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها امة غيرهم وجمع عليهم
من انواع العقوبات بين الاهلاك وقلب ديارهم
والخسف بهم ورجمهم بالحجارة من السماء فنكل بهم نكالا لم
ينكله بامة سواهم وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد
الارض تميد من جوانبها اذا عملت عليها وتهرب الملائكة الى اقطار
السماوات والارض اذا شاهدوها خشية نزول
العذاب على اهلها فيصيبهم معهم وتعج الارض الى ربها تبارك
وتعالى وتكاد الجبال تزول عن اماكنها وقتل المفعول به
خير له من وطئه فانه اذا وطئه قتله قتلا لا ترجى الحياة معه
بخلاف قتله فانه مظلوم شهيد وربما ينتفع به في اخرته
قالوا والدليل على هذا ان الله سبحانه جعل حد القاتل الى
خيرة الولي ان شاء قتل وان شاء عفا وحتم قتل اللوطي
حدا كما اجمع عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودلت عليه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة الصريحة

التي لا معارض لها بل عليها عمل اصحابه وخلفائه الراشدين وقد
ثبت عن خالد بن الوليد انه وجد في بعض ضواحي العرب رجلا
ينكح كما تنكح المراة فكتب الى ابي بكر الصديق فاستشار ابو بكر
الصحابة رضي الله عنهم فكان علي بن ابي طالب اشدهم قولا
فيه فقال ما فعل هذا الا امة من الامم واحدة وقد علمتم ما
فعل الله بها ارى ان يحرق بالنار فكتب ابو بكر الى خالد
فحرقه وقال عبد الله بن عباس ينظر اعلى بنا في القرية
فيرمى اللوطي منه منكسا ثم يتبع بالحجارة واخذ عبد الله
ابن عباس هذا الحد من عقوبة الله اللوطية قوم لوط
وابن عباس هو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول
به رواه اهل السنن وصححه ابن حبان وغيره واحتج الامام احمد
بهذا الحديث واسناده على شرط البخاري قالوا وثبت عنه
انه قال لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل
عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط ولم يجي عنه
لعنة الزاني في حديث واحد وقد لعن جماعة من اهل
الكبائر فلم يتجاوز بهم في اللعنة مرة واحدة وكرر

لعن اللوطية واكده ثلاث مرات واطبق اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قتله لم يختلف فيه منهم رجلان وانما
اختلفت اقوالهم في صفة قتله فحكاها مسلة نزاع بين
الصحابة وهي مسالة اجماع لا مسلة نزاع قالوا ومن تامل
قوله سبحانه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسا سبيلا
وقوله في اللواط اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد
من العالمين تبين له تفاوت ما بينهما وانه سبحانه نكر الفاحشة
في الزنا اي هو فاحشة من الفواحش وعرفها في اللواط
وذلك يفيد انه جامع لمعاني اسم الفاحشة كما تقول
زيد الرجل ونعم الرجل زيد اي اتاتون الخصلة التي استقر
فحشها عند كل احد فهي لظهور فحشها وكماله غنية عن
ذكرها بحيث لا ينصرف الاسم الى غيرها وهذا نظير قول
فرعون لموسى وفعلت فعلتك التي فعلت اي الفعلة
الشنعا الظاهرة المعلومة لكل احد ثم اكد سبحانه
فحشها بانها لم يعملها احد من العالمين قبلهم فقال ما
سبقكم بها من احد من العالمين ثم زاد في التاكيد بان صرح
بما تشمئز منه القلوب وتنبو عنه الاسماع وتنفر منه

استد النفرة الطباع وهو اتيان الرجل رجلا مثله ينجو كما تنكح
الانثى فقال اتاتون لتاتون الفاحشة ثم نبه على استقباحهم
عن ذلك وان الحامل لهم عليه ليس الا مجرد الشهوة لا
الحاجة التي لاجلها مال الذكر الى الانثى من قضا الوطر
ولذة الاستمتاع وحصول المودة والرحمة التي تسكن المراة
لها الى زوجها وتدبير بعلها وحصول النسل الذي هو حفظ
هذا النوع الذي هو اشرف المخلوقات وتحصين المراة
وقضا وطرها وحصول علاقة المصاهرة التي هي اخت
النسب وقيام الرجال على النسا وخروج احب الخلق
الى الله من جماعهن كالانبيا والاوليا والمومنين ومكاثرة
النبي صلى الله عليه وسلم الانبياء بامته الى غير ذلك من مصالح
النكاح والمفسدة التي في اللواط تقاوم ذلك كله
وتربي عليه بما لا يمكن حصر فساده ولا يعلم تفصيله الا
الله ثم اكد قبح ذلك بان اللوطية عكسوا فطرة الله
التي فطر عليها الرجال وقلبوا الطبيعة التي ركبها الله
في الذكور وهي شهوة النسا دون الذكور فقلبوا
الامر وعكسوا الفطرة والطبيعة فاتوا الرجال شهوة

من دون النسا ولهذا قلب الله عليهم ديارهم فجعل عاليها سافلها
وكذلك قلبوا هم ونكسوا في العذاب على رؤوسهم ثم اكد سبحانه قبح
ذلك بان حكم عليهم بالاسراف وهو مجاوزة الحد فقال بل
بل انتم قوم مسرفون فتامل هل جا مثل ذلك او قريب منه
في الزنا واكد سبحانه ذلك عليهم بقوله ونجيناه من القرية
التي كانت تعمل الخبائث ثم اكد عليهم الذم بوصفين في
غاية القبح فقال انهم كانوا قوم سوء فاسقين وسماهم مفسدين
في قول نبيهم رب انصرني على القوم المفسدين وسماهم ظالمين
في قول الملائكة لابراهيم انا مهلكوا اهل هذه القرية ان
اهلها كانوا ظالمين فتامل من عوقب بمثل هذه العقوبات
ومن ذمه الله بمثل هذه المذمات ولما جادل فيهم خليله
ابراهيم الملائكة وقد اخبروه باهلاكهم قيل له يا ابراهيم
اعرض عن هذا انه قد جا امر ربك وانهم اتيهم عذاب
غير مردود وتامل خبث اللوطية وفرط تمردهم على الله حيث
جاوا نبيهم لوطا لما سمعوا بانه قد طرقه اضياف
هم من احسن البشر صورا فاقبل اللوطية اليه يهرعون
فلما راهم قال يا قوم هولاء بناتي هن اطهر لكم ففدا اضيافه ببناته

بروحهم بين خوفا على نفسه واضيافه من العار والشدة
فقال يا قوم هولا بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون
في ضيفي أليس منكم رجل رشيد فردوا عليه ولم يرد
خيار غيبه لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم
ما نريد فضاقت بنبي الله نفسه فصدره وحرجت من تلك المكروب
عمهه فقال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد فنفس
رسل الله وكشفوا له عن حقيقة الحال واعلموه انهم لن يصلوا
ممن توصل اليهم لا اليه بسببهم ولا يخف منهم لا تعبا بهم وقل
عليك فقالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر
وبشروه بالنجاة من الوعيد له ولقومه من الوعيد المصيب
فقالوا فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد
الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح أليس
الصبح بقريب فاستبطا نبي الله موعد هلاكهم وقال
اريد اعجل من هذا فقالت الملائكة أليس الصبح بقريب
فوالله ما كان بين هلاك اعدا الله ونجاه منه واوليايه
الا ما بين السحر وطلوع الفجر اذا الله بايهم قد اقتلعت بديارهم
من اصولها ورفعت نحو السما حتى سمعت الملائكة نباح

الكلاب ونهيق الحمير فنبذ المرسوم الذي لا يرد من عند
الرب الجليل الى عبده ورسوله جبريل بان تقلبها عليهم
كما اخبر في محكم التنزيل فقال عز من قايل فلما جا امرنا
جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل فجعلهم اية
للعالمين وموعظة للمتقين ونكالا لاخر وسلفا لمن شاد بهم في
اعمالهم من المجرمين فجعل ديارهم بطريق السالكين ان في
ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية
للمؤمنين اخذهم على غرورهم ما يمون في حالهم بما شاهم في سكرتهم
يعمهون فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فقلبت تلك اللذات
الاما فاصبحوا بها يعذبون ٭
٭ مآرب كانت في الحياه لاهلها عذابا فصارت في الممات عذابا ٭
ذهبت اللذات واعقبت الحسرات واورثت الشقوة تمتعوا
قليلا وعذبوا طويلا ورتعوا مرتعا وخيما فاعقبهم عذابا اليما
اسكرتهم خمرة تلك الشهوات فما استفاقوا الا في ديار المعذبين
ارقدتهم تلك الغفلة فما استيقظوا منها الا وهم في منازل
الهالكين فندموا والله اشد الندامه حين لا ينفع الندم
وبكوا على ما اسلفوه وبدل الدموع بالدم فلو رايت الاعلى

الاسفل من هذه الطائفة والنار تخرج من منافذ وجوههم
وابدانهم وهم بين اطباق الجحيم وهم يشربون بدل لذيذ
الشراب كؤوس الحميم ويقال لهم وهم على وجوههم يسحبون
ذوقوا ما كنتم تكسبون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء
عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ولقد قرب الله سبحانه مسافة
العذاب بين هذه الامة وبين اخوانهم في العمل فقال مخوفا
لهم ان يقع الوعيد وما هي من الظالمين ببعيد

فيا ناكحي الذكران تهنيكم البشرى ﴿ فيوم معاد الناس ان لكم اجرا
كلوا واشربوا وازنوا ولوطوا وابشروا ﴿ فان لكم زفا الى الجحيم الحمرا
فاخوانكم قد مهدوا الدار قبلكم ﴿ وقالوا الينا عجلوا لكم البشرى
وها نحن اسلاف لكم في انتظاركم ﴿ سيجمعنا الجبار في ناره الكبرى
ولا تحسبوا ان الذين نكحتم ﴿ يغيبون عنكم بل ترونهم جهرا
ويلعن كل منهم لخليله ﴿ ويشقى به المحزون في الكرة الاخرى
يعذب كل منهما بشريكه ﴿ كما اشتركا في لذة توجب الوزرا

فصل في الاجوبة على احتجاج من جعل عقوبة هذه
الفاحشة دون عقوبة الزنا اما قولهم انها معصية لم يجعل
الله فيها حدا معينا فجوابه من وجوه احدها

ان المبلغ عن الله جعل حده حد الفاعل حتما وما شرعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما شرعه عن الله فان اردتم
ان حدها غير معلوم بالشرع فهو باطل وان اردتم انه غير
ثابت بنص الكتاب لم يلزم من ذلك انتفاء حكمه لثبوته بالسنة
الثاني ان هذا منتقض عليكم بالرجم فانه انما ثبت بالسنة
فان قلتم بل ثبت بقرآن نسخ لفظه وبقي حكمه قلنا منتقض عليكم
بحد شارب الخمر الثالث ان نفي دليل معين لا يستلزم
نفي مطلق الدليل ولا نفي المدلول فكيف وقد قدمنا ان
الدليل الذي نفيتموه غير منتف واما قولكم انه وطء في محل لا
تشتهيه الطباع بل ركب الله الطباع على النفرة منه فهو
كوطء الميتة والبهيمة فجوابه من وجوه احدها انه قياس
فاسد الاعتبار مردود بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واجماع اصحابه كما تقدم بيانه الثاني ان قياس وطء الامرد
الجميل الذي فتنته تربي على كل فتنة على وطء اتان او امرأة
ميتة من افسد القياس وهل عشق احد قط اتانا او امرأة
ميتة او سبى ذلك عقله او اشتغل قلبه او
استولى على فكره ونفسه فليس في القياس افسد من هذا

الثالث ان هذا منصوص بوطء الام البنت والاخت ظن البعض
الطبيعة عنه حاصل مع ان الحد فيه من اغلظ الحدود في
احد القولين وهو القتل بكل حال محصنا كان او غير محصن
وهذا احدى الروايتين عن الامام احمد وهو قول اسحاق
راهويه وجماعة من اهل الحديث وقد روى ابو داود من حديث
البراء بن عازب قال لقيت عمي ومعه الراية فقلت الى اين تريد
قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل نكح امراة ابيه
من بعده ان اضرب عنقه واخذ ماله قال الترمذي هذا حديث
حسن قال الجوزجاني عم البراء اسمه الحارث بن عمرو وروى
ابن ماجه من حديث ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من وقع على ذات محرم فاقتلوه ورفع الى
الحجاج رجل اغتصب اخته على نفسها فقال احبسوه وسلوا
من ههنا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوا عبد
الله بن مطرف فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من تخطى حرم المؤمنين فخطوا وسطه بالسيف وفيه دليل
على القتل بالتوسيط وهذا دليل مستقل في المسالة
وهو ان من لا يباح وطؤها بحال فحد وطئه القتل دليله

من وقع على امه وابنته ولذلك نقال في وطء ذات المحارم وطء
من لا يباح له وطؤه بحال فكان حده القتل كاللوطي والتحقيق
ان يستدل على المسئلتين بالنص والقياس يشهد لصحة كل
منهما وقد اتفق المسلمون على ان من زنا بذات محرم فعليه
الحد وانما اختلفوا في صفة الحد هل هو القتل بكل حال
او حده حد الزاني على قولين فذهب الشافعي ومالك واحمد في
احدى روايتيه ان حده حد الزاني وذهب احمد واسحاق
وجماعة من اهل الحديث الى ان حده القتل بكل حال
ولذلك اتفقوا كلهم على انه لو اصابها باسم النكاح عالما
انه يحد الا ابا حنيفة وحده فانه رأى ذلك شبهة مسقطة
للحد ومنازعوه يقولون اذا اصابها باسم النكاح فقد
زاد الجريمة غلظا وشدة فانه ارتكب محذورين عظيمين
محذور العقد ومحذور الوطء فكيف يخفف عنه العقوبة
بضم محذور العقد الى محذور الزنا واما وطء الميتة
ففيه قولان للفقهاء وهما في مذهب احمد وغيره احدهما
يجب الحد وهو قول الاوزاعي فان فعله اعظم جرما
واكثر ذنبا لانه انضم الى الفاحشة هتك حرمة الميتة

فصل وأما وطء البهيمة فللفقهاء فيه ثلاثة
أقوال أحدها أنه يؤدب ولا حد عليه وهذا قول مالك
وأبي حنيفة والشافعي في أحد قوليه وقول إسحاق والقول
الثاني أن حكمه حكم الزاني يجلد إن كان بكرا ويرجم إن كان
محصنا وهذا قول الحسن والقول الثالث أن حكمه
حكم اللوطي نص عليه أحمد فيخرج على الروايتين في حده
هل هو القتل حتما أو هو كالزاني والذين قالوا حده القتل
احتجوا بما رواه أبو داود من حديث ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه
قالوا ولأنه وطء لا يباح بحال فكان فيه القتل كحد
اللوطي ومن لم ير عليه حدا قالوا لم يصح فيه الحديث ولو صح
لقلنا به ولم يحل لنا مخالفته قال إسماعيل بن سعيد
الشالنجي سألت أحمد عن الذي يأتي البهيمة فوقف عندها
ولم يثبت حديث عمرو بن أبي عمرو في ذلك وقال الطحاوي
الحديث ضعيف وأيضا فراويه ابن عباس وقد أفتى بأنه
لا حد عليه قال أبو داود وهذا يضعف الحديث ولا ريب
أن الزاجر الطبعي عن إتيان البهيمة أقوى من الزاجر الطبعي

عن التلوط وليس الأمران في طباع الناس سواء
فإلحاق أحدهما بالآخر من أفسد القياس كما تقدم
فصل وأما قياسكم وطء الرجل لمثله على
تدالك المرأتين فمن أفسد القياس إذ لا إيلاج هناك
وإنما نظيره مباشرة الرجل الرجل من غير إيلاج على
أنه قد جاء في بعض الآثار المرفوعة إذا أتت المرأة المرأة
فهما زانيتان ولكن لا يجب الحد بذلك لعدم الإيلاج
وإن أطلق عليهما اسم الزنا العام كزنا العين واليد والرجل
والفم وإذا ثبت هذا فأجمع المسلمون على أن حكم التلوط
مع المملوك كحكمه مع غيره ومن ظن أن تلوط الإنسان
بمملوكه جائز واحتج على ذلك بقوله تعالى إلا على أزواجهم
أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين وقاس ذلك على أمته
المملوكة فهو كافر يستتاب كما يستتاب المرتد فإن
تاب وإلا ضربت عنقه وتلوط الإنسان بمملوكه كتلوطه بمملوك
غيره في الإثم والحكم فصل فإن قيل فمع
ذلك كله فهل من دواء لهذا الداء العضال ورقية لهذا السحر
القتال وما الاحتيال لدفع هذا الخبال وهل من طريق

واصلا الى التوفيق وهل يمكن السكران بخمر الهوى ان يفيق
وهل يملك العاشق قلبه والعشق قد وصل الى سويدائه
وهل للطبيب بعد ذلك حيلة في برئه من سوء دائه ان
لامه لائم التذ بملامه ذكرا للمحبوب وان عذله عاذل اغراه
عذله وسار به في طريق مطلوبه ينادي عليه شاهد حاله
بلسان قاله

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم
واهنتني فاهنت نفسي جاهدا ... ما من يهون عليك ممن يكرم
اشبهت اعدائي فصرت احبهم ... اذ كان حظي منك حظي منهم
اجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمني اللوم

ولعل هذا هو المقصود بالسؤال الاول الذي وقع عليه
الاستفتاء والداء الذي طلب له الدواء **فصل** نعم
الجواب من رأس ما انزل الله سبحانه داء الا انزل له دواء (العلم)
علمه من علمه وجهله من جهله والكلام في دواء هذا الداء من
طريقين احدهما حسم مادته قبل حصولها والثاني قلعها
بعد نزولها وكلاهما يسير على من يسره الله عليه ومتعذر
على من لم يعنه فان ازمة الامور بيديه فاما الطريق

المانع

المانع من حصول هذا الداء فامران احدهما غض البصر كما تقدم
فان النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ومن اطلق لحظاته
دامت حسراته وفي غض البصر عدة منافع وهو بعض اجزاء
هذا الدواء النافع احدها انه امتثال لامر الله الذي هو
غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده فليس للعبد في
دنياه واخرته انفع من امتثال اوامر ربه وما شقي من شقي
في الدنيا والاخرة الا بتضييع اوامره الثانية انه يمنع
من وصول اثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه الى
قلبه الثالثة انه يورث القلب انسا بالله وجمعية على الله
فان اطلاق البصر يفرق القلب ويشتته ويبعده من الله
وليس على العبد شيء اضر من اطلاق البصر فانه يوقع الوحشة
بين العبد وبين ربه الرابعة انه يقوي القلب ويفرحه
كما ان اطلاق البصر يضعفه ويحزنه الخامسة انه
يكسب القلب نورا كما ان اطلاقه يلبسه ظلمة ولهذا ذكر الله
سبحانه اية النور عقيب الامر بغض البصر فقال قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ثم قال اثر ذلك الله
نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح

اي مثل نوره في قلب عبده المؤمن الذي امتثل اوامره واجتنب نواهيه
واذا استنار القلب اقبلت وفود الخيرات اليه من كل ناحية
كما انه اذا اظلم اقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان
فما شئت من بدع وضلالة واتباع هوى واجتناب هدى
واعراض عن اسباب السعادة واشتغال باسباب الشقاوة
فان ذلك انما يكشفه له النور الذي في القلب فاذا فقد
ذلك النور بقي صاحبه كالاعمى الذي يجوس في حنادس
الظلمات السادسة انه يورثه فراسة صادقة يميز بها
بين المحق والمبطل والصادق والكاذب وكان شجاع
الكرماني يقول من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه
بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات
واغتذى بالحلال لم تخط فراسته وكان شجاع هذا لا يخطي
له فراسة والله سبحانه يجزي العبد على عمله بما هو من جنس
عمله ومن ترك لله شيئا عوضه الله خيرا منه فاذا غض
بصره عن محارم الله عوضه الله بان يطلق نور بصيرته
عوضا عن حبسه بصره لله ويفتح عليه باب العلم والايمان
والمعرفة والفراسة الصادقة المصيبة التي انما تنال ببصيرة

القلب وضد هذا ما وصف الله به اللوطية من العمه الذي
هو ضد البصيرة فقال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
فوصفهم بالسكرة التي هي فساد العقل والعمه الذي هو
فساد البصيرة فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل
وعمه البصيرة وسكر القلب كما قال القائل
سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى افاقة من به سكران
وقال الاخر
قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق اعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وانما يصرع المجنون في الحين
السابعة انه يورث القلب ثباتا وشجاعة وقوة فيجمع الله
له بين سلطان البصيرة والحجة وسلطان القدرة والقوة كما في
الاثر الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله وضد هذا
تجد في المتبع هواه من ذل النفس وضعفها ومهانتها وخستها
وحقارتها ما جعله الله سبحانه فيمن عصاه كما قال الحسن
انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين ان ذل
المعصية في رقابهم ابى الله الا ان يذل من عصاه وقد جعل
الله سبحانه العز قرين طاعته والذل قرين معصيته فقال تعالى

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم
الاعلون ان كنتم مؤمنين والايمان قول وعمل ظاهر وباطن
وقال تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اي من كان
يريد العزة فليطلبها بطاعة الله وذلك من الكلم الطيب
والعمل الصالح وفي دعاء القنوت انه لا يذل من واليت
ولا يعز من عاديت ومن اطاع الله فقد والاه فيما
اطاعه فيه وله من العز بحسب طاعته ومن عصاه فقد
عاداه فيما عصاه فيه وله من الذل بحسب معصيته
الثامنة انه يسد على الشيطان مدخله الى القلب فانه يدخل
مع النظرة وينفذ معها الى القلب اسرع من نفوذ الهواء
في المكان الخالي فيمثل له صورة المنظور اليه ويزينها
ويجعلها صنما يعكف عليه القلب ثم يعده ويمنيه ويوقد على
القلب نار الشهوة ويلقي عليه حطب المعاصي التي لم يكن
يتوصل اليها الا بدون تلك الصورة فيصير القلب في اللهيب
فمن ذلك تلك الانفاس التي يجد فيها وهج النار وتلك
الزفرات والحرقات فان القلب قد احاطت به النيران

من كل جانب فهو في وسطها كالشاة في وسط التنور ولهذا
كانت عقوبة اصحاب الشهوات للصور المحرمة ان جعل لهم في
البرزخ تنور من نار واودعت ارواحهم فيه الى يوم حشر اجسادهم
كما اراه الله تعالى لنبيه في المنام في الحديث المتفق على صحته
التاسعة انه يفرغ القلب للفكر في مصالحه والاشتغال
والاطلاق البصر يشتته عن ذلك ويحول بينه وبينها فينفرط
عليه امره ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربه قال تعالى
ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره
فرطا واطلاق النظر يوجب هذه الامور الثلاثة بحسبه
العاشرة ان بين العين والقلب منفذا وطريقا يوجب
انفعال احدهما عن الآخر وان يصلح بصلاحه ويفسد بفساده
فاذا فسد القلب فسد النظر واذا فسد النظر فسد
القلب وكذلك في جانب الصلاح فاذا خربت العين
وفسدت خرب القلب وفسد وصار كالمزبلة التي هي
محل النجاسات والقاذورات والاوساخ فلا تصلح لسكنى
معرفة الله ومحبته والانابة اليه والانس به والسرور
بقربه فيه وانما يسكن فيه اضداد ذلك فهذه اشارة الى

فصل

بعض هواه غض البصر لتطلع على ما وراءها
الثاني اشتغال القلب بما يصده عن ذلك ويحول بينه وبين
الوقوع فيه وهو اما خوف مقلق او حب مزعج فمتى خلا
القلب من خوف ما فواته اضر عليه من حصول هذا المحبوب
او محبة ما هو انفع له وخير له من هذا المحبوب وفواته اضر عليه
من فوات هذا المحبوب لم يجد بدًا من عشق الصور
وشرح هذا ان النفس لا تترك محبوبا الا لمحبوب
اعلى منه او خشية مكروه حصوله اضر عليه من فوات
هذا المحبوب وهذا يحتاج صاحبه الى امرين ان فقدهما
او احدهما لم ينتفع بنفسه احدهما بصيرة صحيحة يفرق فيها
بين درجات المحبوب والمكروه فيؤثر اعلى المحبوبين على ادناهما
ويحتمل ادنى المكروهين ليتخلص من اعلاهما وهذا خاصة
العقل ولا يعد عاقلا من كان بضد ذلك بل قد تكون
البهائم احسن حالا منه الثاني قوة عزم وصبر يتمكن بهما
من هذا الفعل والترك فكثيرا ما يعرف الرجل قدر التفاوت
ولكن يأبى له ضعف نفسه وهمته وعزيمته على ايثار الانفع من
خسته وحرصه ووضاعة نفسه وخسة همته ومثل هذا لا
ينتفع بنفسه ولا ينتفع به غيره وقد منع الله سبحانه امامة الدين
الا من اهل الصبر واليقين فقال تعالى وبقوله يهتدي المهتدون
وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا
يوقنون وهذا الذي ينتفع بعلمه وينتفع الناس به وضده لا
ينتفع بعلمه ولا ينتفع به غيره فالاول يمشي في نوره ويمشي الناس
في نوره والثاني قد طفئ نوره فهو يمشي في الظلمات ومن تبعه يمشي
في ظلمته والثالث يمشي في نوره وحده

فصل

اذا عرفت هذه المقدمة فلا يمكن ان يجتمع في القلب حب المحبوب
الاعلى وعشق الصور ابدًا بل هما ضدان لا يتلاقيان
بل لا بد ان يخرج احدهما صاحبه فمن كانت قوة حبه كلها
للمحبوب الاعلى الذي محبة ما سواه باطلة وعذاب على صاحبها
صرفه ذلك عن محبة ما سواه وان احبه لم يحبه الا لاجله
او لكونه وسيلة له الى محبته او قاطعًا له عما يضاد محبته وينقصها
والمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب وان لا يشرك بينه
وبين غيره في محبته واذا كان المحبوب من الخلق يأنف ويغار
ان يشرك محبه غيره في محبته ويمقته لذلك ويبعده ولا
يحظيه بقربه ويعده كاذبا في دعوى محبته مع انه ليس اهلا

فوق المحبة فكيف بالحبيب الأعلى الذي لا انتهى ع

لحرف المحبة الا له وحده وكل محبة لغيره فهي عذاب على صاحبها ووبال
ولهذا لا يغفر الله سبحانه أن يشرك به في هذه المحبة ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فمحبة الصور تفوت محبة ما هو انفع للعبد منها
بل تفوت محبة ما ليس له صلاح ولا نعيم ولا حياة نافعة الا
بمحبته وحده فليختر احد المحبتين فانهما لا يجتمعان في القلب
ولا يرتفعان منه بل من اعرض عن محبة الله وذكره والشوق
الى لقائه ابتلاه بمحبة غيره فيعذبه بها في الدنيا وفي البرزخ
وفي الآخرة فاما ان يعذبه بمحبة الاوثان او بمحبة الصلبان
او بمحبة النيران او بمحبة المردان او بمحبة النسوان او بمحبة
الاثمان او بمحبة العشران او بمحبة الخلان او بمحبة ما هو
دون ذلك مما هو في غاية الحقارة والهوان فالانسان عبد
محبوبه كائنا ما كان كما قيل

انت القتيل بكل من احببته ... فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

فمن لم يكن الهه مالكه ومولاه كان الهه هواه قال تعالى
افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون

فصل وخاصية التعبد الحب مع الخضوع والذل

للمحبوب قل فمن احب شيئا وخضع له فقد تعبد قلبه له بل التعبد
آخر مراتب الحب ويقال له التتيم ايضا فان اول مراتبه العلاقة
وسميت علاقة لتعلق المحب بالمحبوب

وعلقت ليلى وهي ذات تمائم ... ولم يبد للاتراب من ثديها حجم

وقال الآخر اعلاقة ام الوليد بعدما ... افنان راسك كالثغام المخلس

ثم بعدها الصبابة وسميت بذلك لانصباب القلب الى المحبوب

قال تشكى المحبون الصبابة ليتني ... تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لنفسي لذة الحب كلها ... فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

ثم الغرام وهو لزوم الحب للقلب لزوما لا ينفك عنه ومنه
سمي الغريم غريما لملازمته صاحبه ومنه قوله تعالى ان
عذابها كان غراما وقد اولع المتأخرون باستعمال هذا اللفظ
في الحب وقل ان تجده في اشعار العرب ثم العشق وهو افراط
المحبة ولهذا لا يوصف به الرب تعالى ولا يطلق في حقه ثم
الشوق وهو سفر القلب الى المحبوب احث السفر وقد
جاء اطلاقه في حق الرب تعالى كما في مسند الامام احمد
من حديث عمار بن ياسر انه صلى صلاة فاوجز فيها فقيل
له في ذلك فقال اما اني دعوت فيها بدعوات كان النبي

صلى الله عليه وسلم يدعو بها اللهم إني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك
على الخلق أحيني إذا كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة
خيرا لي اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك
كلمة الحق في الغضب والرضا وأسألك القصد في الفقر والغنى
وأسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع وأسألك برد
العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك وأسألك
الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا
بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين وفي أثر آخر طال
شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقائهم أشد شوقا وهذا
هو المعنى الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله من أحب
لقاء الله أحب الله لقاءه وقال بعض أهل المعارف في قوله
تعالى من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت لما علم
سبحانه شدة شوق أوليائه إلى لقائه وأن قلوبهم لا تهدأ
دون لقائه ضرب لهم أجلا موعدا للقاء تسكن نفوسهم به
وأطيب العيش واللذة على الإطلاق عيش المحبين المشتاقين
المستأنسين فحياتهم هي الحياة الطيبة في الحقيقة ولا حياة
للعبد أطيب ولا أنعم ولا أهنأ منها وهي الحياة الطيبة المذكورة

في قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة
طيبة ليس المراد منها الحياة المشتركة بين المؤمنين والكفار والأبرار
والفجار من طيب المأكل والملبس والمشرب والمنكح بل ربما زاد
أعداء الله على أوليائه في ذلك أضعافا مضاعفة وقد ضمن الله سبحانه
لكل من عمل صالحا أن يحييه حياة طيبة فهو صادق الوعد
الذي لا يخلف وعده وأي حياة أطيب من حياة من اجتمعت همومه
كلها وصارت هما واحدا في مرضاة الله ولم يتشعب قلبه بل أقبل
على الله واجتمعت إرادته وأفكاره التي كانت منقسمة بكل واد
منها شعبة على الله فصار ذكره بمحبوبه الأعلى وحبه والشوق إلى
لقائه والأنس بقربه هو المستولي عليه وعليه تدور همومه
وإرادته وقصوده بل خطرات قلبه فإن سكت سكت بالله
وإن نطق نطق بالله وإن سمع فبه يسمع وإن أبصر فبه يبصر وبه
يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن وبه يحيى وبه يموت
وبه يبعث كما في صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم فيما
يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال ما تقرب إلي عبدي
بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي
بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به

ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها
فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولان سالني لاعطينه
ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شي انا فاعله ترددي
عن قبض نفس عبدي المومن يكره الموت واكره مساءته ولا
بد له منه فتضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرام
على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه المراد به حصر
اسباب محبته في امرين اداء الفرايض والتقرب اليه بالنوافل
ان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله
فاذا صار محبوبا لله اوجبت محبة الله له محبة اخرى منه
لله فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكر
والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه روحه لم يبق فيه سعة
لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه والاعلى مالكا
لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلا المحبوب على محبه
الصادق في محبته التي قد اجتمعت قوى حبه كلها له
ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر به
وان بطش بطش به وان مشى مشى به فهو في قلبه ومعه
وانيسه وصاحبه فالباء ها هنا باء المصاحبة وهي مصاحبة

لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسلة حالية
لا علمية محضة اذا كان المخلوق يجد هذا في محبة المخلوق
التي لم يخلق لها ولم يفطر عليها كما قال بعض المحبين
خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فاين تغيب
وقال الاخر ومن عجب اني احن اليهم واسال عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي
وهذا الطف من قول الاخر
ان قلت غبت فقلبي لا يصدقني اذ انت فيه مكان السر لم تغب
او قلت ما غبت قال الطرف ذا كذب فقد تحيرت بين الصدق
فليس شي ادنى الى المحب من محبوبه وربما تمكنت منه المحبة
حتى يصير ادنى اليه من نفسه بحيث ينسى نفسه ولا ينساه كما قال
اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل
وقال اخر يراد من القلب نسيانكم وتابى الطباع على الناقل
وخص في الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر فان هذه
الالات الات الادراك والات الفعل والسمع والبصر يوردان
على القلب الارادة والكراهة ويجلبان اليه الحب والبغض فيستعمل
اليد والرجل فاذا كان سمع العبد بالله وبصره بالله كان محفوظا

في الآلات إدراكه وكان محفوظاً في حبه بعضه محفوظ في بطشه
ومشيه وتأمل كيف انفرد السمع والبصر واليد والرجل
عن اللسان فإنه إذا كان إدراك السمع الذي يحصل باختياره
ما يقع ونعم فاته ولذلك البصر قد يقع بغير الاختيار وكذا
ولذلك حركة اليد والرجل التي لا بد للعبد منها فكيف بحركة
اللسان التي لا تقع إلا بقصد واختيار وقد يستغني العبد
عنها إلا … إنها أيضاً انفعال اللسان عن القلب أتم
من انفعال سائر الجوارح فإنه ترجمانه ورسوله وتأمل
كيف حقق تعالى كون العبد به عند سمعه وبصره وبطشه ومشيه
بقوله كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده
التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها تحقيقاً لكونه مع عبده
وكونه عبده في إدراكاته بسمعه وبصره وحركاته بيده ورجله
وتأمل كيف قال بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وربما نطق
الظان أن اللام أولى بهذا الموضع إذ هي أدل على الغاية
ووقوع هذه الأمور لله وذلك أخص من وقوعها به وهذا
من الوهم والغلط إذ ليست الباء هاهنا لمجرد الاستعانة
فإن حركات الأبرار والفجار وإدراكاتهم إنما هي بمعونة

الله لهم وإنما الباء هاهنا للمصاحبة أي إنما يسمع ويبصر ويبطش
ويمشي وأنا صاحبه ومعه كقوله في الحديث الآخر أنا مع
عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وهذه المعية هي المعية
المذكورة الخاصة في قوله لا تحزن إن الله معنا وقول
النبي صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقوله تعالى
وإن الله لمع المحسنين وقوله إن الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون وقوله واصبروا إن الله مع الصابرين وقوله
كلا إن معي ربي سيهدين وقوله تعالى لموسى وهارون
إنني معكما أسمع وأرى فتضمنت الباء المعية لمعنى هذه المعية
دون اللام ولا يتأتى للعبد الإخلاص والصبر والتوكل
ونزوله في منازل العبودية إلا بهذه الباء وهذه المعية
فمتى كان العبد بالله هانت عليه المشاق وانقلبت المخاوف
في حقه أماناً فبالله يهون كل صعب ويسهل كل عسير
ويقرب كل بعيد وبالله تزول الهموم والغموم والأحزان
فلا هم مع الله ولا غم ولا حزن إلا حيث يفوت العبد معنى
هذه الباء فيصير قلبه حينئذ كالحوت إذا فارق الماء
يثب ويتقلب حتى يعود إليه لما حصلت هذه الموافقة

من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه
ومطالبه فقال ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني
لأعيذنه أي كما وافقني في مرادي بامتثال أوامري
والتقرب إلى محابي فأنا أوافقه في رغبته ورهبته فيما
يسألني أن أفعله به ويستعيذني أن يناله وقوي أمر هذه
الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في
إماتة عبده لأنه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكرهه
عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي أن لا يميته
ولكن مصلحته في إماتته فإنه ما أماته إلا ليحييه ولا أمرضه
إلا ليصحه ولا أفقره إلا ليغنيه ولا منعه إلا ليعطيه
ولم يخرجه من الجنة في صلب أبيه إلا ليعيده إليها على أحسن
أحواله ولم يقل لأبيه اخرج منها إلا وهو يريد أن يعيده
إليها فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه بل لو كان في
كل منبت شعرة من العبد محبة تامة لله لكان بعض ما يستحقه
على عبده ٥ نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

فصل ثم التتيم هو آخر مراتب الحب وهو تعبد

المحب لمحبوبه يقال تيمه الحب إذا عبده ومنه تيم الله أي عبد
الله وحقيقة التعبد الذل والخضوع للمحبوب ومنه قولهم
طريق معبد أي مذلل قد ذللته الأقدام والعبد هو
الذي ذلله الحب والخضوع لمحبوبه ولهذا كانت أشرف
أحوال العبد ومقاماته في العبودية فلا منزل له أشرف
منها وقد ذكر الله سبحانه أكرم الخلق عليه وأحبهم إليه وهو
رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية في أشرف مقاماته
وهي مقام الدعوة إليه ومقام التحدي بالنبوة ومقام الإسراء
فقال تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه
لبدا وقال وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا
بسورة من مثله وقال سبحان الذي أسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وفي حديث الشفاعة
اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
فنال مقام الشفاعة بكمال عبوديته وكمال مغفرة الله
له فإنه سبحانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له
التي هي أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع والذل
وهذا هو حقيقة الإسلام وملة إبراهيم التي من رغب

عنها فقد سفه نفسه قال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من
سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة
لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين
ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين
فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد
الهك واله اباءك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا
ونحن له مسلمون ولهذا كان اعظم الذنوب عند الله الشرك
والله لا يغفر ان يشرك به واصل الشرك بالله الاشراك
في المحبة قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله
من اصحاب الانداد لاندادهم وقيل المعنى انهم اشد
حبا لله من اصحاب الانداد لله فانهم وان احبوا الله
لكن لما شركوا بينه وبين اندادهم في المحبة ضعفت محبتهم
لله والموحدون لله لما خلصت محبتهم له كانت اشد
محبة واولئك عدلوا برب العالمين والتسوية بين
الانداد هي في هذه المحبة كما تقدم ولما كان من اداه

من خلقه فهو في خلوص هذه المحبة له انكر على من اتخذ من دونه
وليا او شفيعا غاية الانكار وجمع ذلك تارة وافرد احدهما
عن الاخر بالانكار تارة فقال تعالى الله الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه
من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون وقال وانذر به الذين يخافون
ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون
وقال في الزمر ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو
كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون وقال من ورائهم جهنم
ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء
ولهم عذاب عظيم فاذا والى العبد ربه وحده اقام له الشفعاء
وعقد الموالاة بينه وبين عباده المؤمنين فصاروا اولياءه
في الله بخلاف من اتخذ مخلوقا وليا من دون الله فهذا لون
وذاك لون كما ان الشفاعة الشركية الباطلة لون والشفاعة
الحق الثابتة التي انما تنال بالتوحيد لون وهذا موضع فرقان
بين اهل التوحيد واهل الاشراك والله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم والمقصود ان حقيقة العبودية لا تحصل مع الاشراك
بالله في المحبة بخلاف المحبة لله فانها من لوازم العبودية وموجباتها شركا

فان محبة الرسول بل تقديمه في الحب على الانفس والاباء والابناء
لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله وكذلك كل حب في الله
ولله كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث من كن
فيه وجد حلاوة الايمان وفي لفظ في الصحيح لا يجد احد حلاوة
الايمان الا من كان فيه ثلاث خصال ان يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره
ان يرجع في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار
وفي الحديث الذي في السنن من احب لله وابغض لله واعطى
لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وفي حديث اخر ما تحاب
رجلان في الله الا كان افضلهما اشدهما حبا لصاحبه فان
هذه المحبة من لوازم محبة الله وموجباتها وكلما كانت اقوى
كان اصلها كذلك

فصل

وههنا اربعة انواع من المحبة يجب التفريق بينها وانما ضل من ضل بعدم
التمييز بينها احدها محبة الله ولا يكفي وحدها في النجاة
من عذاب الله والفوز بثوابه فان المشركين وعباد الصليب
واليهود وغيرهم يحبون الله الثاني محبة ما يحب الله وهذه
هي التي تدخله في الاسلام وتخرجه من الكفر واحب الناس

الى الله

الى الله اقومهم بهذه المحبة واشدهم فيها الثالث الحب
لله وفيه وهي من لوازم محبة ما يحب ولا تستقيم محبة ما يحب الا بالحب
فيه وله الرابع المحبة مع الله وهي المحبة الشركية وكل من احب
شيئا مع الله لا لله ولا من اجله ولا فيه فقد اتخذه ندا من دون
الله وهذه محبة المشركين وبقي قسم خامس ليس مما نحن
فيه وهو المحبة الطبيعية وهي ميل الانسان الى ما يلائم طبعه
كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام ومحبة النوم والزوجة
والولد فتلك لا تذم الا اذا الهت عن ذكر الله وشغلت
عن محبته كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا
اولادكم عن ذكر الله وقال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله

فصل

ثم الخلة وهي تتضمن كمال
المحبة ونهايتها بحيث لا يبقى في قلب المحب سعة لغير محبوبه وهي منصب
لا يقبل المشاركة بوجه ما وهذا المنصب خاص للخليلين
صلوات الله وسلامه عليهما ابراهيم ومحمد كما قال صلى الله عليه وسلم
ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفي الصحيح عنه انه
قال لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا
ولكن صاحبكم خليل الله وفي حديث اخر اني ابرأ الى كل خليل من

خلقه ولما سال ابرهيم الولد واعطيه تعلق حبه بقلبه فاخذ منه
شعبه غار الحبيب على خليله ان يكون في قلبه موضع لغيره
فامره بذبحه وكان الامر في المنام ليكون تنفيذ المامور
به اعظم ابتلا وامتحانا ولم يكن المقصود ذبح الولد لكن
المقصود ذبحه من قلبه ليخلص القلب للرب فلما بادر الخليل
الى الامتثال وقدم محبة الله على محبته له حصل المقصود
فرفع الذبح وفدي بذبح عظيم فان الرب تعالى لما امر بشي
ثم ابطله بالنسخ فلابد ان يبقى بعضه او بدله كما ابقى سنة
الفدا وكما ابقى الخمس صلوات بعد رفع الخمسين وابقى ثوابها وقال
لا يبدل القول لدي هي خمس وهي خمسون في الاجر

فصل

واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من الخلة وان
ابرهيم خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة
والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة وقد اخبر النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل
غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم
وايضا فان الله سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب
المقسطين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين وخلته

اي يسعى الصفرة بين
الماء ووجوه

وخلته خاصة بالخليلين والشاب التايب حبيب الله وانما
هذا من قلة العلم والفهم عن الله ورسوله

فصل

قد تقدم ان العبد لا يترك ما يحبه ويهواه الا لما يحبه
ويهواه لكن يترك اضعفهما محبة لاقواهما محبة كما انه يفعل
ما يكرهه لحصول ما محبته اقوى عنده من كراهة ما يفعله
وتقدم ان خاصة العقل ايثار اعلى المحبوبين على ادناهما
واسر المكروهين على اقواهما وتقدم ان هذا كمال قوة
الحب والبغض ولا يتم له هذا الا بامرين قوة الادراك
وشجاعة القلب فان التخلف عن ذلك والعمل بخلافه يكون
اما لضعف الادراك بحيث انه لم يدرك مراتب المحبوب
والمكروه على ما هي عليه واما لضعف في النفس وعجز في القلب
لا يطاوعه لايثار الاصلح له مع علمه بانه الاصلح فاذا صح
ادراكه وقويت نفسه وتشجع قلبه على ايثار المحبوب
الاعلى والمكروه الادنى فقد وفق لاسباب السعادة
فمن الناس من يكون سلطان شهوته اقوى من سلطان
عقله وايمانه فيقهر الغالب الضعيف ومنهم من يكون سلطان
ايمانه وعقله اقوى من سلطان شهوته واذا كان كثير من المرضى

حمية الطبيب عما يضره فإنه يكره عليه بنفسه وشهوته إلى تناوله
وتقدم شهوته على عقله وتسميه الأطباء عادم المروة فهكذا
التي مرض القلوب يؤثر ويريد ما يريد مما يضره لقوة شهوته له
فأصل الشر من ضعف الإدراك ونوع النفس وشرفها
وشجاعتها فإنما لحب الإرادة أصل كل فعل ومبدأه والبغض
الكراهة أصل كل ترك ومبدأه وهاتان القوتان في
القلب أصل سعادة القلب وشقاوته ووجود الفعل
الاختياري لا يكون إلا بوجود سببه من الحب والإرادة
وأما عدم الفعل فتارة يكون لعدم مقتضيه وسببه
وتارة يكون لوجود البغض والكراهة المانع منه وهذا
متعلق الأمر والنهي وهو الذي يسمى الكف وهو متعلق الثواب
والعقاب وبهذا يزول الاشتباه في مسألة الترك هل
هو أمر وجودي أو عدمي والتحقيق أنه قسمان فالترك
المضاف إلى عدم السبب المقتضي عدمي والمضاف إلى
السبب المانع من الفعل وجودي

فصل

وكل واحد من الفعل والترك الاختياري إنما يؤثره
الحي لما فيه من حصول المنفعة التي لابد يحصلها أو

زوال الألم الذي يحصل له الشقاء بزواله ولهذا يقال شفى صدره
وشفى قلبه قال

هي الشفاء لدائي لو ظفرت بها وليس منها شفاء الداء مبذول

وهذا المطلوب يؤثره العاقل بل الحيوان البهيم ولكن يغلط
فيه أكثر الناس غلطًا قبيحًا فيقصد حصول اللذة بما يعقب
عليه أعظم الآلام فيؤلم نفسه من حيث يظن أنه يحصل لذتها ويشفي
قلبه بما يعقب عليه غاية المرض وهذا شأن من نظر
إلى العاجل ولم يلاحظ العواقب وخاصة العقل النظر في
العواقب فأعقل الناس من آثر لذته وراحته الآجلة
الدائمة على العاجلة المنقضية الزائلة وأسفه الخلق من
باع نعيم الأبد وطيب الحياة الدائمة واللذة العظمى التي لا
تنغيص فيها ولا نقص بوجه ما بلذة منقضية مشوبة
بالآلام والمخاوف وهي سريعة الزوال وشيكة الانقضاء
قال بعض العلماء فكرت فيما يسعى فيه العقلاء
فرأيت سعيهم كله في مطلوب واحد وإن اختلفت طرقهم
في تحصيله رأيتهم جميعهم إنما يسعون في دفع الهم والغم عن
نفوسهم فهذا بالأكل والشرب وهذا بالتجارة والكسب

وهذا اما لنكاح وهذا استماع الغنا والاصوات المطربة وهذا
ما للهو واللعب فعلته هذا المطلوب مطلوب العقلا ولكن الطرق
كلها غير موصلة اليه بل لعل اكثرها انما توصل الى ضده لم يبق
في جميع هذه الطرق طريقا موصلا الا الاقبال على الله ومعاملته
وحده وايثار مرضاته على كل شي فان سالك هذه الطريق ان
فاته حظه من الدنيا فقد ظفر بالحظ العالي الذي لا فوت معه
وان حصل للعبد حصل له كل شي وان فاته فاته كل شي وان
ظفر بحظه من الدنيا ناله على اهنا الوجوه فليس للعبد انفع
من هذه الطريق ولا اوصل منها الى لذته وبهجته وسعادته
وبالله التوفيق

فصل

والمحبوب قسمان
محبوب لنفسه ومحبوب لغيره والمحبوب لغيره لا بد ان ينتهي الى
المحبوب لنفسه دفعا للتسلسل المحال وكل ما سوى المحبوب
الحق فهو محبوب لغيره وليس شي يحب لنفسه الا الله وحده
وكل ما سواه مما يحب فانما محبته تبع لمحبة الرب تعالى كمحبة
ملائكته وانبيائه واوليائه فانها تبع لمحبته سبحانه
وهي من لوازم محبته فان محبة المحبوب توجب محبة
ما يحبه وهذا موضع يجب الاعتناء به فانه محل

الفرقان بين المحبة النافعة لغيره والتي لا تنفع بل قد تضره
فاعلم انه لا يحب لذاته الا من كماله من لوازم ذاته والاهيته
وربوبيته وغناه من لوازم ذاته وما سواه فانما يبغض
ويكره لمنافاته محابه ومضادته لها وبغضه وكراهته
بحسب قوة هذه المنافاة وضعفها فما كان اشد منافاة
لمحابه كان اشد كراهة من الاعيان والاوصاف
والافعال والارادات وغيرها فهذا ميزان عادل
يوزن به موافقة الرب ومخالفته وموالاته ومعاداته
فاذا رأينا شخصا يحب ما يكرهه الرب تعالى ويكره ما يحبه
علمنا ان فيه من معاداته بحسب ذلك واذا رأينا
الشخص يحب ما يحبه الرب ويكره ما يكرهه وكلما كان الشي
احب الى الرب كان احب اليه وآثر عنده وكلما كان
ابغض الى الرب كان ابغض اليه وابعد منه علمنا ان
فيه من موالاة الرب سبحانه بحسب ذلك فتمسك بهذا
بهذا الاصل غاية التمسك في نفسك وفي غيرك فالولاية
عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه
ليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تمزق ولا رياضة المحبوب

لغيره فيستلزمان أيضاً أحدهما ما يلتذ المحب بإدراكه وحصوله والثاني
ما يتألم به ولكن يحتمله لإفضائه إلى محبوبه كشرب الدواء
الكريه قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى
أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً
وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فأخبر سبحانه أن القتال
مكروه لهم مع أنه خير لهم لإفضائه إلى أعظم محبوب وأنفعه
والنفوس تحب الراحة والدعة والرفاهية وذلك شر لها
لإفضائه إلى فوات هذا المحبوب فالعاقل لا ينظر
إلى لذة المحبوب العاجل فيؤثرها وألم المكروه العاجل
فيرغب عنه فإن ذلك قد يكون شراً له بل قد يجلب عليه
غاية الألم ويفوته أعظم اللذة بل عقلاء الدنيا يتحملون
المشاق المكروهة لما يعقبهم من اللذة بعدها وإن
كانت منقطعة فالأمور أربعة مكروه يوصل إلى
مكروه ومكروه يوصل إلى محبوب ومحبوب يوصل
إلى محبوب ومكروه يوصل إلى محبوب فالمحبوب
الموصل إلى المحبوب قد اجتمع فيه داعي الفعل من
وجهين والمكروه الموصل إلى المكروه قد اجتمع فيه داعي

الترك من وجهين وفي القسمان الآخران تتجاذبهما الداعيان
وهما معترك الابتلاء والامتحان فالنفس تؤثر أقربهما جوارا
منها وهو العاجل والعاقل والإيمان يؤثر أنفعهما وأبقاهما والقلب
والقلب بين الداعيين وهو إلى هذا مرة وإلى هذا مرة وههنا
محل الابتلاء شرعاً وقدراً فداعي العقل والإيمان ينادي
كل وقت حي على الفلاح عند الصباح يحمد القوم السرى
وفي الممات يحمد العبد التقى فإن اشتد ظلام ليل المحبة
وتحكم سلطان الشهوة والإرادة يقول يا نفس صبراً
فما هي إلا ساعة ثم تنقضي ويذهب هذا كله ويزول

فصل إذا كان الحب أصل كل عمل من حق
وباطل فأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله كما
أن أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله
وكل إرادة تمنع كمال الحب لله ورسوله وتزاحم هذه المحبة
أو شبهة تمنع كمال التصديق فهي معارضة لأصل الإيمان
أو مضعفة له فإن قويت حتى عارضت أصل الحب والتصديق
كانت كفراً أو شركاً أكبر وإن لم تعارضه قدحت في كماله
وأثرت فيه ضعفاً وفتوراً في العزيمة والطلب وهي تحجب

الواصل وتقطع الطالب وتنكسر الراغب ولا تصح الموالاة الا
بالمعاداة كما قال تعالى عن امام الحنفاء المحبين انه قال
لقومه أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين فلم تصح لخليل الله هذه الموالاة
والخلة الا بتحقيق هذه المعاداة فانه لا ولاء الا بالبراء ولا ولاء
لله الا بالبراء من كل معبود سواه قال تعالى قد كانت لكم
اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء
منكم ومما تعبدون من دون الله وقال تعالى واذ قال ابرهيم
لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني
فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون
اي جعل هذه الموالاة والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية
في عقبه يتوارثها الانبيا واتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة
لا اله الا الله وهي التي ورثها امام الحنفاء لاتباعه الى
يوم القيمة وهي الكلمة التي قامت بها الارض والسماوات وفطر
الله عليها جميع المخلوقات وعليها اسست الملة ونصبت
القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي محض حق الله على العباد
وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار

والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار وهي المنشور الذي لا
يدخل احد الجنة الا به والحبل الذي لا يصل الى الله من
لم يتعلق بسببه وهي كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام
وبها انقسم الناس الى شقي وسعيد ومقبول وطريد
وبها انفصلت دار الكفر من دار الايمان وتميزت دار النعيم
من دار الشقاء والهوان وهي العمود الحامل للفرض والسنة
ومن كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وروح
هذه الكلمة وسرها افراد الرب جل ثناؤه وتقدست اسماؤه
وتبارك اسمه وتعالى جده ولا اله غيره بالمحبة والاجلال والتعظيم
والخوف والرجا وتوابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة والرهبة
فلا يحب سواه وكلما يحب غيره فانما يحب تبعا لمحبته وكونه وسيلة
الى زيادة محبته ولا يخاف سواه ولا يرجى سواه ولا يتوكل الا
عليه ولا يرغب الا اليه ولا يرهب الا منه
ولا يحلف الا باسمه ولا ينذر الا له ولا يتاب الا اليه
ولا يطاع الا امره ولا يحتسب الا به ولا يستغاث في الشدائد
الا به ولا يلتجا الا اليه ولا يسجد الا له ولا يذبح الا له وباسمه
ويجتمع ذلك كله في حرف واحد وهو ان لا يعبد الا اياه بجميع انواع

الصادقة فهذا هو حقيقة ان لا اله الا الله حقيقة الاسلام
ومحال ان يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها
كما قال تعالى والذين هم بشهاداتهم قائمون فيكون قائما بشهادته
في ظاهره وباطنه في قلبه وقالبه فان من الناس من تكون شهادته ميتة
ومنهم من تكون نائمة اذا نبهت انتبهت ومنهم من تكون مضطجعة
ومنهم من تكون الى القيام اقرب وهي في القلب بمنزلة الروح في
البدن فروح ميتة وروح مريضة الى الموت اقرب وروح
الى الحياة اقرب وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن وفي الحديث الصحيح
عنه صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت
الا وجدت روحه لها روحا فحياة الروح بحياة هذه الكلمة فيها
كما ان حياة البدن بوجود الروح فيه وكما ان من مات على
هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها فمن عاش على تحقيقها والقيام
بها فروحه تتقلب في جنة المأوى وعيشه اطيب عيش
قال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي المأوى فالجنة مأواه يوم اللقاء وجنة المعرفة
والمحبة والانس بالله والشوق الى لقائه والفرح والرضا به
وعنه مأوى روحه في هذه الدار فمن كانت هذه الجنة

مأواه يوم المعاد ومن حرم هذه الجنة فهو لتلك اشد
حرمانا فالابرار في النعيم وان اشتد بهم العيش وضاقت
عليهم الدنيا والفجار في جحيم وان اتسعت عليهم الدنيا قال تعالى
من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة
وطيب الحياة جنة الدنيا وقال تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا فاي نعيم اطيب من شرح الصدر واي عذاب اشد
من ضيق الصدر وقال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في
الحياة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز
العظيم فالمؤمن المخلص لله من اطيب الناس عيشا وانعمهم بالا
واشرحهم صدرا واسرهم قلبا وهذه جنة عاجلة قبل الجنة
الاجلة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا
قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومن هذا قوله
وقد سألوه عن وصاله في الصوم اني لست كهيئتكم اني اظل
عند ربي يطعمني ويسقيني فاخبر صلى الله عليه وسلم انما يحصل له

من الغذاء عنده به يقوم مقام الطعام والشراب الحسي وانما
يحصل له من ذلك امر يخصه لا يشركه فيه غيره فاذا امسك عن
الطعام والشراب فله عنه عوض يقوم مقامه وينوب منابه ويغني عنه
كما قيل لها احاديث من ذكراك يشغلها عن الشراب ويلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به ومن حديثك في اعقابها حادي
اذا اشتكت من كلال السير اوعدها روح اللقا فتحيا عند ميعاد

فصل كلما كان وجود الشيء انفع للعبد وهو اليه
احوج كان تألمه بفقده اشد وكلما كان عدمه انفع له كان تألمه
بوجوده اشد ولا شيء على الاطلاق انفع للعبد من اقباله على الله
واشتغاله بذكره وتنعمه بحبه وايثاره لمرضاته بل لا حياة له ولا
نعيم ولا سرور ولا بهجة الا بذلك فعدمه آلم شيء له واشده عذابا
عليه وانما تغيب الروح عن شهود هذا الالم والعذاب اشتغالها
بغيره واستغراقها في ذلك الغير فتغيب به عن شهود ما هي فيه
من الم الفوت بفراق احب شيء اليها وانفعه لها وهذا بمنزلة
السكران المستغرق في سكره الذي احترقت داره وامواله
واهله واولاده وهو لاستغراقه في السكر لا يشعر بالم
الفوت وحسرته حتى اذا صحا وكشف عنه غطاء السكر وانتبه

من رقدته الجهم فهو اعلم بحاله حينئذ وهكذا الحال سوا عند
كشف الغطا ومعاينة طلائع الآخرة والاشراف على مفارقة
الدنيا والانتقال منها الى الله بل الالم والحسرة والعذاب هناك
اشد باضعاف مضاعفة فان المصاب في الدنيا يرجو جبر
مصيبته بالاعوض عنه لا بد منه لا نسبة بينه وبين التي
حسبنا فلو قضى الله سبحانه بالموت من هذه الحسرة والالم لكان
العبد جديرا به ان الموت ليعود اعظم امنيته واكبر امانيه
هذا لو كان الالم على مجرد الفوات فكيف وهناك من العذاب
على الروح والبدن بامور اخرى وجودية ما لا يقدر قدره فتبارك
من حمل هذا الخلق الضعيف هذين الالمين العظيمين اللذين لا
تحملهما الجبال الرواسي فاعرض الآن على نفسك اعظم محبوب
لك في الدنيا بحيث لا تطيب لك الحياة الا معه فاصبحت وقد اخذ
منك وحيل بينك وبينه احوج ما كنت اليه كيف يكون حالك
هذا ومنه كل عوض فكيف بمن لا عوض عنه
من كل شيء اذا ضيعته عوض وما من الله ان ضيعته عوض
وفي الاثر الالهي ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك
فلا تتعب ابن آدم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان

ننبك فانك هل شيء وانا احب اليك من كل شيء

فصل

لما كانت المحبة جنسا تحته انواع متفاوتة في القدر والوصف كان اغلب ما يذكر في حق الله تعالى ما يختص به ويليق به من انواعها ولا يصلح الا له وحده مثل العبادة والانابة ونحوها فان العبادة لا تصلح الا له وحده وكذلك الانابة وقد ذكر المحبة باسمها المطلق لقوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله واعظم انواع المحبة المذمومة المحبة مع الله التي يسوي المحب فيها بين محبة الله ومحبته للند الذي اتخذه من دونه واعظم انواعها المحمودة محبة الله وحده وهذه المحبة هي اصل السعادة وراسها التي لا ينجو من العذاب الا بها والمحبة المذمومة الشركية هي اصل الشقاوة وراسها التي لا يبقى في العذاب الا اهلها فاهل المحبة الذين احبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له لا يدخلون النار ومن دخلها منهم بذنوبه فانه لا يبقى فيها منهم احد ومدار القرآن على الامر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن المحبة الاخرى ولوازمها وضرب الامثال والمقاييس للنوعين وذكر قصص النوعين وتفصيل اعمال النوعين

واوليائهم ومعبودهم كلها واخباره عن فعله بالنوعين وعن حال النوعين في الدور الثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار فالقرآن في شان النوعين واصل دعوة جميع الرسل من اولهم الى اخرهم انما هو عبادة الله وحده لا شريك له المتضمنة لكمال حبه وكمال الخضوع والذل له والاجلال والتعظيم ولوازم ذلك من الطاعة والتقوى وقد ثبت في الصحيحين من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وفي صحيح البخاري ان عمر بن الخطاب قال يا رسول الله والله لانت احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال لا يا عمر حتى اكون احب اليك من نفسك فقال والذي بعثك بالحق لانت احب الي من نفسي فقال الان يا عمر واذا كان هذا شان محبة عبده ورسوله ووجوب تقديمها على محبة نفس الانسان وولده ووالده والناس اجمعين فما الظن بمحبة مرسله سبحانه ووجوب تقديمها على محبة ما سواه ومحبة الرب تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها وافرادها فان الواجب له من ذلك ان يكون احب الى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره

ونفسه التي بين جنبيه فيكون الله الحق محبوبه احب اليه من ذلك
كله والشيء قد يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء
يحب لذاته من كل وجه الا الله وحده لا تصلح الالوهية الا له
ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والتأله هو المحبة والطاعة
والخضوع فصل وكل حركة في العالم العلوي
والسفلي فاصلها المحبة فهي علتها الفاعلية والغائية وذلك لان
الحركات ثلاثة انواع حركة اختيارية ارادية وحركة طبيعية
وحركة قسرية الحركة الطبيعية اصلها السكون انما يتحرك
الجسم اذا خرج عن مستقره ومركزه الطبيعي فهو يتحرك للعود
اليه وخروجه عن مركزه ومستقره انما هو بتحريك القاسر المحرك
له فله حركة قسرية بتحريكه وقاسرة وحركة طبيعية بذاته لطلب
العود الى مركزه وكلا الحركتين تابعة للقاسر المحرك فهو اصل
الحركتين والحركة الاختيارية الارادية هي اصل الحركتين وهي
تابعة للارادة والمحبة فصارت الحركات الثلاث تابعة للمحبة
والارادة الدليل على انحصار الحركات في هذه الثلاث ان
المتحرك ان كان له شعور بالحركة فهي الارادية وان لم يكن له
شعور بها فاما ان يكون على وفق طبعه او لا فالاول هي الطبيعية

والثانية القسرية اذا ثبت هذا فما في السموات والارض وما بينهما
من حركات الافلاك والشمس والقمر والنجوم والجبال والرياح
والسحاب والمطر والنبات وحركات الاجنة في بطون امهاتها فانما
هي بواسطة الملائكة المدبرات امرا والمقسمات امرا كما دل على
ذلك نصوص القرآن والسنة في غير موضع والايمان بذلك من تمام
الايمان بالملائكة فان الله وكل بالرحم ملائكة وبالقطر ملائكة
وبالنبات ملائكة وبالرياح ملائكة وبالافلاك والشمس والقمر والنجوم
ووكل بكل عبد اربعة من الملائكة كاتبين على يمينه وشماله
وحافظين من بين يديه ومن خلفه ووكل ملائكة بقبض روحه
وتجهيزها الى مستقرها من الجنة والنار وملائكة بمسائلته
وامتحانه في قبره وعذابه هناك او نعيمه وملائكة تسوقه الى
المحشر اذا قام من قبره وملائكة تعذبه في النار او تنعمه
في الجنة ووكل بالجبال ملائكة وبالسحاب ملائكة تسوقه
حيث امرت به وبالقطر ملائكة تنزله بامر الله بقدر معلوم كما
شاء الله ووكل ملائكة بغرس الجنة وعمل آنيتها وفرشها وثيابها
والقيام عليها وملائكة بما لا ندرك ذلك واعظم جند الله الملائكة
ولفظ الملك يشعر بانه رسول منفذ لامر غيره فليس لهم من الامر شيء

بل الامر كله لله وهم مدبرون الامر ويقسمونه بامر الله واذنه قال
تعالى اخبارا عنهم وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا
وما خلفنا وما بين ذلك وما الاية وقال تعالى وكم من ملك
الاية واقسم سبحانه بطوائف الملائكة المنفذين لامره في الخليقة
كما قال والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات
ذكرا وقال والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات
نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا وقال تعالى
والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا
فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا وقد ذكرنا معنى ذلك
وسر الاقسام به في كتاب ايمان القران واذا عرف ذلك
فجميع تلك الحركات والارادات والافعال
هي عبادة منهم لرب الارض والسماوات وجميع الحركات الطبيعية
والقسرية تابعة لها فلولا الحب ما دارت الافلاك ولا
تحركت الكواكب النيرات ولا هبت الرياح المسخرات ولا
مرت السحاب الحاملات ولا تحركت الاجنة في بطون الامهات
ولا انصدع عن الحب انواع النبات ولا اضطربت امواج
البحار الزاخرات ولا تحركت المدبرات والمقسمات ولا

سبحت

سبحت فاطرها الارضون والسماوات وما فيهن من انواع المخلوقات
فسبحان من تسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن الا ه

فصل

اذا عرف ذلك فكل حي له ارادة ومحبة وعمل
بحسبه وكل متحرك فاصل حركته المحبة والارادة ولا صلاح للموجودات
الا بان تكون حركاتها ومحبتها لفاطرها وبارئها وحده فلا وجود
لها الا بعبادته وحده ولهذا قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
ولم يقل سبحانه لما وجدتا ولا تاتتا معدومتين ولا قال لعدمتا
اذ هو سبحانه قادر على ان يبقيهما على وجه الفساد لكن لا يمكن
ان يكونا على وجه الصلاح والاستقامة الا بان يكون الله
وحده هو معبودهما ومعبود ما حوتاه وسكن فيهما فلو كان
للعالم الهان لفسد نظامه غاية الفساد فان كل
اله كان يطلب مغالبة الاخر والعلو عليه وتفرده دونه بالالهية
اذ الشركة نقص ينافي كمال الالهية والاله لا يرضى لنفسه
ان يكون الها ناقصا فان قهر احدهما الاخر كان هو
الاله وحده المقهور ليس باله وان لم يقهر احدهما الاخر
لزم عجز كل منهما ونقصه ولم يكن تام الالهية فيجب ان يكون
فوقهما اله قاهر لهما حاكم عليهما والا ذهب كل منهما بما خلق

وطلب كل منهما العلو على الآخر، وفي ذلك فساد أمر السماوات
والأرض ومن فيهما كما هو المعهود من فساد البلد إذا كان
فيه ملكان متكافئان، وفساد الزوجة إذا كان لها بعلان،
والشول إذا كان فيه فحلان، وأصل فساد العالم إنما هو
من اختلاف الملوك والخلفاء، ولهذا لم يطمع أعداء الإسلام فيه
في زمن من الأزمنة إلا في زمن تعدد ملوك المسلمين واختلافهم
وانفراد كل منهم ببلاد وطلب بعضهم العلو على بعض، فصلاح
السماوات والأرض واستقامتها وانتظام أمر المخلوقات على
أتم الوجوه نظام من أظهر الأدلة على أنه لا إله إلا الله وحده
لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأن كل معبود
من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل إلا وجهه الأعلى، وقال تعالى
ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله الآية، وقال أم اتخذوا
آلهة من الأرض هم ينشرون، وقال تعالى قل لو كان معه آلهة
كما يقولون الآية، قيل المعنى لابتغوا السبيل إليه بالمغالبة
والقهر كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض، ويدل عليه قوله
في الآية الأخرى ولعلا بعضهم على بعض، قال شيخنا
والصحيح أن المعنى لابتغوا إليه سبيلا بالتقرب إليه وطاعته

فكيف تعبدونهم من دونه، وهم لو كانوا آلهة كما تقولون
لكانوا عبيدا له، قال ويدل على هذا وجوه: منها قوله أولئك
الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه، أي هؤلاء الذين تعبدونهم من دوني هم عبادي كما أنتم عبادي
يرجون رحمتي ويخافون عذابي، فلماذا تعبدونهم من دوني.
الثاني أنه سبحانه لم يقل لابتغوا عليه سبيلا بل قال لابتغوا إليه
سبيلا، وهذا اللفظ إنما يستعمل في التقرب كقوله اتقوا
الله وابتغوا إليه الوسيلة، وأما في المغالبة فإنما يستعمل
بعلى كقوله فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا. الثالث أنهم
لم يقولوا إن آلهتهم تغالبه وتطلب العلو عليه، وهو سبحانه قد
قال قل لو كان معه آلهة كما تقولون، وهم إنما كانوا يقولون
إن آلهتهم تبتغي التقرب إليه وتقربهم زلفى إليه، فقال لو كان
الأمر كما تقولون لكانت تلك الآلهة عبيدا له، فلماذا تعبدون
عبيده من دونه.

فصل

والمحبة لها آثار وتوابع
ولوازم وأحكام سواء كانت محمودة أو مذمومة نافعة أو ضارة
من الوجد والذوق والحلاوة والشوق والأنس والاتصال بالمحبوب
والقرب منه والانفصال عنه والبعد منه والصد والهجران

والفرح والسرور والبكاء والحزن وغير ذلك من احكامها ولوازمها
والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها ما ينفعه في دنياه
وآخرته وهذه المحبة هي عنوان سعادته والضارة هي التي تجلب
لصاحبها ما يضره في دنياه وآخرته وهي عنوان شقاوته
ومعلوم ان الحي العاقل لا يختار محبة ما يضره ويشقيه وانما
يصدر ذلك عن جهل وظلم فان النفس قد تهوى ما يضرها
ولا ينفعها وذلك ظلم من الانسان لنفسه اما ان يكون جاهلا
بحال محبوبها بان تهوى الشيء وتحبه غير عالمة بما في محبته من
المضرة وهذا حال من اتبع هواه بغير علم او عالمة بما في محبته من
المضرة ولكن يؤثر هواها على علمها وقد تتركب محبتها من امرين
اعتقاد فاسد وهوى مذموم وهذا حال من اتبع الظن
وما تهوى الانفس فلا تقع المحبة الفاسدة الا من جهل او
اعتقاد فاسد او هوى غالب او ما تركب من ذلك او اعان بعضه
بعضا فتتفق شبهة يشتبه بها الحق بالباطل ويزين له
امر المحبوب وشهوة تدعوه الى حصوله فيتساعد جيش
الشبهة والشهوة على جيش العقل والايمان والغلبة لاقواهما
واذا عرف هذا فتوابع كل نوع من انواع المحبة له حكم متبوعه

فالمحبة النافعة المحمودة التي هي عنوان سعادة العبد توابعها كلها
نافعة له حكمها حكم متبوعها فان بكى نفعه وان حزن نفعه وان
فرح نفعه وان انقبض نفعه وان انبسط نفعه فهو يتقلب في
منازل المحبة واحكامها في مزيد وربح وقوة والمحبة الضارة المذمومة
توابعها واثارها كلها ضارة لصاحبها مبعدة له من ربه كيف ما
تقلب في اثارها ونزل في منازلها فهو في خسران وبعد وهذا
شأن كل فعل تولد عن طاعة ومعصية فكلما تولد عن الطاعة
فهو زيادة لصاحبه وقربة وكلما تولد عن المعصية فهو خسران
لصاحبه وبعد قال تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب
الآيتين فاخبر سبحانه في الآية الاولى ان المتولد عن طاعتهم
وافعالهم يكتب لهم به عمل صالح واخبر في الثانية ان اعمالهم الصالحة
التي باشروها يكتب لهم انفسها والفرق بينهما ان الاول ليس من
فعلهم وانما تولد عنه فكتب لهم به عمل صالح فليتأمل نبيل المحبة
هذا الفصل حق التأمل ليعلم ما له وما عليه فسيعلم يوم العرض
اي بضاعة اضاع وعند الوزن ما كان تحمله

فصل 2

وكما ان المحبة والارادة اصل كل فعل كما تقدم فهي اصل كل دين سواء كان
حقا او باطلا فان الدين هو الاعمال الباطنة والظاهرة والمحبة

من ج

الارادة اصل ذلك خلق الدين هو الطاعة والعبادة والخلق هو الطاعة
اللازمة الدائمة التي صارت خلقا وعادة ولهذا فسر الخلق
بالدين في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال الامام احمد
عن ابن عيينة قال ابن عباس لعلى دين عظيم وسئلت عائشة
عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران
والدين فيه معنى الاذلال والقهر وفيه معنى الذل والخضوع والطاعة
فلذلك يكون من الاعلى الى الاسفل كما يقال دنته فدان
اي قهرته فذل قال الشاعر

هو دان الرباب اذ كرهوا الدين فاضحوا بعزة وصيال

ويكون من الادنى للاعلى كما يقال دنت الله ودنت لله
وفلان لا يدين الله دينا ولا يدين لله بدين فدان لله اي اطاع
الله واحبه وخافه ودان لله اي خشع له وخضع وذل وانقاد
والدين الباطن لابد فيه من الحب والخضوع كالعبادة سواء
بخلاف الدين الظاهر فانه لا يستلزم الحب وان كان فيه انقياد
وذل في الظاهر وسمى الله يوم القيامة يوم الدين فانه اليوم الذي
يدين فيه الناس باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر وذلك
يتضمن جزاءهم وحسابهم فلذلك فسروه بيوم الجزاء ويوم الحساب.

وقال تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها اي هلا تردون
الروح الى مكانها ان كنتم صادقين غير مربوبين ولا مقهورين ولا مجزيين
وهذا لانه تعالى احتاج الى نفسه وانه مستحق للاحتجاج عليهم في
انكارهم البعث والحساب لابد ان يكون للدليل مستلزما
لمدلوله بحيث ينتقل الذهن منه الى المدلول لما بينهما من
التلازم فكل ملزوم دليل على لازمه ولا يجب العكس ووجه
الاستدلال انهم اذا انكروا البعث والجزاء فقد كفروا بربهم
وانكروا قدرته وربوبيته وحكمته فاما ان يقروا بان لهم ربا
قاهرا لهم متصرفا فيهم كما يشاء يميتهم اذا شاء ويحييهم اذا شاء
ويأمرهم وينهاهم ويثيب محسنهم ويعاقب مسيئهم واما ان لا
يقروا برب هذا شانه فان اقروا به لزمهم الايمان بالبعث والنشور
والدين الامري والجزائي وان انكروه وكفروا به فقد زعموا انهم
غير مربوبين ولا محكوم عليهم ولا لهم رب يتصرف فيهم كما اراد
فهلا يقدرون على دفع الموت عنهم اذا جاءهم وعلى رد الروح
الى مستقرها اذا بلغت الحلقوم وهذا خطاب
للحاضرين عند المحتضر وهم يعاينون موته اي فهلا تردون
روحه الى مكانها ان كان لكم قدرة وتصرف ولستم مربوبين ولا

مقهورون لقاهر قادر مضى عليهم احكامه ونفذ فيهم اوامره وهذا
غاية التعجيز لهم اذ شهد بعجزهم عن رد نفس واحدة من مكان
الى مكان فلو اجتمع على ذلك الثقلان فيا لها من آية دالة
على ربوبيته ووحدانيته وتصرفه في عباده ونفوذ احكامه فيهم
وجريانها عليهم الذي دينان دين شرعي امري ودين خلقي
جزائي وكلاهما لله وحده فالدين كله لله امرا وجزاء والمحبة
اصل كل واحد من الدينين فما شرعه سبحانه وامر به فانه يحبه
ويرضاه وما نهى عنه فانه يكرهه ويبغضه لمنافاته لما يحبه
ويرضاه فهو يحب ضده فعاد دينه الامري كله الى محبته
ورضاه ودين العبد لله انما يقبل اذا كان عن محبة
ورضا كما قال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي
بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا فهذا الدين قام بالمحبة
وبسببها شرعه الله ولاجلها شرع وعليها اسس وكذلك
دينه الجزائي فانه يتضمن مجازاة المحسن باحسانه والمسيء
باساءته وكل من الامرين محبوب للرب فانهما عدله وفضله
وكلاهما من صفات كماله وهو سبحانه يحب اسماءه وصفاته ويحب
من يحبهما وكل واحد من الدينين فهو صراط المستقيم الذي

هو عليه سبحانه فهو على صراط مستقيم في امره ونهيه وثوابه وعقابه
كما قال تعالى اخبارا عن نبيه هود انه قال لقومه اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء الى قوله ان ربي على صراط مستقيم فلما علم نبي
الله ان ربه على صراط مستقيم في خلقه وامره وثوابه وعقابه
وقضائه وقدره ومنعه وعطائه وعافيته وبلائه وتوفيقه
وخذلانه لا يخرج في ذلك عن موجب كماله المقدس الذي
تقتضيه اسماؤه وصفاته من العدل والحكمة والرحمة والاحسان
والفضل ووضع الثواب في موضعه والعقوبة في موضعها
اللائق بها ووضع التوفيق والخذلان والعطاء والمنع
والهداية والاضلال كل ذلك في اماكنه ومحاله اللائقة
بحيث يستحق على ذلك كمال الحمد والثناء اوجب له ذلك العلم
والعرفان اذ نادى على رؤوس الملا من قومه بجنان ثابت
وقلب خائف بل متجرد لله اني اشهد الله واشهدوا
اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا
تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ثم اخبر عن عموم
قدرته وقهره لكل ما سواه وذل كل شيء لعظمته فقال
وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها فكيف اخاف من ناصيته

بيد غيره وهو في قبضته وتحت قهره وسلطانه دونه وهل هذا الا
من اجهل الجهل واقبح الظلم ثم اخبر انه سبحانه على صراط مستقيم في كل ما يقضيه
ويقدره فلا يخاف العبد جوره ولا ظلمه فلا اخاف ما دونه فان
ناصيته بيده ولا اخاف جوره ولا ظلمه فانه على صراط مستقيم فهو سبحانه
ماض في عبده حكمه عدل فيه قضاؤه له الملك وله الحمد لا يخرج
تصرفه في عباده عن العدل والفضل ان اعطى واكرم وهدى
ووفق فبفضله ورحمته وان منع واهان واضل وخذل واشقى فبعدله
وحكمته وهو على صراط مستقيم في هذا وهذا وفي الحديث الصحيح ما
اصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك
ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك
اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك
او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك
ان تجعل القران ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب
همي وغمي الا اذهب الله همه وغمه وابدله مكانه فرجا
وهذا يتناول حكم الرب الكوني الامري وقضاه الذي
يكون باختيار العبد وغير اختياره وكلا الحكمين ماض في
عبده وكلا القضائين عدل فيه فهذا الحديث مشتق من هذه

الاية منها اقرب نسب **فصل** ونختم الجواب
بفصل متعلق بعشق الصور وما فيه من المفاسد العاجلة والآجلة
وان كانت اضعاف ما يذكره ذاكر فانه يفسد القلب بالذات
واذا فسد فسدت الارادات والاقوال والاعمال وفسد
ثغر التوحيد كما تقدم وكما سنقرره ايضا ان شاء الله والله
سبحانه انما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس وهما
اللوطية والنساء فاخبر عن عشق امراة العزيز ليوسف وما
راودته وكادته به واخبر عن الحال التي صار اليها يوسف
بصبره وعفته وتقواه مع ان الذي ابتلي به امر لا يصبر عليه الا
من صبره الله فان موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال
المانع وكان الداعي ههنا في غاية القوة وذلك لوجوه احدها
ما ركبه الله سبحانه في طبع الرجل من ميله الى المراة كما يميل
العطشان الى الماء والجائع الى الطعام حتى ان كثيرا من
الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء
وهذا لا يذم اذا صادف حلالا بل يحمد كما في كتاب
الزهد للامام احمد من حديث يوسف بن عطية الصفار
عن ثابت عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي

من دنيا من النساء والطيب اصبر عن الطعام والشراب ولا
اصبر عنهن الثاني ان يوسف كان شابا وشهوة الشباب
وحدته اقوى الثالث انه كان عزبا ليس له زوجة ولا سرية
تكسر سورة الشهوة الرابع انه كان في بلاد غربة يتأتى
للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأتى له في وطنه بين اهله
ومعارفه الخامس ان المرأة كانت ذات منصب وجمال
بحيث ان كل واحد من هذين الامرين يدعو الى مواقعتها
السادس انها غير ممتنعة ولا ابية فان كثيرا من الناس
يزيل رغبته في المرأة اباها وامتناعها لما يجد في نفسه من ذل
الخضوع والسؤال لها وكثير من الناس يزيده الاباء
والامتناع ارادة وحبا كما قال الشاعر
وزادني كلفا في الحب ان منعت احب شيء الى الانسان ما منعا
فطباع الناس مختلفة في ذلك فمنهم من يتضاعف حبه عند بذل
المرأة ورغبتها ويضمحل عند ابائها وامتناعها واخبرني بعض
القضاة ان ارادته وشهوته تضمحل عند امتناع امرأته
او سريته واباها بحيث لا يعاودها ومنهم من يتضاعف
حبه وارادته بالمنع فيشتد شوقه كلما منع ويحصل له من اللذة

نظيره

بالظفر ما لا يحصل من اللذة بالظفر بالحبيب بعد امتناعه ونفاره
اللذة بادراك المسألة بعد استصعابها وشدة الحرص على ادراكها
السابع انها طلبته وارادته وراودته وبذلت الجهد فكفته
مؤنة الطلب وذل الرغبة اليها بل كانت هي الراغبة الذليلة
وهو العزيز المرغوب اليه الثامن انه في دارها وتحت
سلطانها وقهرها بحيث يخشى ان لم يطاوعها من اذاها له
فاجتمع داعي الرغبة والرهبة التاسع انه لا يخشى ان تنم
عليه هي ولا احد من جهتها فانها هي الطالبة الراغبة وقد غلقت
الابواب وغيبت الرقباء العاشر انه كان في الظاهر مملوكا
لها في الدار بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكر عليه وكان
الانس سابقا على الطلب وهو من اقوى الدواعي كما قيل لامرأة
شريفة من اشراف العرب ما حملك على الزنا قالت قرب
الوساد وطول السواد تعني قرب وساد الرجل من
وسادي وطول السواد بيننا الحادي عشر انها استعانت
عليه بائمة المكر والاحتيال فأرته اياهن وشكت حالها اليهن
لتستعين بهن عليه فاستعان هو بالله عليهن فقال والا
تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين

الثاني عشر توعدها له بالسجن والصغار وهذا نوع إكراه
إذ هو تهديد ممن يغلب على الظن وقوع ما هدد به فيجتمع داعي
الشهوة وداعي السلامة من ضيق السجن والصغار الثالث
عشر أن الزوج لم يظهر منه من الغيرة والنخوة ما يفرق به
بينهما ويبعد كلا منهما عن صاحبه بل كان غاية ما قابلها
به أن قال ليوسف أعرض عن هذا وللمرأة استغفري لذنبك
إنك كنت من الخاطئين وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع
وهذا لم يظهر منه غيرة ومع هذه الدواعي كلها آثر مرضاة
الله وخوفه وحمله حبه لله على أن اختار السجن على الزنا
فقال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وعلم أنه لا
يطيق صرف ذلك عن نفسه وأن ربه تعالى إن لم يعصمه ويصرفه
عنه صبا إليهن بطبعه وكان من الجاهلين وهذا من كمال
معرفته بربه وبنفسه وفي هذه القصة من العبر والفوائد
والحكم ما يزيد على الألف فائدة لعلنا إن وفق الله أن نفردها
في مصنف مستقل فصل والطائفة الثانية
الذين حكى عنهم العشق هم اللوطية كما قال تعالى وجاء أهل
المدينة يستبشرون قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله

ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي إن
كنتم فاعلين لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون فهذا عشق حكاه
سبحانه عن طائفتين عشق كل منهما ما حرم عليه من الصور ولم
يبال بما في عشقه من الضرر وهذا داء أعيا الأطباء دواؤه
وعز عليهم شفاؤه وهو لعمر الله الداء العضال والسم القتال
الذي ما علق بقلب إلا وعز على الورى استنقاذه من إساره
ولا اشتعلت ناره في مهجة إلا وصعب على الخلق تخليصها
من ناره وهو أقسام فإنه تارة يكون كفرا لمن اتخذ معشوقه
ندا يحبه كما يحب الله فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة
الله في قلبه فهذا عشق لا يغفر لصاحبه فإنه من أعظم الشرك
والله لا يغفر أن يشرك به وإنما يغفر بالتوبة الماحية
وعلامة هذا العشق الشركي الكفري أن يقدم العاشق
رضا معشوقه على رضا ربه وإذا تعارض عنده حق معشوقه
وحظه وحق ربه وطاعته قدم حق معشوقه على حق ربه
وآثر رضاه على رضاه وبذل لمعشوقه أنفس ما يقدر عليه
وبذل لربه إن بذل أردى ما عنده واستفرغ وسعه في
مرضاة معشوقه وطاعته والتقرب إليه وجعل لربه إن

الطاعة الفضلة التي تفضل عن معشوقه من ساعات وقته فأين
حال هذا من عشاق الصور هل نجدها مطابقة لله الكريم صح حالهم
في لفظه وتوحيدهم إنما هم يكفرون ودّا برضى الله ورسوله
وبطائق العذل وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معشوقه
أحب إليه من توحيد ربه كما قال الفاسق الخبيث

يترشفن من فمي رشفات ... هن أحلى فيه من التوحيد

وصرح الخبيث الآخر بأن وصل معشوقه أشهى إليه من رحمة
ربه فعياذا بك اللهم من هذا الخذلان فقال

وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل

لا ريب أن هذا العشق من أعظم الشرك وكثير من العشاق
يصرح بأنه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البتة بل قد
ملك معشوقه عليه قلبه كله فصار عبدا مخلصا من
كل وجه لمعشوقه فقد رضي هذا من عبودية الخالق
جل جلاله بعبودية مخلوق مثله فإن العبودية هي
كمال الحب والخضوع وهذا قد استغرق قوة حبه وخضوعه
وذله لمعشوقه فقد أعطاه حقيقة العبودية ولا نسبة
بين مفسدة هذا الأمر العظيم ومفسدة الفاحشة فإن

تلك ذنب لصاحبها فيه حكم أمثاله ومفسدة هذا العشق مفسدة
الشرك وكان بعض الشيوخ من العارفين يقول لأن
أبتلى بالفاحشة مع تلك الصورة أحب إلي من أن أبتلى فيها
بعشق يتعبد لها قلبي ويشغله عن الله

فصل

ودواء هذا الداء القتال أن يعرف ما ابتلي به من الداء
المضاد للتوحيد أولا ثم يأتي من العبادات الظاهرة
والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكر فيه ويكثر اللجأ
والتضرع إلى الله سبحانه في صرف ذلك عنه وأن يرجع بقلبه إليه
وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله وهو الدواء الذي ذكره
الله في كتابه حيث قال كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين فأخبر سبحانه أنه
صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل بإخلاصه
فإن القلب إذا خلص وأخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق
الصور فإنه إنما يتمكن من قلب فارغ كما قال

فصادف قلبا فارغا فتمكنا

وليعلم العاقل أن العقل والشرع يوجبان تحصيل المصالح
وتكميلها وإعدام المفاسد وتقليلها فإذا عرض للعاقل

امر يرى فيه مصلحة ومفسدة وجب عليه امران امر علمي وامر عملي
فالعلمي طلب معرفة الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة فاذا تبين له
الرجحان وجب عليه ايثار الاصلح له ومن المعلوم انه ليس في
عشق الصور مصلحة دينية ولا دنيوية بل مفسدته الدينية والدنيوية
اضعاف اضعاف ما يقدر فيه من المصلحة وذلك من وجوه
احدها الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حب الرب تعالى
وذكره ولا يجتمع في القلب هذا وهذا الا ويقهر احدهما صاحبه
ويكون السلطان والغلبة له الثاني عذاب قلبه بمعشوقه
فان من احب شيئا غير الله عذب به ولابد

فما في الارض اشقى من محب ... وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا في كل حين ... مخافة فرقة او لاشتياق
فيبكي ان نأوا شوقا اليهم ... ويبكي ان دنوا حذر الفراق
فتسخن عينه عند الفراق ... وتسخن عينه عند التلاقي

والعشق وان استعذبه العاشق فهو من اعظم عذاب القلب
الثالث ان العاشق قلبه اسير في قبضة معشوقه يسومه
الهوان ولكن لسكرة العشق لا يشعر بمصابه فقلبه
كعصفورة في كف طفل يسومها حياض الردى والطفل يلهو ويلعب

فعيش العاشق عيش الاسير الموثق وعيش الخلي عيش المسيب
المطلق كما قيل

طليق برأي العين وهو اسير ... عليل على قطب الهلاك يدور
وميت يرى في صورة الحي غاديا ... وليس له حتى النشور نشور
اخو غمرات ضاع فيهن قلبه ... فليس له حتى الممات حضور

الرابع انه يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه فليس شيء اضيع
لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور اما مصالح الدين فانها
منوطة بلم شعث القلب واقباله على الله وعشق الصور اعظم
شيء تشعيثا وتشتيتا له واما مصالح الدنيا فهي تابعة في
الحقيقة لمصالح الدين فمتى انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت
عليه فمصالح دنياه اضيع واضيع الخامس ان آفات الدنيا
والآخرة اسرع الى عشاق الصور من النار في يابس الحطب
وسبب ذلك ان القلب كلما قرب من العشق وقوي اتصاله به
بعد من الله فابعد القلوب من الله قلوب عشاق الصور
واذا بعد القلب من الله طرقته الآفات من كل ناحية
فان الشيطان يتولاه ومن تولاه عدوه واستولى عليه لم
يأله وبالا ولم يدع اذى امكنه ايصاله اليه الا اوصله فما الظن

وإذا الظن نقل لم يمكن منه عدوه أحرص الخلق على عيبه وفساده بعد منه
وليه من لا استغاثة له لا فلاح ولا سرور ولا الاتقية ولا ابتسامة السادس
أنه إذا أمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه أفسد الذهن
وأحدث الوسواس وربما التحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت
عقولهم ولا ينتفعون بها وأخبار العشاق في ذلك موجودة
في مواضعها بل بعضها مشاهد بالعيان وأشرف ما في الإنسان
عقله وبه يتميز عن سائر الحيوانات فإذا عدم عقله التحق
بالحيوان البهيم بل ربما كان حال الحيوان أصلح من حاله وهل
أذهب عقل مجنون ليلى وأضر به إلا العشق وربما زاد
جنونه على جنون غيره كما قيل

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين

السابع أنه ربما أفسد الحواس أو بعضها إما فساداً معنوياً
أو صورياً أما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب
فإن القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان
فيرى القبيح حسناً منه ومن معشوقه كما في المسند مرفوعاً
حبك الشيء يعمي ويصم فهو يعمي عين القلب عن رؤية مساوي

المحبوب

المحبوب وعيوبه فلا ترى العين ذلك ويصم أذنه عن الإصغاء إلى
العذل فيه فلا تسمع الأذن ذلك والرغبات تستر العيوب
فالراغب في الشيء لا يرى عيوبه حتى إذا زالت رغبته فيه
أبصر عيوبه فشدة الرغبة غشاوة على العين تمنع من رؤية
الشيء على ما هو به كما قيل

هويتك إذ عيني عليها غشاوة ... فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

والداخل في الشيء لا يرى عيوبه والخارج منه الذي لم يدخل فيه
لا يرى عيوبه ولا يرى عيوبه إلا من دخل فيه ثم خرج منه
ولهذا كان الصحابة الذين دخلوا في الإسلام بعد الكفر خيراً
من الذين ولدوا في الإسلام قال عمر بن الخطاب إنما تنقض
عرى الإسلام عروة عروة إذا ولد في الإسلام من لا يعرف
الجاهلية وأما إفساده للحواس ظاهراً فإنه يمرض البدن
وينهكه وربما أدى إلى تلفه كما هو معروف في أخبار من
قتلهم العشق وقد رفع إلى ابن عباس وهو بعرفة شاب قد
انتحل حتى عاد جلداً على عظم فقال ما هذا قالوا به العشق
فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق عامة يومه
الثامن أن العشق كما تقدم هو الإفراط في المحبة بحيث يستولي

شاب

المشنوف على قلب العاشق حتى لا تخلو من عمله وذاك الفكر
حتى لا يغيب عن خاطره وذهنه فعند ذلك تشتغل النفس
عن استخدام القوى الحيوانية والنفسانية فتتعطل تلك
القوى فتحدث بتعطيلها من الآفات على البدن والروح ما
يعز دواؤه او يتعذر فيتغير افعاله وصفاته ومقاصده
ويختل جميع ذلك فيعجز الشرع عن صلاحه

الحب اول ما يكون لجاجة تسوقه اليه الاقدار
حتى اذا خاض الفتى لجج الهوى جاءت امور لا تطاق كبار

العشق مبادئه سهله حلوه واوسطه هم وشغل قلب وسقم واخره
عطب وقتل ان لم يتداركه عناية من الله كما قيل

وعش خاليا فالحب اوله عنا واوسطه سقم واخره قتل

وقال الاخر تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق
راى لجة ظنها موجة فلما تمكن منها غرق

والذنب له فهو الجاني على نفسه وفوك نفخ وقد تقدم بعث المثل
السائر يداك اوكتا

فصل

والعاشق له ثلاث مقامات مقام ابتداء ومقام توسط ومقام انتهاء
فاما مقام ابتدائه فالواجب عليه فيه مدافعته بكل ما

يقدر عليه اذا كان الوصول الى معشوقه متعذرا قدرا
او شرعا فان عجز ذلك وابى قلبه الا السفر الى محبوبه وهذا
مقام التوسط الاتمامه فعليه بكتمان ذلك وان لا افشيه الى
الخلق ولا يشنع بمحبوبه وهتكه بين الناس فيجمع بين الشرك
والظلم فان الظلم وهذا الباب من اعظم انواع الظلم وربما
كان اعظم ضررا على المعشوق واهله من ظلمه في ماله فانه
يعرض المعشوق بهتكه في عشقه الى وقوع الناس فيه
وانقسامهم الى مصدق ومكذب واكثر الناس يصدق
في هذا الباب بادنى شبهه اذا قيل فعل فلان بفلان او فلانه
كذبه احد صدقه مستحليه ولسمعه ولسعوه وخبر
العاشق المتهتك عند الناس في هذا الباب يفيد القطع
اليقيني بل اذا اخبرهم المفعول به عن نفسه كذبا وافتراء
على الله عنه جزموا بصدقه جزما لا يحتمل النقيض بل
لو جمعهما مكان واحد اتفاقا جزموا ان ذلك عن وعد
واتفاق بينهما وجزمهم في هذا الباب على الظنون
والتخيل والشبه والاوهام والاخبار الكاذبة كجزمهم بالحسيات
والمشاهدة وبذلك وقع اهل الافك في الطيبه المطيبه حبيبه

رسول الله المرأة من فوق سبع سماوات وانتهك محرم صفوان بن
المعطل في جنبه خلف العسكر حتى هلك من هلك ولولا
ان تولى الله سبحانه براءة الذي رميت بها وكذب قاذفها
الا كان امرا اخر المقصود ان في اظهار المسلم عشق من لا
يحل له الاتصال به من ظلمه اذاك ما هو عدوان عليه وعلى
اهله وتعريض لتصديق كثير من الناس ظنونهم فيه تعالى
استعان عليه بمن يستميله اليه اما رغبة او رهبة تعدى
الظلم وانتشر وصار ذلك الواسطة ديوثا ظالما واذا
كان النبي صلى الله عليه وسلم قد لعن الرائش وهو الواسطة
بين الراشي والمرتشي في ايصال الرشوة فما الظن بالديوث
الواسطة بين العاشق والمعشوق في الوصلة المحرمة
فيتساعد العاشق الديوث على ظلم المعشوق وظلم غيره
ممن يتوقف حصول غرضهما على ظلمه في نفس او مال او
عرض فحاله كثيرا ما يتوقف المطلوب فيه على قتل
نفس تكون حياته مانعة من غرضه فكم من قتيل طل
دمه بهذا السبب من زوج وسيد وقريب وكم خببت
امرأة على بعلها وجارية وعبد على سيدهما وقد لعن رسول

الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك وتبرأ منه وهو من الك
الكبائر واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى ان يخطب الرجل
على خطبة اخيه وان يستام على سوم اخيه فكيف بمن يسعى في
التفريق بينه وبين امرأته وامته حتى يتصل بهما وعشاق
الصور ومساعدوهم من الديثة لا يرون ذلك ذنبا فان طلب
العاشق وصل معشوقه ومشاركة الزوج والسيد ففي ذلك
من اثم ظلم الغير ما لعله لا يقصر عن اثم الفاحشة ان لم يرب
عليها ولا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة فان التوبة
وان اسقطت حق الله فحق العبد باق له المطالبة به يوم القيامة
فان ظلم الوالد بافساد ولده وحرمته ومن هو اعز عليه من
نفسه وظلم الزوج بافساد حبيبته والجناية على فراشه
اعظم من ظلمه باخذ ماله كله ولهذا يؤذيه ذلك اعظم مما يؤذيه
اخذ ماله ولا يعدل ذلك عنده الا سفك دمه فيا له
من ظلم اعظم اثما من فعل الفاحشة فان كان ذلك
حقا لغازٍ في سبيل الله وقف له الجاني الفاعل يوم
القيامة وقيل له خذ من حسناته ما شئت كما اخبر
بذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله

ذلك

عليه وسلم فما ظنكم اي فما تظنون يبقى له من حسناته فان انضاف
الى ذلك ان يكون المظلوم جارا او ذا رحم تعدد الظلم وصار ظلما
موكدا لقطيعة الرحم واذى الجار ولا يدخل الجنة قاطع رحم ولا من لا
يامن جاره بوائقه فان استعان العاشق على وصال معشوقه
بشياطين الجن اما بسحر او استخدام او نحو ذلك ضم الى الشرك
والظلم كفر السحر فان لم يفعله هو رضي به كان راضيا بالكفر
غير كاره لحصول مقصوده به وهذا ليس بعيد من الكفر
والمقصود ان التعاون في هذا الباب تعاون على الاثم والعدوان
واما ما يقدر حصول غرض العاشق من ظلم المستشر
المتعدي ضرره كما لا يخفى فانه اذا حصل له مقصود من
المعشوق فللمعشوق اغراض اخر يريد من العاشق اعانته عليها
فلا بد من اعانته بذا فيبقى كل منهما يعين الاخر على الظلم والعدوان
فالمعشوق يعين العاشق على ظلم من يتصل به من اهله واقاربه
وسيده وزوجه والعاشق يعين المعشوق على ظلم من
يكون غرض المعشوق متوقفا على ظلمه فكل منهما يعين الاخر
على اغراضه التي تكون فيها ظلم الناس فيحصل العدوان
والظلم للناس بسبب اشتراكهما في الفحش لتعاونهما بذلك

على الظلم كما جرت العادة بين العشاق والمعشوقين من اعانة
العاشق لمعشوقه على ما فيه ظلم وتعد وعدوان حتى ربما يسعى له
في منصب لا يليق به ولا يصلح لمثله وفي تحصيل مال من غير حله
وفي استطالته على غيره فاذا اختصم معشوقه وغيره او تشاكيا
لم يكن الا في جانب المعشوق ظالما كان او مظلوما هذا الى
ما ينضم الى ذلك من ظلم العاشق للناس بالتحيل على اخذ
اموالهم والتوصل بها الى المعشوق بسرقة او غصب او خيانة
او يمين كاذبة او قطع طريق ونحو ذلك وربما ادى ذلك الى
قتل النفس التي حرم الله لياخذ ماله ليتوصل به الى معشوقه
فكل هذه الآفات واضعافها واضعاف اضعافها ينشا
من عشق الصور وربما حمل على الكفر الصريح وقد تنصر جماعة
ممن نشا في الاسلام بسبب العشق كما جرى لبعض المؤذنين
حين ابصر امراة جميلة على سطح فافتتن بها فنزل ودخل عليها
وسالها نفسها فقالت هي نصرانية فان دخلت في ديني تزوجت
بك ففعل فرقي ذلك اليوم على درجة عندهم فسقط منها فمات
ذكر هذا عبد الحق في كتاب العاقبة له واذا اراد النصارى
ان ينصروا الاسير اروه امراة جميلة وامروها ان تطمعه في نفسها حتى اذا

تمكن حبه من قلبه بذلك له نفسه ان دخل في دينه فهنا لك يثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة
الا ه وفي العشق من ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق
لصاحبه بمعاونته له على الفاحشة وظلمه لنفسه فكل منهما ظالم
لنفسه وصاحبه وظلمهما متعد الى الغير كما تقدم واعظم من ذلك
ظلمهما بالشرك فقد تضمن العشق انواع الظلم كلها والمعشوق اذا
لم يتق الله فانه تعرض العاشق للتلف وذلك ظلم منه بان
يطمعه في نفسه ويتزين له ويستميله بكل طريق حتى يستخرج منه
ونفعه لا يمليه من نفسه لئلا يزول غرضه بقضاء وطره منه
فهو يسومه سوء العذاب والعاشق ربما قتل معشوقه ليشفي
نفسه منه لا سيما اذا جاد بالوصال لغيره وكم للعشق من
قتيل من الجانبين وكم قد ازال من نعمة وافقر من غني واسقط
من مرتبة وشتت من شمل وكم افسد من اهل للرجل وولد
فان المراة اذا رات بعلها عاشقا لغيرها اتخذت هي معشوقا
لنفسها فيصير الرجل مترددا بين خراب بيته بالطلاق
وبين القيادة فمن الناس من يؤثر هذا ومنهم من يؤثر هذا
فعلى العاقل ان لا يحكم على نفسه عشق الصور لئلا يؤديه ذلك

الى هذه المفاسد او اكثرها او بعضها فمن فعل ذلك فهو المفرط
بنفسه المغرر بها فاذا هلكت فهو الذي اهلكها فلولا
تكرار النظر الى وجه معشوقه وطمعه في وصاله لم يتمكن عشقه
من قلبه فان اول اسباب العشق الاستحسان سواء
تولد عن نظر او سماع فان لم يقارنه طمع في الوصال وقارنه
الاياس من ذلك لم يحدث له ذلك فان اطال مع ذلك الفكر
في محاسن المعشوق وقارنه خوف ما هو اكبر عنده من
لذة وصاله اما خوف ديني كدخول النار وغضب الجبار
واحتقاب الاوزار وغلب هذا الخوف على ذلك الطمع والفكر
لم يحدث له العشق وان فاته هذا الخوف فقارنه خوف
دنيوي كخوف تلاف نفسه وماله وذهاب جاهه وسقوط
مرتبته عند الناس وسقوطه من عين من يعز عليه وغلب هذا
الخوف الداعي العشق دفعه لذلك اذا خاف من فوات محبوب
هو احب اليه وانفع له من ذلك المعشوق وقدم محبته على محبة
المعشوق اندفع عنه العشق فان انتفى ذلك كله وغلبت محبة
المعشوق لذلك انجذب اليه القلب بكليته ومالت اليه النفس
كل الميل فان قيل قد ذكرتم اسباب العشق ومضاره ومفاسده

ومناسبه فهلا ذكرتم منافعه وفوائده قال من جملة فوائده رقة الطبع
وترويح النفس وخفتها وزوال ثقلها ورياضتها وحملها على مكارم
الاخلاق من الشجاعة والكرم والمروة ورقة الحاشية ولطف
الجانب وقد قيل ليحيى بن معاذ الرازي ان ابنك عشق فلانة فقال
الحمد لله الذي صيره الى طبع الادمي وقال بعضهم العشق داء
افئدة الكرام وقال غيره العشق لا يصلح الا لذي مروة طاهرة وخليقة
طاهرة او لذي لسان فاضل واحسان كامل او لذي ادب
بارع وحسب ناصع وقال اخر العشق يشجع جنان الجبان
ويصفي ذهن الغبي ويسخي كف البخيل ويذل عز الملوك ويسكن
نوافر الاخلاق وهو انيس من لا انيس له وجليس من لا
جليس له وقال اخر العشق يزيل الاثقال ويلطف
الروح ويصفي كدر القلب ويوجب الارتياح لافعال الكرام
كما قيل سيهلك في الدنيا شفيق عليكم اذا غاله من حادث الحب غائله
كريم يميت السر حتى كانه اذا استنطقوه عن حديثك جاهله
يود بان يمسي سقيما لعلها اذا سمعت عنه بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف في طلب العلى لتحمد يوما عند ليلى شمائله
فالعشق يحث على مكارم الاخلاق وقال بعض الحكماء العشق

يروض النفس ويهذب الاخلاق اظهاره طبعي واضماره تكلفي
وقال اخر من لم يبت نفسه بصوت الشجي والوجه البهي فهو
فاسد المزاج يحتاج الى العلاج وانشد في ذلك
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فانت وعير في الفلاة سواء
وقال اخر
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من جانب الصخر جلمدا
وقال اخر
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فقم واعتلف تبنا فانت حمار
وقال الاخر اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فما لك في طيب الحياة نصيب
وقال بعض العشاق اولوا العفة الصماء عفوا استنزفوا
واعشقوا انظرفوا وقيل لبعض العشاق فما كنت تصنع لو
ظفرت بمن تهوى فقال كنت امتع طرفي بوجهه وادخل قلبي
حديثه واستر منه ما لا يحب كشفه ولا اصير بقبيح الفعل
الى ما ينقض عهده ثم انشد
اخلو به واعف عنه كاني به لست من عشاقه
كالماء في يد صائم يلتذه ظمأ فيصبر عن لذيذ مذاقه
وقال اسحاق بن ابرهيم ارواح العشاق عطرة لطيفة

نصيب
العشاق

وابدانهم ورقيقه حقيقه نزهتهم المؤانسه وكلامهم يحيي موات
القلوب ويزيد في العقول ولولا العشق والهوى لبطل نعيم الدنيا
وقال اخر العشق للارواح بمنزلة الغذا للابدان ان تركته
ضرك وان اكثرت منه قتلك وفي ذلك قيل

خليلي ان الحب فيه لذاذه وفيه شقا دايم وكروب
على ذاك ما عيش يطيب بغيره ولا عيش الا بالحبيب يطيب
ولا خير في الدنيا بغير صبابه ولا في نعيم ليس فيه حبيب

وذكر الخرايطي عن ابي غسان قال مر ابو بكر الصديق بجاريه وهي
تقول وهويته من قبل قطع تمايمي متمايسا مثل القضيب الناعم
فسالها احره انت ام مملوكه فقالت بل مملوكه فقال ممن هواك
فتلكات فاقسم عليها فقالت

وانا الذي لعب الهوى بفوادها قتلت بحب محمد بن القاسم

فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن
ابي طالب وقال هولاء فتن الرجال وكم والله قد مات بهن
كريم وعطب بهن سليم وجاءت جارية عثمن بن عفان جاريه
تستعدي على رجل من الانصار فقال لها عثمان ما
قصتك فقالت كلفت يا امير المومنين بابن اخيه فما انفك

اراعيه فقال له عثمن اما ان تهبها لابن اخيك او اعطيك
ثمنها من مالي فقال اشهدك يا امير المومنين انها له ونحن لا
ننكر هذا العشق الذي يعلقه فعل الفاحشه بالمعشوق
وانما الكلام في العشق العفيف من الرجل الظريف الذي
يابى له دينه وعفته ومروته ان يفسد ما بينه وبين الله
وبين معشوقه بالحرام هذا كعشق السلف الكرام والايمه
الاعلام فهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبه بن مسعود
احد الفقها السبعه عشق حتى اشتهر امره فانكر عليه وعذ
لما من لامه ومن شعره

كتمت الهوى حتى اضر بك الكتم ولامك اقوام ولومهم ظلم
فنم عليك الكاشحون وقبلهم عليك الهوى قد نم لو نفع الكتم
فاصبحت كالنهدي اذ مات حسرة على اثر هند او كمن شفه سقم
تجنبت اتيان الحبيب تاثما الا ان هجران الحبيب هو الاثم
فذق هجرها قد كنت تزعم انه رشاد الا يا ربما كذب الزعم

حنلا الزعم صح

وهذا عمر بن عبد العزيز عشقه لجاريه فاطمه بنت عبد الملك امراته
مشهور وكانت الجاريه بارعة الجمال وكان معجبا بها وكان
يطلبها من امراته ويحرص على ان تهبها له فتابى ولم تزل الجاريه
في نفس عمر فلما استخلف امرت فاطمه بالجاريه فاصلحت
صلحت

وكانت مثلا في حسنها وجمالها ثم دخلت على عمر فقالت يا امير المؤمنين
انك كنت معجبا بجاريتي ولابد ان تسألنيها فأبيت عليك والآن قد
طابت نفسي لك بها فلما قالت له ذلك استبان الفرح في
وجهه وقال عجلي علي بها فلما ادخلتها عليه ازداد بها عجبا وقال لها
الق ثيابك ففعلت ثم قال لها على رسلك اخبريني لمن كنت
ومن اين صرت لفاطمة فقالت اغرم الحجاج عاملا له بالكوفة
مالا وكنت في رقيق ذلك العامل فأخذني وبعث بي
الى عبد الملك فوهبني لفاطمة قال وما فعل ذلك العامل
قالت هلك قال وهل ترك ولدا قالت نعم قال فما حالهم قالت
سيئة فقال شدي عليك ثيابك واذهبي الى مكانك
ثم كتب الى عامله على العراق ان ابعث الي فلان بن فلان
على البريد فلما قدم قال له ادفع الي جميع ما اغرمه الحجاج
لابيك فلم يرفع اليه شيئا الا دفعه اليه ثم امر بالجارية
فدفعت اليه ثم قال اياك واياها فلعل اباك كان الم
بها فقال الغلام هي لك يا امير المؤمنين قال لا حاجة لي
بها قال فابتعها مني قال لست اذا ممن نهى النفس عن
الهوى فلما عزم الفتى على الانصراف بها قالت اين وجدك

بي يا امير المؤمنين فقال على حاله ولقد ازداد ولم تزل الجارية في
نفس عمر حتى مات رحمه الله وهكذا ابو بكر محمد بن داود
الظاهري العلم المشهور في فنون العلم من الفقه والحديث
والتفسير والادب وله قول في الفقه وهو من اكابر العلماء
وعشقه مشهور قال نفطويه دخلت عليه في مرضه
الذي مات فيه فقلت كيف تجدك فقال حب من تعلم اورثني
ما ترى فقلت وما منعك من الاستمتاع به مع القدرة
عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر المباح
والاخر اللذة المحظورة فمنعني منها ما حدثني ابي حدثنا
سويد بن سعيد ثنا علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات عن
مجاهد عن ابن عباس يرفعه من عشق وكتم وعف وصبر غفر
الله له وادخله الجنة ثم انشد

انظروا الى السحر يجري في لواحظه ... انظر الى دعج في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه ... كأنهن نمال دب في عاج

ثم انشد لهم انكروا سواد الخد به ... ولا ينكرون ورد الغصون
ان يكن عيب خده بدد الشعر ... فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له نفيت القياس في الفقه واثبته في الشعر فقال

غلبة الوجد وملكة العشق دعوا اليه ثم مات من ليلته وسبب
معشوقته صنف كتاب الزهرة ومن كلامه فيه من يأس
ممن يحبه ولم يمت من وقته سلاه وذلك ان اول روعات
الياس تأتي القلب وهو غير مستعد لها فاما الثانية فتاتي
القلب وقد وطأته لها الروعة الاولى التقى هو وابو العباس
ابن شريح في مجلس ابي الحسن علي بن عيسى الوزير فتناظرا
في مسئلة من الايلا فقال له ابن سريج انت بان تقول من
دامت لحظاته كثرت حسراته احذق منك بالكلام على الفقه
فقال لان كان ذلك فاني اقول

انزه في روض المحاسن مقلتي وامنع نفسي ان تنال محرما
واحمل من ثقل الهوى ما لو انه يصب على الصخر الاصم تهدما
وينطق طرفي عن مترجم خاطري فلولا اختلاسي رده لتكلما
رايت الهوى دعوى من الناس كلهم فلست ارى ودا صحيحا مسلما

فقال له ابو العباس بن سريج بم تفتخر علي ولو شئت قلت

ومطاعم كالشهد في نغماته قد بت امنعه لذيذ سنانه
ضنا بحسنه وبحسن بهجته انثني باللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده ولى بخاتم ربه وبراته

فقال ابو بكر يحفظ عليه الوزير ما اقر به حتى يقيم شاهدين
على انه ولى بخاتم ربه وبراته فقال ابن سريج يلزمني في هذا ما
يلزمك في قولك انزه في روض المحاسن مقلتي وامنع نفسي ان تنال محرما
فضحك الوزير وقال لقد جمعتما لطفا وظرفا ذكر ذلك ابو بكر
الخطيب في تاريخه وحماة يوما فتنا مصنوع

ما بين اكرد بان تغيبه العراق فتنا في قوافل الاحداق
هل علم بما انت من جناح ام حلال لها دم العشاق

فكتب الجواب بخط كتبة السبق

عند جواب مسايل الغنا فقوا سمعى وفرح الخفا مشتاق
لما سالت عن الهوى هيجتني واذقت دمعا لم يكن بمراق
ان كان معشوق يعذب عاشقا كان المعذب انعم العشاق

قال صاحب كتاب منازل الاحباب شهاب الدين محمود
ابن سلمان بن فهد صاحب الانشاء قلت في جواب البيتين
على وزنهما مجيبا للسائل

قل لمن جاء سائلا عن لحاظ هي تعنى في دم العشاق
ما على السيف في الورى من جناح ان تراق الدماء من مراق
وسيوف اللحاظ اولى بان تصفح عما جنت على العشاق

انما دل من فعلي شهيد اذ لهذا انفني صادهو باق

ونظر لك تنوي ردرت على الشيخ ابي الخطاب محفوظ بن احمد
الكلوذاني شيخ الحنابلة في وقته

قل للامام ابي الخطاب مسئلة جاءت اليك وما خلق سواك لها
ماذا على رجل رام الصلاة فمذ لاحت لخاطره ذات الجمال لها

فاجابه تحت سؤاله

قل للاديب الذي وافى بمسئلة سرت فوادي لما ان اصغيت لها
ان الذي فتنته عن عبادته خريدة ذات حسن فانثنى ولها
ان تاب ثم قضى عنه عبادته فرحمة الله تغشى من عصى ولها

وقال عبد الله بن معمر القيسي حججت سنة ثم دخلت مسجد المدينة
لزيارة قبر محمد صلى الله عليه وسلم فبينا انا جالس ليلة بين
القبر والمنبر اذ سمعت انينا فاصغيت اليه فاذا هو يقول

اشجاك نوح حمائم السدر فاهجن منك بلابل الصدر
ام عز نومك ذكر غانية اهدت اليك وساوس الفكر
اسلمت من يهوى لحر جوى متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد انني كلف مغرى بحب شبيه البدر
ما كنت احسبني اهيم بحبه حتى بليت وكنت لا ادري

ثم انقطع الصوت فلم ادر من اين جاء واذا به قد اعاد البكاء والانين
ثم انشد

اشجاك من ريا خيال زائر والليل مسود الذوائب عاكر
واعتاد مقلتك الهوى بسهده واهتاج مقلتك الخيال الزائر
ناديت ريا والظلام كانه يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسري في السما كانه ملك ترجل والنجوم عساكر
وترى به الجوزاء ترقص في الدجى رقص الحبيب علاه سكر طاهر
يا ليل طلت على محب ماله الا الصباح مساعد ومؤازر
فاجابني مت حتف انفك واعلمن ان الهوى لهو الهوان الحاضر

قال ولقد ذهبت عند ابتدائه فلم ينته الا وانا عنده فرايت
شابا مقتبلا شبابه قد خرق الدموع في خده خرقين فسلمت
عليه فقال اجلس من انت قلت عبد الله بن معمر القيسي
قال الك حاجة قلت نعم كنت جالسا في الروضة فما اعنى
الا صوتك فبنفسي افديك فما الذي تجد فقال انا عتبة
بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري غدوت يوما
الى مسجد الاحزاب فصليت فيه ثم اعتزلت غير بعيد
فاذا انسوة قد اقبلن يتهادين مثل القطا وفي وسطهن
جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت علي وقالت

ما عشته ما يقول في وصل من يطلب وصلك ثم تركتني وذهبت
فلم اسمع لها خبرا لا افقدت لها اثرا وانا حيران انتقل من مكان
الى المكان ثم صرخ الثانية مغشيا عليه ثم افاق كانما صبغت
وجنتاه بورس ثم انشا

ارى لي بقلبي بلاد بعيدة فيا هل تردين الفؤاد على بعد
فؤادي وطرفي ياسفان عليكم وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست الذ العيش حتى اراكم ولو كنت في الفردوس في جنة الخلد

فقلت له يا ابن اخي تب الى ربك واستغفر ذنبك فمن يديك هول
المطلع فقال لها انا بسال حتى يؤوب القارظان ولم ازل معه
الى ان طلع الفجر فقلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فلعل الله ان
يكشف كربك قال ارجو ذلك ان شاء الله تعالى فلما طلعت الشمس
ذهبنا حتى اتينا مسجد الاحزاب فسمعته يقول

يا للرجال ليوم الاربعاء اما ينفك يحدث لي بعد النهى طربا
ما ان يزال غزال منه يقلقني ياتي الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخبر الناس ان الاجر همته وما اتى طالبا للاجر محتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما اتى صلفا مضمخا بفتيت المسك مختضبا

ثم جلسنا حتى صلينا الظهر واذا بالنسوة قد اقبلن وليست

الجارية

الجارية فيهن فوقفن عليه وقلن له يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك
وكاشفة بالك فقال وما بالها قلن اخذها ابوها وارتحل
الى ارض السماوة فسالهن عن الجارية فقلن هي ريا ابنة
الغطريف السلمي فرفع عتبة راسه اليهن وقال

خليلي اني قد عشيت من البكا فهل عند غيري مقلة استعيرها
ريا خليلي قد اجد بكورها وسارت الى ارض السماوة عيرها

بذلته

فقلت له اني قد وردت بمال جزيل اريد به اهل السنة ووالله لا
امنعه حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا فقم بنا الى مسجد الانصار
فقمنا وسرنا حتى اشرفنا على ملأ منهم فسلمت فاحسنوا الرد
فقلت ايها الملأ ما تقولون في عتبة وابيه قالوا من سادات
العرب قلت انه قد رمي بداهية من الهوى وما اريد منكم الا
المساعدة الى السلاوة فقالوا سمعا وطاعة فركبنا وركب
القوم معنا حتى اشرفنا على منازل بني سليم فاعلم الغطريف
بنا فخرج مبادرا فاستقبلنا وقال حييتم بالاكرام فقلنا وانت
فحييت انا لك اضياف فقال نزلتم اكرم منزل
ثم نادى يا معشر العبيد انزلوا القوم ففرشت الانطاع والنمارق
وذبحت الذبايح فقلنا لسنا بذايقي طعامك حتى تقضي حاجتنا
فقال وما حاجتكم فقلنا نخطب عقيلتك الكريمة لعتبة

ابن الحباب بن المنذر فقال انا التي يخطبوني امرها الى نفسي
وانا ادخل اخرها ثم دخل بعضها على امته فقالت يا ابت
ما لي ارى الغضب في وجهك فقال قد ورد الانصار يخطبونك
مني قالت بسادة كرام استعفهم النبي صلى الله عليه وسلم فلم
الخطبة منهم فقال لعتبة بن الحباب فقالت والله لقد سمعت
عن عتبة هذا انه يعرف بما وعد ويدري اذا اوعد فقال اقسمت
لا ازوجنك به ابدا ولقد بني الى بعض خرسك معه فقالت
ما كان ذلك لكن اذا اسمعت الانصار لا يردون ردا
فتجا فاحسن لهم الرد فقال باي شيء قالت اعط لهم الله
فانهم يرجعون ولا يجيبون فقال ما احسن ما قلت ثم خرج
مبادرا فقال ان بنات الحي قد اجابت ولكني اريد لها مهرا
ممن القائم به فقال عبد الله بن معمر انا فقل ما شئت فقال
الف مثقال من الذهب ومائة ثوب من الابراد وخمسة اكرشة
عنبر فقال عبد الله لك ذلك فهل اجبتنا الى ... قال
عبد الله فانفذت نفرا من الانصار الى المدينة فاتوا بجميع
ما طلبت ثم صنعت الوليمة واقمنا على ذلك اياما ثم قال
خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين ثم حملها في هودج وجهزها
بثلاثين راحلة من المتاع والتحف فودعناه وسرنا حتى

حتى اذا بقي بيننا وبين المدينة رحلة واحدة خرجت علينا
خيل تريد الغارة احسبها من بني سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب
فقتل منهم رجالا وجندل اخرين ثم رجع وبه طعنة تفور دما
فسقط الى الارض واتتنا نجدة فطردت عنا الخيل وقد قضى
عتبة نحبه فقلنا واعتبتاه فسمعتنا الجارية فالقت نفسها
عن البعير وجعلت تصيح بحرقة وانشدت

تصبرت لا اني صبرت وانما اعلل نفسي انها بك لاحقة
فلو انصفت روحي لكانت الى الردى امامك من دون البرية سابقة
فما احد بعدك لي بمنصف خليل ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة وقضت نحبها فاحتفرنا لهما قبرا واحدا ودفناهما
فيه ثم رجعت الى المدينة فاقمت سبع سنين ثم ذهبت
الى الحجاز ووردت المدينة فقلت والله لاتين قبر عتبة
ازوره فاتيت القبر فاذا عليه شجرة عليها عصايب حمر وصفر
فقلت لارباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة قالوا
شجرة العروسين ولو لم يكن في العشق من الرخصة الجالبة
الا الحديث الوارد بالحسن للانسان بسنده وهو حديث
سويد بن سعيد يرفعه عن علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات
عن مجاهد عن ابن عباس يرفعه من عشق فعف فكتم

فمات وهو شهيد وروى سويد ايضا عن مسهر عن هشام
ابن عروة عن عائشة مرفوعا ورواه الخطيب عن الازهري عن المعافا
ابن زكريا عن قطبة بن الفضل عن احمد بن مسروق عنه وروى
الزبير بن بكار عن عبد العزيز بن الماجشون عن عبد العزيز بن ابي
حازم عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس وهذا سيد
الاولين والاخرين رسول رب العالمين نظر الى زينب بنت جحش
فقال سبحان مقلب القلوب وكانت تحت زيد بن حارثة
مولاه فلما هم بطلاقها قال له اتق الله امسك عليك زوجك
فلما طلقها تولى الله سبحانه من رسوله من فوق سبع سماواته
فكان هو وليها وولي تزويجها من رسوله وعقد عقد نكاحها
فوق عرشه وانزل على رسوله واذ تقول للذي انعم الله
عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في
نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان
تخشاه وهذا داود نبي الله لما كان تحته تسع وتسعون
امرأة ثم احب تلك المرأة فتزوجها وكمل بها المائة وقال
الزهري اول حب كان في الاسلام حب النبي صلى الله
عليه وسلم عائشة وكان مسروق يسميها حبيبة رسول
رب العالمين وقال ابو قيس مولى عبد الله بن عمرو ارسلني

عبد الله بن عمرو الى ام سلمة اسالها اكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقبل اهله وهو صائم فقالت لا فقال ان عائشة قالت كان
النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها وهو صائم فقالت ام سلمة ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا راى عائشة لا يملك نفسه عنها وذكر
سعد بن ابراهيم عن عامر بن سعد عن ابيه قال كان ابراهيم
الخليل صلى الله عليه وسلم يزور هاجر في كل يوم من الشام على
البراق من شغفه بها وقلة صبره عنها وذكر الخرائطي ان عبد
الله بن عمر اشترى جارية رومية فكان يحبها حبا شديدا
فوقعت ذات يوم عن بغلة له فجعل يمسح التراب عن
وجهها وتفديه وكانت تكثر ان تقول له يا بطرون انت
قالون تعني يا مولاي انت جيد ثم انها هربت منه فوجد
عليها وجدا شديدا وقال قد كنت احسبني قالون
فانصرفت فاليوم اعلم اني غير قالون قال ابو محمد بن حزم وقد
احب من الخلفاء الراشدين والائمة المهديين كثير وقال رجل
لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين رايت امرأة فعشقتها فقال
ذلك ما لا يملك قال في الجواب وبالله التوفيق ان الكلام
في هذا الباب لا بد فيه من التمييز بين الواقع والجائز

الامر فيه والمجاز لا يشتمل عليه بالذم والانكار ولا بالمدح والقبول
من حيث الجملة وانما يبين حكمه وينكشف امره بذكر متعلقه
والا فالعشق من حيث هو لا يحمد ولا يذم ونحن نذكر النافع
من الحب والضار والجائز والحرام اعلم ان انفع المحبة على
الاطلاق واوجبها واعلاها واجلها محبة من جبلت القلوب
على محبته وفطرت الخليقة على تألهه وبها قامت الارض والسموات
وعليها فطرت المخلوقات وهي سر شهادة ان لا اله الا الله
فان الاله هو الذي تألهه القلوب بالمحبة والاجلال والتعظيم
والذل والخضوع وتعبده والعبادة لا تصلح الا لله وحده
والعبادة هي كمال الحب مع كمال الخضوع والذل والشرك
في هذه العبودية من اظلم الظلم الذي لا يغفره الله والله تعالى
يحب لذاته من جميع الوجوه وما سواه فانما يحب تبعا
لمحبته وقد دل على وجوب محبته سبحانه جميع كتبه المنزلة
ودعوة جميع رسله وفطرته التي فطر عباده عليها وما ركب فيهم
من العقول وما اسبغ عليهم من النعم فان القلوب
مفطورة مجبولة على محبة من انعم عليها واحسن اليها فكيف بمن
كل الاحسان منه وما بخلقه جميعهم من نعمة فمنه وحده

لا شريك له كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله الآية
وما تعرف به الى عباده من اسمائه الحسنى وصفاته
العلا وما دلت عليه آثار مصنوعاته من كماله ونعوت جلاله
وعظمته والمحبة لها داعيان الجمال والاجلال والرب تعالى له
الكمال المطلق من ذلك فانه جميل يحب الجمال بل الجمال
كله له والاجلال كله منه فلا يستحق ان يحب لذاته من كل
وجه سواه قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وقال تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم
عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين
اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة
لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم انما
وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة
ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين
امنوا فان حزب الله هم الغالبون والولاية اصلها الحب
فلا موالاة الا بحب كما ان العداوة اصلها البغض والله ولي
الذين امنوا وهم اولياؤه فهم يوالونه بمحبتهم له وهو يواليهم
بمحبته لهم فالله يوالي عبده بحسب محبته له ولهذا انكر سبحانه

على من اتخذ من دونه أولياء بخلاف من والى أولياءه فإنه لم
يتخذهم من دونه بل موالاته لهم من تمام موالاته وقد أنكر على من
سوى بينه وبين غيره في المحبة وأخبر أن من فعل ذلك فقد اتخذ
من دونه أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله
وأخبر عمن سوى بينه وبين الأنداد في الحب أنهم يقولون
في النار لمعبوديهم تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم
برب العالمين وبهذا التوحيد في الحب أرسل الله سبحانه
جميع رسله وأنزل جميع كتبه وأطبقت عليه دعوة الرسل
من أولهم إلى آخرهم ولأجله خلقت السماوات والأرض
والجنة والنار فجعل الجنة لأهله والنار للمشركين به فيه
وقد أقسم النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يؤمن عبد حتى
يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين
فكيف بمحبة الرب جل جلاله وقال لعمر بن الخطاب
لا حتى أكون أحب إليك من نفسك أي لا تؤمن حتى
تصل محبتك إلى هذه الغاية وإذا كان النبي أولى بنا
من أنفسنا في المحبة ولوازمها أفليس الرب جل
جلاله وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالى

جده ولا إله غيره أولى بمحبته وعبادته من أنفسهم وكل ما منه
إلى عبده المؤمن يدعوه إلى محبته مما يحب العبد ويكره
فعطاؤه ومنعه ومعافاته وابتلاؤه وقبضه وبسطه وعدله
وفضله وإماتته وإحياؤه ولطفه وبره ورحمته وإحسانه
وستره وعفوه وحلمه وصبره على عبده وإجابته لدعائه
وكشف كربه وإغاثة لهفته وتفريج كربته من غير
حاجة منه إليه بل مع غناه التام عنه من جميع الوجوه
كل ذلك داع للقلوب إلى تألهه ومحبته بل تمكينه عبده
من معصيته وإعانته عليها وستره حتى يقضي وطره منها
وكلاءته وحراسته له وهو يقضي وطره من معصيته
بعينه ويستعين عليها بنعمه من أقوى الدواعي إلى
محبته فلو أن مخلوقا فعل بمخلوق أدنى شيء من ذلك
لم يملك قلبه عن محبته فكيف لا يحب العبد بكل
قلبه وجوارحه من يحسن إليه على الدوام بعدد الأنفاس
مع إساءته فخيره إليه نازل وشره إليه صاعد يتحبب
إليه بنعمه وهو غني عنه والعبد يتبغض إليه بالمعاصي
وهو فقير إليه فلا إحسانه وبره وإنعامه عليه يصده عن

معصيته لا تعصيه العبد ولو لم تقطع احسانه زينه
عنه لا لوم اللوم تخلف القلوب عن محبة من هذا
شانه وتعلقها بمحبة سواه وايضا فكل من تحبه من الخلق
ويحبك انما يريدك لنفسه وغرضه منك والله تعالى يريدك
لك كما في الاثر الالهي عبدي كل يريدك لنفسه وانا
اريدك لك فكيف لا يستحي العبد ان يكون ربه له بهذه
المنزلة وهو معرض عنه مشغول بحب غيره قد استغرق
قلبه محبة سواه وايضا فكل من تعامله من الخلق
ان لم يربح عليك لم يعاملك ولا بد له من نوع من انواع
الربح والرب تعالى انما يعاملك لتربح انت عليه اعظم
الربح واعلاه فالدرهم بعشرة امثاله الى سبعمائة
ضعف الى اضعاف كثيرة والسيئة بواحدة وهي اسرع
شيء محوا وايضا هو سبحانه خلقك لنفسه وخلق كل
شيء لك في الدنيا والاخرة فمن اولى منه باستفراغ
الوسع في محبته وبذل الجهد في مرضاته وايضا
فمطالبك بل مطالب الخلق كلهم جميعا لديه وهو
اجود الاجودين واكرم الاكرمين اعطى عبده قبل

ان يساله فوق ما يؤمله يشكر القليل من العمل وينميه
ويغفر الكثير من الزلل ويمحوه يساله من في السماوات
والارض كل يوم هو في شان لا يشغله سمع عن سمع ولا
تغلطه كثرة المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين بل يحب الملحين
في الدعاء ويحب ان يسال ويغضب اذا لم يسال يستحيي
من عبده حيث لا يستحيي العبد منه ويستره حيث لا يستر
نفسه ويرحمه حيث لا يرحم نفسه دعاه بنعمه واحسانه واياديه
الى كرامته ورضوانه فابى فارسل رسله في طلبه وبعث اليه
معهم عهده ثم نزل سبحانه اليه بنفسه وقال من يسالني فاعطيه
من يستغفرني فاغفر له ادعوك للوصل فتابى ابعث
رسولي في الطلب انزل اليك بنفسي القاك في النوم
وكيف لا تحب القلوب من لا ياتي بالحسنات الا هو
ولا يذهب بالسيئات الا هو ولا يجيب الدعوات ويقيل
العثرات ويغفر الخطيات ويستر العورات ويكشف
الكربات ويغيث اللهفات وينيل الطلبات سواه فهو
احق من ذكر واحق من شكر واحق من عبد واحق من
حمد وانصر من ابتغي وارأف من ملك واجود من سال واوسع

شعر
کارزوکار

من أعطى وأرحم من استرحم وأكرم من قصد وأعز من التجي
إليه وأكفى من توكل العبد عليه أرحم بعبده من الوالدة بولدها
وأشد فرحًا بتوبة التائب من الفاقد لراحلته التي عليها
طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا يئس من الحياة
ثم وجدها وهو الملك لا شريك له والفرد فلا ند له كل شيء
هالك إلا وجهه لن يطاع إلا بإذنه ولن يعصى إلا بعلمه
يطاع فيشكر وبتوفيقه ونعمته أطيع ويعصى فيغفر ويعفو
وحقه أضيع فهو أقرب شهيد وأجل حفيظ وأوفى
وفي بالعهد وأعدل قائم بالقسط حال دون النفوس وأخذ
بالنواصي وكتب الآثار ونسخ الآجال فالقلوب له مفضية
والسر عنده علانية والغيب لديه مكشوف وكل أحد
إليه ملهوف عنت الوجوه لنور وجهه وعجزت العقول عن
إدراك كنهه ودلت الفطر والأدلة على امتناع مثله
وشبهه أشرقت لنور وجهه الظلمات واستنارت
له الأرض والسماوات وصلحت عليه جميع المخلوقات
لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع
إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه :

النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه
ما اعتاض باذل حبه لسواه من عوض ولو ملك الوجود بأسره
فصل وهاهنا أمر عظيم يجب على اللبيب الاعتناء
به وهو أن كمال اللذة والفرح والسرور ونعيم القلب
وابتهاج الروح تابع لأمرين أحدهما كمال المحبوب في نفسه
وجماله وأنه أولى بإيثار المحبة من كل ما سواه والأمر الثاني
كمال محبته واستفراغ الوسع في حبه وإيثار قربه والوصول
إليه على كل شيء وكل عاقل يعلم أن اللذة بحصول المحبوب
بحسب قوة محبته فكلما كانت المحبة أقوى كانت لذة المحب
أكمل فلذة من اشتد ظمؤه بإدراك الماء الزلال ومن
اشتد جوعه بأكل الطعام الشهي ونظائر ذلك على حسب
شوقه وشدة إرادته ومحبته إذا عرف هذا فاللذة
والسرور والفرح أمر مطلوب في نفسه بل هو مقصود
كل حي وإذا كانت اللذة مطلوبة لنفسها فهي تذم إذا
أعقبت ألما أعظم منها أو منعت لذة خيرا وأجل منها
فكيف إذا أعقبت أعظم الحسرات وفوتت أعظم اللذات
والمسرات وتحمد إذا أعانت على لذة عظيمة دائمة مستقرة لا

معيص فيها ولا تكدير بوجه ما وهي لذة الاخرة ونعيمها وطيب
العيش فيها قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة
خير وابقى وقال السحرة لفرعون لما امنوا فاقض ما انت
قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر
لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى والله
سبحانه خلق الخلق ليبتليهم هذه اللذة الدائمة في دار الخلد
واما الدنيا فمنقطعة لذاتها لا تصفو ابدا ولا تدوم
بخلاف الاخرة فان لذاتها دائمة ونعيمها خالص من كل
كدر والم وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين مع الخلود
ابدا فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين بل فيها ما لا
عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا
المعنى الذي قصده الناصح لقومه بقوله يا قوم اتبعون
اهدكم الى سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا
متاع وان الاخرة هي دار القرار فاخبرهم ان الدنيا
متاع يستمتع بها الى غيرها وان الاخرة هي المستقر
واذا عرف ان لذات الدنيا ونعيمها متاع ووسيلة
الى لذات الاخرة وكذلك خلقت الدنيا ولذاتها

وكل لذة اعانت على لذة الاخرة واوصلت اليها لم يذم
تناولها بل يحمد بحسب ايصالها الى لذة الاخرة لذا فاعظم لذات الاخرة النظر
الى وجه الرب جل جلاله وسماع كلامه منه والقرب
منه كما ثبت في الصحيح من حديث الرؤية فوالله ما اعطاهم
شيئا احب اليهم من النظر اليه وفي حديث اخر انه
اذا تجلى لهم ورأوه نسوا ما هم فيه من النعيم وفي النسائي
ومسند الامام احمد من حديث عمار بن ياسر عن النبي
صلى الله عليه وسلم في دعائه اسألك لذة النظر الى وجهك
والشوق الى لقائك وفي كتاب السنة لعبد الله بن
الامام احمد مرفوعا كأن الناس يوم القيامة لم يسمعوا
القرآن اذا سمعوه من الرحمن فكأنهم لم يسمعوه قبل
ذلك واذا عرف هذا فاعظم الاسباب التي تحصل
هذه اللذة هو اعظم لذات الدنيا على الاطلاق
لذة معرفته سبحانه ولذة محبته فان ذلك هو جنة
الدنيا ونعيمها العالي ونسبة لذاتها الفانية اليه كتفلة
في بحر فان الروح والقلب والبدن انما خلق لذلك
فاطيب ما في الدنيا معرفته ومحبته والذ ما في الجنة

دونه ومشاهدته ومحبته ومعرفته فتلك العيون ولذة
الارواح وحياة القلوب ونعيم الدنيا وسرورها بل لذات
الدنيا القاطعة عن ذلك تنقلب الاما وعذابا وتبقى
صاحبها في المعيشة الضنك فليست الحياة الطيبة الا بالله
وكان بعض المحبين تمر به اوقات فيقول ان كان اهل
الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب وكان غيره يقول لو
علم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف واذا كان
صاحب المحبة الباطلة التي هي عذاب على قلب المحب يقول في حاله
وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى ولا خير فيمن لا يحب ويعشق
ويقول الاخر لا الدنيا متى لم يكن صاحب الدنيا محب احبه
ويقول الاخر ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها اذا انت وحدك عن معز عاشق
ويقول الاخر اسلى الى سلمى ملاعبه ذهب الزمان وانت منفرد
وقال الاخر شكا المحبون الصبابة ليتني تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
وكانت لقلبي لذة الحب كلها فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي
فكيف بالمحبة التي هي حياة القلوب وغذاء الارواح
والسبب للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة الا بها واذا

فقدها القلب كان المه اعظم من الم العين اذا فقدت
نورها والاذن اذا فقدت سمعها والانف اذا فقد
شمه واللسان اذا فقد نطقه بل فساد القلب اذا
خلا من محبة فاطره وبارئه والهه الحق اعظم من فساد
البدن اذا خلا من الروح وهذا امر لا يصدق به الا من
فيه حياة وما لجرح بميت ايلام المقصود ان اعظم لذة في
الاخرة لذات الدنيا فلانه انواع فاعظمها واكملها ما اوصل
الى لذة الاخرة ويثاب الانسان على هذه اللذة اتم ثواب
ولهذا كان المؤمن يثاب على ما يقصد به وجه الله من
اكله وشربه ولباسه ونكاحه وشفاء غيظه بقهر
عدو الله وعدوه فكيف بلذة ايمانه ومعرفته بالله ومحبته له
وشوقه الى لقائه وطمعه في رؤية وجهه الكريم في جنات
النعيم النوع الثاني لذة تمنع لذة الاخرة وتعقب الاما
اعظم منها كلذة الذين اتخذوا من دون الله اوثانا مودة
بينهم في الحياة الدنيا يحبونهم كحب الله ويستمتع
بعضهم ببعض كما يقولون في الاخرة اذا لقوا ربهم
ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت

لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك
حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا
يكسبون ۞ لان اصحاب الفواحش والظلم والبغي في الارض
والعلو بغير الحق هذه اللذات في الحقيقة انما هي استدراج
من الله لهم ليذيقهم اعظم الالام ويحرمهم بها اكمل اللذات
مثل من قدم لغيره طعاما لذيذا مسموما يستدرجه
به الى هلاكه قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
واملي لهم ان كيدي متين ۞ قال بعض السلف في تفسيرها
كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ۞ فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين ۞ وقال تعالى في اصحاب
هذه اللذات ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ۞ وقال في
حقهم فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم
كافرون ۞ فهذه اللذات تعقب اصحابها من اعظم
الالام كما قيل ۞

بها

عذابا

۞ مآرب كانت في الحياة لاهلها عذابا فصارت في المعاد
النوع الثالث لذة لا تعقب لذة في دار القرار ولا الما ولا تمنع
اصل لذة دار القرار وان منعت كمالها وهذه اللذة المباحة
المباحة التي لا يستعان بها على لذة الاخرة فهذه زمانها يسير
ليس لتمتع النفس بها قدر ولا بد ان يشتغل عما هو خير
وانفع منها وهذا القسم هو الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل الا رميه بقوسه وتأديبه
فرسه وملاعبته امراته فانهن من الحق وما اعان على اللذة
المطلوبة لذاتها فهو حق وما لم يعن عليها فهو باطل

فصل فهذا الحب لا ينكر ولا يذم بل هو
احد انواع الحب وكذلك حب رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما هو المحبة الخاصة وهي التي تشغل قلب المحب وفكره
وذكره بمحبوبه والا فكل مسلم في قلبه محبة لله ورسوله
لا يدخل في الاسلام الا بها والناس متفاوتون في
درجات هذه المحبة تفاوتا لا يحصيه الا الله فكم بين
محبة الخليلين ومحبة غيرهما مما بينهما فهذه المحبة التي
تلطف وتخفف اثقال التكاليف وتسخي البخيل وتشجع

الجنان وصفا الذهن وروض النفس وطيب الحياة على الحقيقة
لا محبة الصور المحرمة اذا ملئت النفس بهن يوم اللقا كانت
سببا في صاحبها من حسرتها ابدا كما قيل ⊙

سيبقى لكم في مضمر القلب والحشا سريرة حب يوم تبلى السرائر

وهذه المحبة هي التي تنور الوجه وتشرح الصدر وتحيي القلب
وكذلك محبة كلام الله فانه من علامة محبة الله واذا اردت
ان تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله فانظر محبة
القران من قلبك والتذاذك بسماعه اعظم من التذاذ
اصحاب الملاهي والغنا المطرب بسماعهم فانه من المعلوم
ان من احب محبوبا كان كلامه وحديثه احب شي اليه
كما قيل ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي اما تاملت ما فيه من لذيذ
خطابي وقال عثمان بن عفان لو طهرت قلوبنا
لما شبعت من كلام الله وكيف يشبع المحب من كلام
محبوبه وهو غاية مطلوبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
يوما لعبد الله بن مسعود اقرا علي فقال اقرا عليك
وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري
فاستفتح وقرا سورة النساء حتى اذا بلغ قوله فكيف اذا

جئنا

اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
قال حسبك فرفع راسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
تذرفان من البكا وكان الصحابة اذا اجتمعوا وفيهم ابو
موسى يقولون يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرا وهم يستمعون
فلمحبي القران من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور
اضعاف ما لمحبي السماع الشيطاني فاذا رايت الرجل ذوقه
ووجده وطربه وتشوقه في سماع الابيات دون سماع
الايات وفي سماع الالحان دون سماع القران وهو
كما قيل تقرا عليك الختمة وانت جامد كالحجر وبيت من الشعر
ينشد تميل كالنشوان فهذا من اقوى الادلة على
فراغ قلبه من محبة الله وكلامه وتعلقه بمحبة سماع الشيطان
والمغرور يعتقد انه على شي في محبة الله وكلامه ورسوله
اضعاف اضعاف ما ذكر السائل من تولد العشق
ومنافعه بل لا حب على الحقيقة انفع منه وكل حب
سوى ذلك باطل ان لم يعن عليه ولسوف الحب اليه

فصل اما محبة النسوان فلا لوم على المحب
بل هي من كماله وقد امتن الله سبحانه على عباده فقال

الختمة

ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم
مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فجعل المراة سكنا للرجل
يسكن قلبه اليها وجعل بينهما خالص الحب وهو المودة المقترنة
بالرحمة وقد قال تعالى عقيب ذكر ما احل لنا من النسا وما حرم
منهن يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب
عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون
الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق
الانسان ضعيفا وذكر سفيان الثوري في تفسيرها عن ابن
طاوس عن ابيه كان اذا نظر الى النسا لم يصبر وفي الصحيح
حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى امراة فاتى
زينب فقضى حاجته منها وقال ان المراة تقبل في صورة شيطان
وتدبر في صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات
اهله فان ذلك يرد ما في نفسه ففي هذا الحديث عدة فوائد
منها الارشاد الى التسلي عن المطلوب بجنسه كما يقوم الطعام
مقام الطعام والثوب مقام الثوب ومنها الامر بمداواة الاعجاب
بالمراة المورث لشهوتها بانفع الادوية وهو قضا وطره من
اهله وذلك ينقض شهوته لها وهذا كما ارشد المخاطب

الى النكاح فنكاح المعشوقة هو دوا العشق الذي جعله الله
دوا شرعا وقد تداوى به داود صلى الله عليه وسلم ولم
يرتكب نبي الله محرما انما تزوج المراة وضمها الى نسائه لمحبته
لها وكانت توبته بحسب منزلته عند الله وعلو مرتبته ولا
يليق بنا المزيد على هذا واما قصة زينب بنت جحش وزيد
كان قد عزم على طلاقها ولم يوافقه وكان يستشير النبي صلى
الله عليه وسلم في فراقها وهو يامره بامساكها فعلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه مفارقها لا بد واخفى في نفسه ان يتزوجها
اذا فارقها زيد وخشي مقالة الناس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم تزوج زوجة ابنه فانه كان قد تبنى زيدا قبل النبوة
والرب تعالى يريد ان يشرع شرعا عاما فيه مصالح عباده
فلما طلقها زيد وانقضت عدتها منه ارسله اليها يخطبها لنفسه
فجا زيد واستدبر الباب بظهره وعظمت في صدره لما
ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداها من ورا الباب
يا زينب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك فقالت
ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي وقامت الى محرابها فصلت
فتولى الله عز وجل نكاحها من رسوله بنفسه وعقد النكاح
له فوق عرشه وجا الوحي بذلك فلما قضى زيد منها وطرا زوجنا

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم لوقته فدخل عليها وكانت
تفخر على نسا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وتقول انتن زوجكن
اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سما واقصة زيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب لا ريب ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان قد حبب اليه النسا كما في الصحيح من
حديث انس عنه صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم النسا
والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة هذا لفظ الحديث لا
ما يرويه بعضهم حبب الي من دنياكم ثلاث زاد الامام احمد
في كتاب الزهد في هذا الحديث اصبر عن الطعام والشراب
ولا اصبر عنهن وقد حسده اعدا الله اليهود على ذلك فقالوا
ما همه الا النكاح فرد الله سبحانه على رسوله ونافح عنه فقال تعالى
ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا ال
ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما وهذا خليل
الله ابرهيم امام الحنفا كان عنده سارة اجمل نسا العالمين
واحب هاجر وتسرى بها وهذا داود كان عنده تسع
وتسعون امراة فاحب تلك المراة وتزوج بها فكمل المائة
وهذا سليمان ابنه كان يطوف في الليلة على تسعين
امراة وقد سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احب الناس

اليه فقال عايشة وقال عن خديجة اني رزقت حبها فمحبة
النسا من كمال الانسان قال ابن عباس خير هذه الامة
اكثرها نسا وقد ذكر الامام احمد ان عبد الله بن عمر وقع
في سهمه يوم جلولا جارية كان عنقها ابريق فضة
قال عبد الله فما صبرت ان قبلتها والناس ينظرون
وبهذا احتج الامام احمد على جواز الاستمتاع من المسبية
قبل الاستبرا بغير الوطي بخلاف الامة المشتراة والفرق بينهما
انه لا يتوهم انفساخ الملك في المسبية بخلاف المشتراة فقد
ينفسخ فيها الملك فيكون مستمتعا بامة غيره وقد شفع النبي
صلى الله عليه وسلم للعاشق ان يواصل معشوقته بان تتزوج
به فابت وذلك في قصة مغيث وبريرة فانه رآه يمشي خلفها
بعد فراقها ودموعه تجري على خديه فقال لها لو راجعتيه فقالت
اتامرني يا رسول الله فقال لا انما اشفع فقالت لا حاجة لي به
فقال لعمه يا عباس الا تعجب من حب مغيث بريرة ومن
بغضها له ولم ينكر عليه حبها وان كانت قد بانت منه فان هذا
ما لا يملك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسوي بين نسايه
في القسم ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما لا
املك يعني الحب وقد قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين

النساء ولو حرصتم يعني الحب الجماع لم يزل الخلفاء الراشدون
والملوك الناس يشفعون من العشاق الى معشوقهم
الجايز وصلهن كما تقدم من فعل ابي بكر وعثمن وكذلك علي
اتي بغلام من العرب وجد في دار في جوف الليل فقال له ما
قصتك قال لست بسارق ولكني اصدقك ⊙
تعلقت في دار الرياحي خودة يذل لها من حسن منظرها البدر ٠
لها في بنات الروم حسن ومنظر اذا افتخرت بالحسن خافها الفخر ٠
فلما طرقت الدار من حب مهجة اتيت وفيها من توقدها الجمر ٠
تبادر اهل الدار لي ثم صيحوا هو اللص محتوما له القتل والاسر ٠
فلما سمع علي رضي الله عنه شعره رق له وقال للمهلب بن رباح
اسمح له بها فقال يا امير المؤمنين سله من هو فقال النهاس بن
عيينة فقال خذها فهي لك واشترى معوية جارية فاعجبته
اعجابا شديدا فسمعها يوما تنشد ابياتا منها ⊙
وفارقته كالغصن يهتز في الندى طريرا وسيما بعد ما طر شاربه ٠
فسالها فاخبرته انها تحب سيدها فردها اليه وفي قلبه منها ⊙
وذكر الزمخشري في ربيعه ان رجلا قرأت في طريق
مكة على حايط ٠
اما في عباد الله رحيم ادى امانة كريم على الهم عند ذهاب العقل ٠

له مقلة اتت المنايا في ريحه اما الحشا فالماء منه على رحل ٠
صدرت ان يختال لقابلها ان عرفته حتى يجمع بينه وبين من تحبه
فبينما هي بالمزدلفة اذ سمعت من ينشد البيتين فطلبته
فزعم انه فالمالي ابنة عم له نذر اهلها ان لا يزوجوها منه
فوجهت الى الحي وما زالت تبذل لهم المال حتى زوجوها
منه واذا المرأة اعجبتها منه لولها فكانت تعده من اعظم
حسناتها وتقول ما انا بشي اسر مني من جمعي بين ذلك الفتى
والفتاة وقال الخرائطي وكان لسليمان بن عبد الملك
غلام وجارية يتحابان فكتب الغلام اليها يوما ⊙
ولقد رايتك في المنام كانما عاطيتني من ريق فيك البارد ٠
وكان كفك في يدي وكاننا بتنا جميعا في فراش واحد ٠
فطفقت يومي كله متراقدا لاراك في نومي ولست براقد ٠
فاجابته الجارية ⊙
خيرا رايت وكلما ابصرته ستناله مني برغم الحاسد ٠
اني لارجو ان تكون معانقي فتبيت مني فوق ثدي ناهد ٠
واراك بين خلاخلي ودمالجي واراك فوق ترائبي ومجاسد ٠
فبلغ ذلك العلامة فانكحها الغلام واحسن حالهما على فرط غيرة

فقال حاتم بن مرحبه ٥
سألت سعيد بن المسيب هل الحب يعيب دونها من دون ٥
فقال سعيد بن المسيب انما يلام على ما يستطيع من الامر
فقال سعيد والله ما سالني احد عن هذا ولو سالني لما كنت
اجيب الا به فعشق النساء لانه انما عشق هو قربه وطاعه
وهو عشق الرجل امراته وجاريته وهذا العشق عشق نافع
فانه ادعى الى المقاصد التي شرع الله لها النكاح وكف
للبصر والقلب عن التطلع الى غير اهله ولهذا يحمد هذا العاشق
عند الله وعند الناس وعشق هو مقت من الله وبعد
من رحمته وهو اضر شي على العبد في دينه ودنياه وهو عشق
المردان فما ابتلي به الا من سقط من عين الله وطرد عن
بابه وابعد قلبه عنه وهو من اعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال
بعض السلف اذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة
المردان وهذه المحبة هي التي جلبت على قوم لوط ما جلبت فما
اتوا الا من هذا العشق قال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
ودوا هذا الداء الاستعانة بمقلب القلوب وصدق
اللجا اليه والاشتغال بذكره والتعوض عنه وقربه والتفكر في



الالم الذي يعقبه هذا العشق واللذه التي تفوته به فيترتب
عليه فوات اعظم محبوب وحصول اعظم مكروه فان اقدمت
نفسه على هذا واثرته فليكبر عليها تكبيره على الجنازة وليعلم
ان البلاء قد احاط به القسم الثالث من العشق
عشق مباح لا يملك كعشق من وصفت له امراة جميلة او
راها فجاة من غير قصد فاورثه ذلك عشقا لها ولم يحدث
له ذلك العشق معصية فهذا لا يملك ولا يعاقب عليه
والانفع له مدافعته والاشتغال بما هو انفع له والواجب
على هذا ان يكتم ويعف ويصبر على بلواه فيثيبه الله على
ذلك ويعوضه على صبره لله وعفته وتركه طاعة هواه
واثار مرضاة الله وما عنده

فصل

والعشاق ثلاثة اقسام منهم من يعشق الجمال المطلق
ومنهم من يعشق الجمال المقيد سواء طمع بوصاله او لم يطمع
ومنهم من لا يعشق الا من يطمع في الوصول اليه وبين هذه
الانواع تفاوت في القوة والضعف فعاشق الجمال
المطلق قلبه يهيم في كل واد وله في كل صورة جميلة مراد
يوما بحزوى ويوما بالعذيب ويوما بالعقيق ويوما بالخليصاء

فان قيل يحيى كذا او انه يستعمل العقل بطور اقصر تيماء
فهذا اعشقوا اسمع ولكنه عن نائب كثير التنقل
يهيم به دائما يعشق غيره ويسلاهم من وقته حين يصبح
وعاشق الجمال المقيد اشتغل بمعشوقه دون محبة له
ومحبته اقوى من محبة الاول لاجتماعها في واحد وتشتيت
الاولى لكن يضعفها عدم الطمع في الوصال وعاشق
الجمال الذي يطمع في وصاله اعقل العشاق واعرفهم
وحبه اقوى لان الطمع يمده ويقويه

فصل

واما حديث من عشق فعف فهذا يرويه سويد بن سعيد
وقد انكره حفاظ الاسلام عليه قال ابن عدي في كامله هذا
الحديث احد ما انكر على سويد وكذا ذكره البيهقي وابن
طاهر في الذخيرة والتذكرة وابو الفرج بن الجوزي وعده
في الموضوعات وانكره ابو عبد الله الحاكم على سويد
وقال انا اتعجب منه قلت والصواب في الحديث انه
من كلام ابن عباس موقوفا عليه فغلط سويد في رفعه
قال محمد بن خلف بن المرزبان ثنا ابو بكر الازرق
عن سويد به فعاتبته على ذلك فاسقط ذكر النبي صلى
الله عليه وسلم وكان بعد ذلك يسال عنه فلا يرفعه
ولا يشبه هذا كلام النبوة واما رواية الخطيب له عن
الازهري ثنا المعافا بن زكريا ثنا قطبة بن الفضل ثنا احمد بن
محمد بن مسروق ثنا سويد ثنا ابن مسهر عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عائشة مرفوعا فمن ابين الخطا ولا يحتمل هشام
عن ابيه عن عائشة مثل هذا عند من شم ادنى رائحة من
الحديث ونحن نشهد لله ان عائشة ما حدثت بهذا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ولا حدث به عنها عروة ولا
حدث به عنه هشام قط واما حديث ابن الماجشون
عن عبد العزيز بن ابي حازم عن ابن ابي نجيح عن مجاهد
عن ابن عباس مرفوعا فكذب على ابن الماجشون فانه لم يحدث
بهذا ولا حدث به عنه الزبير بن بكار وانما هذا من تركيب
بعض الوضاعين ويا سبحان الله كيف يحتمل هذا الاسناد
مثل هذا المتن فقبح الله الوضاعين وقد ذكره ابو الفرج
من حديث محمد بن جعفر بن سهل ثنا يعقوب بن عيسى
من ولد عبد الرحمن بن عوف عن ابن ابي نجيح عن مجاهد
مرفوعا وهذا غلط قبيح فان محمد بن جعفر هذا هو الخرائطي



دون فاته سنة سبع وعشرين ومائتين فمحال ان يدرك شيخه
يعقوب بن ابي نجيح لا يسأله وقد رواه في كتاب الاعتلال
عن يعقوب هذا عن الزبير عن عبد الملك عن عبد العزيز عن ابن
ابي نجيح والخرائطي هذا مشهور بالضعف في الرواية ذكره
ابو الفرج في كتاب الضعفا وكلام حفاظ الاسلام
في انكار هذا الحديث هو الميزان اليه يرجع في هذا الشان
وما صححه بل ولا حسنه احد يعول في علم الحديث عليه ويرجع
في التصحيح اليه لا من كانت عادته التساهل والتسامح فانه لم
يصحح نفسه له ويكون ابن طاهر الذي يتساهل في احاديث
التصوف ويروي منها الغث والسمين والمنخنقة والموقوذة
قد انكره وشهد ببطلانه نعم عن ابن عباس غير مستنكر
ذلك عنه وقد ذكر ابو محمد بن حزم عنه انه سيل عن
الميت عشقا فقال قتيل الهوى لا عقل له ولا قود
ورفع اليه بعرفات شاب قد صار كالفرخ فقال ما
شانه قالوا العشق فجعل عامة يومه يستعيذ من
العشق فهذا ابن عباس قال من عشق فعف وكتم فمات
فهو شهيد ومما يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم

عد الشهدا في الصحيح فذكر المقتول في الجهاد والمبطون
والحرق والنفسا تقتلها ولدها والغرق وصاحب ذات
الجنب ولم يذكر منهم العاشق يقتله العشق وحسب قتيل
العشق ان يصح له هذا الاثر عن ابن عباس على انه لا يدخل
الجنة حتى يصبر لله ويعف لله ويكتم لله وهذا لا يكون
الا مع قدرته على معشوقه وايثاره محبة الله وخوفه ورضاه
وهذا احق من دخل تحت قوله واما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى
وتحت قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان فنسال
الله العظيم رب العرش العظيم الكريم ان يجعلنا ممن اثر
حبه على هواه وابتغى بذلك قربه ورضاه تم الكتاب
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
وحسبنا الله ونعم الوكيل

علقه لنفسه العبد الفقير المعترف بالخطا والتقصير
موسى بن محمد بن علي الشافعي عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب ملك العبد الفقير الى الله الراجي عفو ربه وغفرانه والمعترف
بذنبه المرجو غفران جنته تسليح رحمته بيده
ولوالديه ولاهله ولجميع المسلمين امين
ايد به الحافين وذلك في سلخ العشر الاول
حلت من شهر رمضان المعظم قدره
سنه اثنان وتسعين وسبعمائة

موسى ابن محمد بن علي عبد الرحمن امام ... غفر الله له
ولوالديه ولمن عاملهم بالفقه والكتاب ولجميع
المسلمين والمسلمات
والمومنين والمومنات

انك مجيب الدعوات ورافع الدرجات وخالق الارض والسموات
انك على كل شي قدير

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

اسح اذا ذكر الاصحاب … وان هم خطروا في القلب يحترق

يا اهل موقفهم انا الحزين من … يجد لم يبدوا له خلق

تركاهم لم يزل خاطري ابدا ولم يخلوا فوادا منه قد خلق

يا يوم بينهم ما كان اعظمه راءت المنايا البنا فيه تستبق

ساروا وندا ودعوني في منازلهم حليف وجد ونيران المحاصرين

عسى الهي ان يمن بعودتهم الى بلادهم فالخير ملتحق

ويجمع الله شملي معهم فله عوايد الجود والاحسان تخترق

في ابرجا سواه وهو سيدنا ذا … بالحمد قد نطق

يا سيدي لا تخيبني وترحمني فالقلب منكسر ومحترق

بحرمة السيد المبعوث من مضر ومن له طرف تعلوا على الطرق

والال والصحب سادات ومفتخري ومن لهم همم تعلوا على الشفق

والموصلي الذي ما ان يسعى في سيرهم وله التصوف الحلق

اعطف عليهم ما زلت تذكرهم على عبيد ذي المليك ذو الملق

وتب على قبيلة الثبت يا ملك له الخلا … تزهوا كما عرق